

أوڤيد

فن الهوى

ترجمه وقدم له
د. ثروت عكاشة

راجعه على الأصل اللاتيني
د. مجدى وهبة



NC



أوفيد

فن الهوى

الإخراج الفنى
الفنان عبد السلام الشريف

أوفيد

فن الهوى

ترجمه وقدم له
د. ثروت عكاشة

راجعه على الأصل اللاتيني
د. مجدي وهبة

الطبعة الثالثة

الهيئة المصرية العامة للكتاب

صورة الغلاف

بورتريه فتاه رومانية

من بومبى . القرن الأول الميلادى

متحف نابولى القومى

مقـــدمة

لا يكاد القارىء يطالع كتاب « فن الهوى » Ars Amatoria لمؤلفه پوبليوس أوڤيديوس ناسو . حتى يستهويه ما جاشت به عواطف هذا الشاعر وما انطلق به لسانه فى عبارات أنيقة وصياغة دقيقة للأساطير القديمة التى ضمّنها مزيجاً من ثقافة عصره وأحاسيس قومه ، وحتى يدرك السرّ الذى جعل هذا الكتاب الدقيق الحجم والموضوع يترك أثراً واضحاً فى مختلف فنون العصور التالية حتى عصر النهضة[1] .

ولكى نقدّر الشاعر قدره الحق ، ونعرف لشعره منزلته فلنتوقف عند سيرته لحظة لنلمّ بجوانب شخصيته وسلوكه وندرك طرفاً من أسلوب العصر ونهجه حتى نعرف ما كان للبيئة التى عايشها الشاعر من أثر فى فنه ومدى استجابته لها ، فقلما يفلت الفنان من أثر البيئة التى ينبت فيها .

ولد أوڤيد لأب موسر فى مدينة سولمونه على بعد تسعين كيلو متراً شرقى روما ، وكان مولده سنة ٤٣ قبل الميلاد وتوفى سنة ١٨ ميلادية بمنفاه فى بلدة « توميس »[2] على البحر الأسود ، أى أنه عاش اثنين وستين عاماً واكبت العصر المتأغرق[3] ونهل من ثقافته وتأثر بتقاليده خلال عهد الامبراطور قيصر أوغسطس ، وكان أوڤيد آخر الشعراء الأوغسطيين ، وزامل منهم هوراس وپروپيروتيوس وڤرچيل أشهر شعراء ذلك العصر وأحد أصدقائه المقربين .

كان أبوه قد أعدّه ليشغل إحدى الوظائف السياسية أو الإدارية فى الدولة ، فانتقل إلى روما مع أخ له حيث اختلفا إلى المدارس هناك ، يتلقيان العلم على أيدى الأساتذة المشهورين . وإذ أحس أوڤيد فى قرارة نفسه أنه لم يولد إلاّ ليكون شاعراً وأن الشعر يتدفّق من بين شفتيه تدفّق الماء من الينبوع ، فقد اهتم بأن يلقى رجال الأدب فى روما وأن يتردّد عليهم ويتصل بهم ، ولم يلبث أن صار مرموقاً بين خلاّن على حظ من الدعابة والمرح ، يغشى معهم مجالس الأدب والفن ، ويرتاد فى صحبتهم منتديات اللهو والمتعة .

---

(١) انظر مقدمة كتاب مسخ الكائنات « ميتامورفوزيس » لأوڤيد . ترجمة د. ثروت عكاشة . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة الطبعة الأولى ١٩٧٢ . الطبعة الثانية ١٩٧٩ . الطبعة الثالثة ١٩٩١ .

(٢) كونستانزا برومانيا الحالية .

(٣) ويشمل القرون الثلاثة الأخيرة قبل الميلاد .

وتولى أوڤيد القضاء حيناً ثم توفى والده مورّثا إياه ثروة استطاع بفضلها أن يتحرر من ربقة الوظيفة التى طالما ضاق بها وأن ينطلق فى الميدان الذى يهواه والذى أتاح له أن يخلّفَ للإنسانية مجموعة من الأعمال الشعرية اتسمت بالأصالة والجزالة ، واحتفظت برونقها على مرّ العصور .

— ٢ —

وكان عهد الامبراطور أوغسطس عهد تفاؤل وتفتّح وانطلاق ، وعهد تنفيذ المشروعات المعمارية الكبرى ، وتنمية للفنون والآداب ، لا على يد الامبراطور فحسب ، بل كذلك على أيدى طبقة من رعاة الأدب الذين أثروا فى ظل الاستقرار الاقتصادى والسياسى ، فاتجهوا نحو الاغتراف من ينابيع الحضارة اليونانية القديمة ، وغدت « الثقافة الرفيعة »(١) زاد ذلك المجتمع الذى اطّرح الطابع العسكرى والانغمار فى السياسة ليلتفت إلى إثراء الروح والتأمل فى شتى نواحى المعرفة ، والاستمتاع بحضارة تحقق سعادة عاجلة فى هذه الدنيا . وانصرفت ميول الطبقة الحاكمة إلى حلبة الألعاب التى يشهد فيها الامبراطور عروضاً تتسم بالإسراف والغلو ، أو الوليمة يقيمها ثرى على مدى أيام تجمع كل ما يبهج النفس ويسرّ العين ، أو الملحمة الشعرية يعيد فيها الشعراء الرومان إلى الأذهان مجد ملاحم الإغريق من خلال موضوعات منتزعة من حضارتهم الفريدة كما فعل ڤرچيل فى « إنيادته » ، فشهد المجتمع الرومانى فى خلال هذا العهد كثرة من الخطباء من أمثال شيشرون ، والشعراء من أمثال ڤرچيل وهوراس وأوڤيد ، ورعاة الفنون من أمثال المستشار ميسيناس ، والقادة الشبان الملهمين من أمثال ماركلّوس ، غير أن الاستبداد ما لبث أن تسرّب إلى النظام السياسى ، وتتابع أباطرة مؤلّهون مستهترون ، وتزايد الفقراء واللاجئون من أسرى الحرب والأرقاء والشعوب البربرية المهزومة ، ومن صغار الفلاحين النازحين من القرى المجاورة بحثاً عن أرزاقهم فى روما بغير أمل ، فوقع المجتمع الرومانى فى تناقض بين العدالة والاستبداد وبين الديمقراطية والطغيان ، وأمست « الثقافة الرفيعة » بمثابة لحن شجى يرقص له مجتمع الملذات وهو على حافة بركان مدمّر . وقد كشف الشاعر هوراس عن هذه الصورة فى قصيدة مشهورة له يقول فيها :

« وقبل أن نفرغ من حديثنا
قد يفلت الزمن هاربا ،
ذلك الماكر الغادر
فاقبض على يومك(٢)
ولا تثق مثقال ذرّة فى غدك »

---

(١) Cultus .
(٢) Carpe Diem .

وكانت قد ظهرت فى عهد أوغسطس حركة جياشة تهدف إلى تغيير مسار الحضارة وإحياء مُثل الماضى وأخلاقياته وتحويل الشعب الرومانى إلى مزارعين جادين بسطاء وجنود بواسل وساسة مثاليين . واتجهت هذه الحركة إلى الحياة الخاصة للأفراد محاولة إعادة معايير الأجداد الغابرة وعقائدهم ، والرجوع إلى نماذج العصور الماضية فى الفن واللغة والأدب . وكان الامبراطور أوغسطس على رأس هذه الحركة يغذّيها ويباركها ، غير أن أوڤيد لم ينشط لتأييد هذا الاتجاه الذى تبنّاه الامبراطور بل اندفع مؤيداً حركة الانطلاق والتفتح .

وقد دفع أوڤيد ثمن ذلك حين أخرج على الناس كتابه « فن الهوى » ، فقد وجد فيه الامبراطور مبرّرا لنفيه إلى مدينة توميس المهجورة على شاطىء البحر الأسود بعيداً عن أهله وأصدقائه ومنتديات الفكر والأدب ، إذ زعم أن هذا الكتاب دعوة إباحية ، ومن ثم أمر بحرق كل نسخه .

ولا شك أن القارىء سيجد للوهلة الأولى أن الكتاب حافل بالمجون والخلاعة ، وأن مؤلفه يتناول الحب كطُرفة من طُرف الحياة ومتعة من متعها ، وأن ذلك الحب الذى ينشده المؤلف ليس ذلك القدر المحتوم الذى يجرى فى التراجيديات الإغريقية ، ولا ذلك الهوى المشبوب فى رومانتيكيات القرن التاسع عشر الذى يستشهد العاشق فى سبيله إن لم يصل به إلى حافة الخبل والجنون ، ولا ذلك الحب الصُّوفى الذى يدله فيه المرء ويولّه حتى ينفصل عن العالم المادى ويرقى إلى عالم الروحانية المتبتّلة لا ينال جسده فيه متعة ، وإنما الحب الحسىّ الغارق فى اللهو وملذات الجسد . وسيرى القارىء أن أوڤيد لا يتحرّج من أن يعلن أنه لا يكتب عن إلهام من أبوللو إله الشعر ولا من ربّات الفنون ، بل بوحى ڤينوس إلهة الهوى والمتعة . فلقد اختارته هذه الربة الخليعة وصيّا على ابنها إيروس [كيوپيد] وأستاذا خاصا به ، وأنه قد رحّب بقبول هذه المهمة لينتقم من كيوپيد الذى يختار العشاق ويربط بينهم بالسهام التى يسدّدها إلى صدورهم ، فقد سبق لكيوپيد أن مزّق قلب أوڤيد بأحد سهامه فأرداه عاشقاً مدلّها ، وها هى ذى الفرصة تواتيه لينقذ العشاق من طريق التدلّه والعذاب الروحى منتقلاً بهم إلى طريق المتع الجسدية التى تتطلب خبرة وتجربة واعية .

— ٣ —

يروى أوڤيد فى « فن الهوى » قصصا وحكايا يلوّنها بتعليقاته وتفسيراته ، مصوّرا مواقف نمطية ، شارحا للمتلقّى كيف يتصرف إزاءها ، متنبئاً بما قد يكون لدى المرأة من ردود فعل لتصرفات الرجل ، موازناً بين الفرص والمخاطر وبين المزايا والمثالب ، موصيا المحب الذكى باتباع بعض الحيل والمناورات كما يحذره من غيرها ، ضارباً أمثلة بحكايات من الأساطير يسردها فى براعة وإبداع ، « ففن الهوى » يعد أكثر مؤلفات أوڤيد وضوحاً فى هذا المجال . وإذ كان المؤلف يسبغ على نفسه مقومات الأستاذية ، يظل طوال الوقت خلال مؤلفه صافى الذهن يحول دون أن تطمس سحب العاطفة عقله ، فالعاشق المثالى ، كما يراه أوڤيد ، ليس بالصبى الحالم الخيالى ولا بالذى يسمح لنفسه أن تفقد ذاتيتها فى غياهب العاطفة .

وينتظم « فن الهوى » ثلاثة كتب ، يشرح المؤلف فى أولها كيف يجدّ طالب الهوى ساعياً ليستولى على قلب خليلته ، وفى الثانى يعلّمه كيف يحتفظ بحبها إلى أطول أمد ممكن ، وفى الكتاب الثالث يتوجه إلى المرأة بنصائحه فيعلّمها كيف توقع الرجل فى حبائلها وكيف تحتفظ به تحت أقدامها أطول مدة .

يبدأ أوڤيد عرضه ملخصا برنامجه : فالكتاب الأول يعلّم مريده كيف يسعى ليحظى بقلب معشوقته فى ميادين الصيد المواتية مبصّراً إياه بأن حبه المنشود لن يهبط عليه من السماء دون جَهْد ، وعليه أن يعرف كيف يتجوّل منقّباً فى أنحاء روما التى يمكن أن تمدّه بنساء من مختلف الأنواع .

ولقد وجد فى المسرح [الملعب] مكاناً مثالياً يسعى فيه إلى ضالته مستشهداً فى ذلك بحكاية رومولوس مؤسس روما الذى كان قد خطّط لاختطاف النساء « السابينات » بينا يشهدن مسرحه البدائى ، وحين يصل أوڤيد فى عرضه إلى هذا الموقف ينطلق سارداً أحداث الأسطورة مُبدعاً فى قصّتها على صورة تستدر الرثاء وتثير السخرية بينما يعزف على آلته فى يسر تام ، وبلمسات رشيقة يطلق ألحاناً مرحة جليّة . وفى أكثر من موضع من كتابه « فن الهوى » يؤيد أوڤيد آراءه بسرد مزيد من القصص وكأنه فى ذلك يهيىء لمؤلفيه التاليين وهما « مسخ الكائنات »[١] و « تقويم الأعياد الرومانية »[٢] .

وينتقل أوڤيد فى الكتاب الثانى إلى معالجة موضوع إخضاع المحبوبة للاحتفاظ بها ما أمكن ذلك . ولعله فى هذا المجال قد قدم الفكرة التى جاهر بها بعده مارسيل پروست ويلخّصها بقوله « إن النساء لا يبغين إلا أن يستسلمن ، وإنه لا معدى عن الهجوم بشجاعة حيث النصر أكيد » . غير أنا نراه فى الكتاب الثانى أقل إثارة من الكتاب الأول ، وإن كان أرق منه وأشد اتساماً بالذاتية . ففيه يوصى الشاعر مريده بألا يحرص على المتعة العابرة حرصه على أن تمتد الصلة الغرامية زمناً طويلاً . إنه ينصحه بالعناية عند اختيار الشريكة ويحذره من الانزلاق فى تهور إلى حب فتاة يلقاها عرضاً فى وليمة ، فما أكثر ما يزيّف النبيذ والنور الخافت الحكم على صفات المرأة وسماتها .

وإذا أنعمنا النظر فيما أسدى من نصائح فى كتابه الثانى نجدها فى جوهرها تحثّ على الاتزان والتواضع والمثابرة ، ولكنه يخفى وراء هذا الستار غرضه الذى يعلنه بعد ذلك صراحة إذ يقول إن « الحبُّ حربٌ » ، مغلّفاً قصده برقة تبدو طبيعية تلقائية بينا هى تضمر دهاء وسخرية لاذعة .

وفى الكتاب الثالث يكفّ أوڤيد عن توجيه أترابه من الرجال ملتفتاً إلى النساء يسدى إليهن النصح باقتطاف ورود الشباب فى أوانها مثلما فعل رونسار فى القرن السادس عشر فى « سونيتاته من أجل هيلين » وتَغنّى فيها بضرورة اقتطاف زهرة الشباب فى حينها . وهو فى هذا الكتاب يناقض أسلوبه فى الكتابين السابقين دامغاً الرجال بالعبث مؤيداً حجته بأساطير تكشف غدر الرجال وتمجّد وفاء النساء فى براعة

---

(١) Metamorphoses .

(٢) Fasti .

مذهلة . ولا يخفى ما فى هذا من خبث . . . إذ أن النهاية ستظل كما أرادها تحقيقاً لأهدافه الواقعية التى ينشدها من وراء مؤلفه ، فلا يهمّ مَنْ البادىء باستخدام الحيلة ، وما مِنْ أذى ينال أحد الطرفين فى لعبة الحب طالما أجاد اللاعبان أداءها ، فكلاهما سيظفر بنصيبه من المتعة المتبادلة .

« وفن الهوى » قصيدة شعرية تعليمية على الوزن السداسى لم تجاف نسق الشعر فى عصرها حيث كانت القصائد التعليمية الإرشادية هى بدعة العصر ، وكان للشاعر أن يضمّن النصح شعره التعليمى فى أى موضوع يشاء . فإميليوس ماسر ـ صديق أوڤيد — قد نظم شعراً سداسى التفعيلات فى سموم الأفاعى والعقاقير الطبية ، بينما نجد الشعراء الآخرين يضمّنون شعرهم نصائح فى آداب اللياقة وفى أنماط الألعاب والرياضات البدنية المختلفة أو الاحتفاء بالزائرين فى المنازل أو تنظيم ولائم العشاء . ولقد جارى أوڤيد فى « فن الهوى » معاصريه من الشعراء فتناول فيه الحب على أنه نوع من أنواع الرياضة أو اللعب والتسلية الاجتماعية[٣] .

والحب وإن كان لا يسهل إخضاعه للجدل العقلانى إلا أن شعر الغزل الجنسى فى روما كان يُنَاقَش منذ البداية على أنه قضية من القضايا التى تُلَقَّن ، حتى أن مجموعة من السداسيات التى لا يربط بينها رابط قد نظمت لتمثل كل الوجوه والنواحى الرئيسية للعاطفة فى أمثل صورها وأكثرها إمتاعاً للنفس . وبهذا المنحى يبزّ أوڤيد معاصريه من الشعراء الذاتيين مثل تيبوللوس وپروپيرتيوس اللذين كانا لا يعكسان غير أحـاسيسهما الشخصية ، وهكذا كان أوڤيد فى صراحته المحيِّرة وتهكمه اللاذع أبرع منهما وأكثر فطنةً فى إخفاء ذاتيته . ولعل هذا واحداً من الأسرار التى كتبت لهذه القصيدة الخفيفة التى تجمع بين الاستهتار والعربدة والحكمة أن تعيش إلى يومنا هذا دون أن تفقد نضارتها رغم مضى السنين .

— ٤ —

ويتميز أسلوب أوڤيد فى هذا الكتاب بخصائص عامة ، أهمها وضوح الرؤية والموضوعية ، والذكاء ، وخفة الظل ، والسخرية ، والثقافة الواسعة ، وحبه للدعابة وكراهيته للحرب والقسوة ، وافتتانه بالحياة والمتعة ، وهيامه بالمرأة مدركاً ما فيها من مفاتن ناعياً نواقصها . كما يتميز بقدرته على الانتقال من موضوع إلى آخر فى لطف ومهارة بحيث لا يكاد يلحظه القارىء .

ومن قبيل خفة ظله افتتاحية كتابه الأول حين يصف كيوپيد « بالصبى الغضّ ربّ الهوى » ، ويدّعى أن ڤينوس أم كيوپيد قد اصطفته وصيًّا على ابنها ، ذلك الصبى الإله الذى طالما جرح قلبه بسهامه فيما مضى ، وأنه قد آن الأوان ليثأر لنفسه منه .

---

(٣) ألف أوڤيد بعد نفيه قصيدة سلوان الحب Remedia Amoris يستحث الناس فيها على اطراح الهوى والانصراف إلى ما هو مفيد كالفلاحة والرماية والصيد والأسفار .

ثم ينتقل ليشبّه الحب بالحرب ، وأن مركبته لا تعدو حدود هذا الميدان الممتع ، ويظلّ يردّد هذه الدعابات خلال كتابه الأول ، ويعود إلى تردادها فى كتابيه الثانى والثالث ، فيقول فى تصديره لكتابه الثانى :

« بأهازيج النصر اشْدُ يا فتى ،
ثُم اصدح مهلّلا أنّى مضيتَ .
فها هى ذى من كنتُ أطاردها تقع فريسة فى الشراك .
وليتوّج بإكليل الغار جبينى من سَعِدَ فى عشقه ،
وليرفعنى فوق مرتبة هسيود شاعر أسكرا ،
وهوميروس الضرير حكيم مايونيا العجوز » .

وبين الحين والحين يردّد مثل هذه الدعابات حتى يصل إلى كتابه الثالث فيصدّره بقوله :

« أى پنثسيليا يا مليكة الأمازونات ،
إن أكُنْ قد سلّحتُ الإغريقَ لغزوكن ،
فقد جمعتُ لكنّ فى جعبتى أسلحة فتّاكة ،
لتكون معرككتن مع الرجال متكافئة
فتُلحق محارباتُك الهزيمة بمن تشملهم ڤينوس الحانية برعايتها . . . » .

ولا تكاد تمر صفحات من الكتاب حتى يعود إلى مداعباته فى رقة بالغة ، وإتقان مبدع .

ومما ينصف أوڤيد فيما انتهجه فى « فن الهوى » بدؤه الكتاب الأول بما يوحى أنه سوف يترك جانباً الحرائر المُحْصَنات ، وأنه سيقصر نصائحه على الإيقاع باللّاهيات فيقول :

« وأنتن أيتها الحرائر المُحْصَنات
اللاتى تعتمرُ شعورُكن بعصابة الخَفَر الرهيفة
وتستخفى أقدامُكن وراء التنّورات المُرْسَلة .
فلا تَدْنُوَنّ منّى . . . . ودَعْنَنِى أُغَنِّ للهوى المأمون
وأنشد أسرار الهوى المباح ، لا حرج عليه ،
وأنأى بِشِعْرى عن مشبوه المآخذ » .

ويمضى أوڤيد ، مرة أخرى ، فى مداعبة الأزواج حين يطلب من المرأة اللّاهية أن تلقى فى روع حبيبها الخوف والغيرة من زوجها ، ثم يستطرد فى نصائحه للزوجة فيقول :

« أوشكتُ أن أُغفل سردَ الأساليب
التى تخدعين بها زوجاً ماكراً أو حارساً يقظاً .
فلا بأس أن تخشى العروس زوجَها وأن يحرسها هو أدقّ حراسة ،
ولكن لا يسوغُ للزوج أن يتجسّسَ عليك » .

ولا ينسى أوڤيد أن ينصح العاشق باجتذاب زوج فاتنته ، فلن يجديه شيء مثل هذه الصداقة . ولكم استخدم المسرح الفرنسى طوال القرون الثلاثة الماضية هذا الموقف ، كما استخدمه مسرح عصر عودة الملكية فى إنجلترا المتأثر بالمسرح الفرنسى فى أواخر القرن السابع عشر .

وهو يستخدم أحياناً عبارات جادة معروفة لبعض معاصريه من الشعراء فى مواقع عابثة . من ذلك عبارة ڤرچيل المشهورة : « هذا هو العناء بعينه ، وهذا هو العمل الجاد » ، فقد ختم مجموعة من الأبيات الساخرة عن تقديم الهدايا للمعشوقة بقوله :

« بلا هدايا مُسْبَقة اظفر بحب معشوقتك .
هذا هو العناء بعينه وهذا هو العمل الجاد » .

ويستحيل علينا أن نتابع سخريات أوڤيد وخفة ظله ، وإلا لنقلنا أكثر الكتاب إلى المقدمة .

ويبدى أوڤيد فى هذا الكتاب تمسكه بقيم تنطوى على المروءة ، فنراه يدين أولئك الذين يدنسون أسرار ڤينوس ويتباهون بمغامراتهم الغرامية الناجحة ، وأولئك الذين يغتصبون الفتيات لا لشىء سوى تلطيخهن بالعار ، ويشجب المفترين على السيدات بغير حق :

« كان الإحساس بالحياء عميقاً فى نفوس البسطاء
بينا نختال اليوم بمغامراتنا الليلية .
ونتكالبُ على دفع أبهظِ الأثمان
فى سبيل علاقة نزهو بها

. . . .

وكم يهون ذلك إلى جانب ما يختلقه قومٌ من إفكٍ على نساء ،
ولو كان هذا الإفكُ حقّا لأَخْفَوْه فى إصرار . . . » .

ويعكس الكتاب ما فى نفس أوڤيد من أنه رجل سلام يكره الحرب والعنف رغم تملقه الامبراطور فى أبيات معدودة تشيد بالحروب ، ولعلها أضعف ما جاء فيه من شعر وتصوير ، وهو ما يؤكد أنه لا يؤمن بما يقول .

غير أن المرء حين يصل إلى نهاية الكتاب لا يلبث أن يحس بأن هذا الكتاب رغم كل مجونه وطرافته ومزاحه ليس وصية لهو أو رسالة هوى أو قصيدة وصال ، بل إنه أبعد من كل ذلك . إنه لوحة بالغة الدقة والروعة فائقة الذكاء والحنكة تعرض لهذا المجون الذى كان شائعاً فى أوصال الطبقة المتميزة من أهل روما . ولا يكاد المرء يتردد لحظة فى أن يكشف غضب الامبراطور على هذا المنحى الماكر الذى نحاه أوڤيد ليفضح هذا العصر فى عباءة أستاذ معلم للغرام ، وخاصة وهناك لحظات أفلتت من أوڤيد وكشفت قصده واعترف فيها بإدانته لهذا المجتمع وأخلاقياته حين يقول :

« هذى حيلٌ من غزل العصر ، يبسطها سخيًّا جوّ الملعب
« والفُورَمْ » أيضاً يَمنحك الفرصة كاملة
رغم رمال الأرض المبتلة حُزناً ، سُخطاً
حيث تُراق دماء لتسرّى عن الجَمْعْ »

وَهل يمكن أن يجد المرء إدانة أكثر مرارة من هذه اللوحة فى مجتمع يتسلى بإراقة دماء العبيد « المجالدين » بينما السادة ينصبون الشّباك ليوقع كل منهم بامرأة صاحبه وزميله ؟

وفى مكان آخر يكشف أوڤيد عن ندرة الوفاء والصراحة والصدق ولا يتردد فى إدانة هذا المسلك فيقول :

« فالخداع تحت ستار الصداقة نهج آمن مطروق ،
وإن كان نهجاً آثماً » .

كما يقول :

« فإله الخمر يجلو ما يخبّىء مُعَاقِرُها ويحلُّ لسانَ الثَّمل ،
فيثرثر فى صراحة ما أندرها فى هذا العصر » .

ويرتفع أوڤيد إلى قمة الروعة حين يسخر من هذا المجتمع الزاخر بالكذب والنفاق ومن أخلاقياته ومن آلهته فيقول :

« اختر أى إله شئت تُشْهده على قسمك
فجوپيتر فى عليائه يضحكُ ملء شدقيه على قَسَمِ العشّاق الكاذب ،
ثم ما يلبث أن يأمر رياح أيولوس بأن تَذْرُوه أدراجَها
ولكم أقسم لچونو بنهر ستيكس زيفا
فما أحراه الآن أن يناصر من هم على شاكلته
حقا ، إنه من الخير أن يكون ثمة آلهة . . . . فلنؤمن إذن بوجودهم » .

وينسب بعض الشراح إلى أوڤيد قول شكسپير على لسان چولييت : « يقول الناس إن چوپيتر يسخر من وعود العشاق الكاذبة » [روميو وچولييت بيت ١٣٦ ــ ١٣٧ فصل ٢ مشهد ــ ١] مما يشهد بقوة الأثر الذى تركه هذا الشاعر فى الأجيال التالية .

ومن الصعب أن يتصور القارىء الذكى أن أوڤيد يوجه نصحاً حين يقول :

« تجمّل بالصبر إن لوّحت فتاتك لمنافس ،
وغُضّ الطرف عن رسالة كتبتها له .
دعهَا على رِسْلها تَغدو وتروح ،

فمن الأزواج من يكون هذا نهجُه مع زوجته الشرعية ،
حين تَغْشَى أيها الكرى الحانى فتُهوِّنُ على الأزواج غفلتَهم » .

وما يملك المرء إلا أن يسلّم بجانب هذا الوضوح بأن أوڤيد يرسم لوحة لعصره تحت ستار لا يكاد يُخفى شيئاً ، ويوجّه الاتهام صريحاً إلى رجال ذلك العصر الذين يتركون لزوجاتهم الحبل على الغارب ، ويأتى النعاس فيغشى عيونهم متيحا للزوجات فرصاً أوسع للخيانة والفسوق . ثم إنه يعقب هذا الاتهام الصريح بمقارنة بينه وبين هؤلاء الأزواج الذين نضبت من قلوبهم النخوة فيقول :
« أتراني أَصْبِرُ على غريمٍ يلوّحُ لعشيقتى بين عينيّ
دون أن أُطلق العنانَ لفورة غضبى ؟ » .

ويأتى هذا الحديث الصريح وسط نصائحه الغريبة بأن يكون العاشق حصيفا فيترك لسواه أن يلج باب عشيقته وأن يتستر على خياناتها إن شاء أن يبلغ كمال الحصافة حتى يأتى يوم فتُصارحه عشيقته بخياناتها دون أن يحمرّ وجهها خجلاً . ترى أى نصائح تلك التى يمكن أن يستفيد منها هنا عاشق حصيف ؟ إن الأمر أكثر وضوحاً من أن نحاول له تفسيراً . إنه اتهام للعصر بمزاولة نوع من العُهر الرخيص . على أننا لا نملك مع ذلك إلا أن نشير إلى تلك الخاتمة الرائعة التى أنهى بها أوڤيد نصائحه فى التستّر على الخيانة حين جمع آلهة الأوليمپ يشهدون ڤينوس تخون زوجها ڤولكانوس فى رفقة مارس ويسخرون من الزوج المخدوع . ثم إن هناك عدداً من النصائح التى تُظهر جدّية أوڤيد رغم هذا الإطار الماجن الذى اختار الحديث من خلاله ، فهو ينصح الرجل قائلاً :

« كن على ثقة بأنك لن تحتفظ بعشيقتك ،
إن لم تضف هبة العقل إلى ميزات جسدك .
. . . .
إذن فلتكن لنفسك روح مشرقة صنو لجمالك ،
فهى وحدها تبقى إلى جوارك حتى ساعتك الأخيرة فوق المحرقة .
واصقُلْ فكرك بالفنون والآداب ولا تهوّن من شأنهما ،
واغترف من اللغتين سحر القول » .

ولا شك فى أن هذه النصائح الجادة تتطلب جهداً ووقتاً لا يترك للمرء الانغماس فى اللهو الماجن الذى يظهر على سطح الكتاب دون أن يخفى مع ذلك غرضه الحقيقى الدفين ، وهو إدانة تلك الأرستقراطية التى يتربّع فوقها الامبراطور مدّعيا حمايته للفضيلة وهو لا يفعل فى الحقيقة إلا التستّر عليها .

أعتقد أن من حقّنا بعد ذلك ألا نصدّق صحة الاتهام الذى وجّهه الامبراطور أوغسطس لأوڤيد حين زعمه داعية إباحيا فى كتابه « فن الهوى » ، وأن نميل إلى الأخذ بما رواه بعض المؤرخين من أن أوڤيد كانت له علاقة جسورة مع الأميرة چوليا حفيدة الامبراطور التى انغمست فى العديد من صلات العشق مما انتهى

بافتضاح أمرها ، وأن هذه المغامرة الطائشة كانت السّر الحقيقى وراء نفى الامبراطور لأوفيد ، فاتخذه من بين الكثرة الكثيرة من عشاقها كبشا للفداء ، زاعماً أن محتويات الكتاب كان لها حظ كبير فى إفساد أخلاق حفيدته التى انتهى الأمر بنفيها هى الأخرى . حقا لقد صمت أوفيد عن الخوض فى هذه المسألة ، ولم يذكر حين سئل عن سّر غضب الامبراطور عليه إلا أنه قد أفشى سرّا لم يكن من حقه أن يذيعه . ولكن هذا يوحى إلى المرء بأن كتاب « فن الهوى » الذى ألفه أوفيد قبل ذلك ببضع سنين كان رسالة خاصة من أوفيد إلى قيصر أوغسطس يدين فيها المجتمع الانحلالى الذى رفض الامبراطور أن يترك أوفيد لينعم فيه بدفء إحدى أميرات القصر . ولا شك أن الامبراطور قد فهم ما رمى إليه أوفيد من فضح خفايا هذا المجتمع الأرستقراطى الزائف ، ولم يكن نتاج ذلك إلا مزيداً من الغضب على هذا الشاعر العملاق .

— ٥ —

أما حرصه على سرد الأساطير ، وصياغته لها وربطه للواقع بالأسطورة فهو فى الحق سمة هذا الكتاب وميزته الكبرى ، تنتظمه من أوله حتى منتهاه ، تأسر القارىء وتطوف به على أجنحة رقيقة محلّقة ، بتودع نفسه سر الإبداع الشعرى لهذا الفنان القدير . هذا إلى ما كان لأوفيد من معرفة عميقة بكل خفايا حياة عصره ، حتى وصل إلى دقائق أسرار الزينة لدى الرجل والمرأة على السواء مما يجعل من شِعْرِه لوحة متكاملة نطالعها فنطالع فيها عصراً بأكمله .

إن خبرة أوفيد بما فى طبع البشر لاسيما الإناث ، وإلمامه بالحياة الاجتماعية فى روما ، فضلاً عن معرفته بعالم الحيوان بما يدور فيه من صيد وفلاحة وملاحة ، مما منحه قدرة معجزة على إطلاق التشبيهات البسيطة اللافتة ، إلى جانب انتفاعه بالقصص المأثور الذى لم يجد مندوحة من تضمينه كتابه حرصاً منه على ألا يفوته من ذلك التراث الرائع شيء ، هذا كله يتآلف مع عناصر أخرى كالدعابة والسخرية وسرعة البديهة ، ليضفى على قصيدته « فن الهوى » فى النهاية جاذبية لا تُبارى ، جعلتها جديرة بأن تكون أحد الأعمال الفنية المنبثقة من مجتمع روما المتألق المستهتر خلال عهد الامبراطور أوغسطس ، فلا عجب إذن أن تكون قد أثارت غضب الامبراطور .

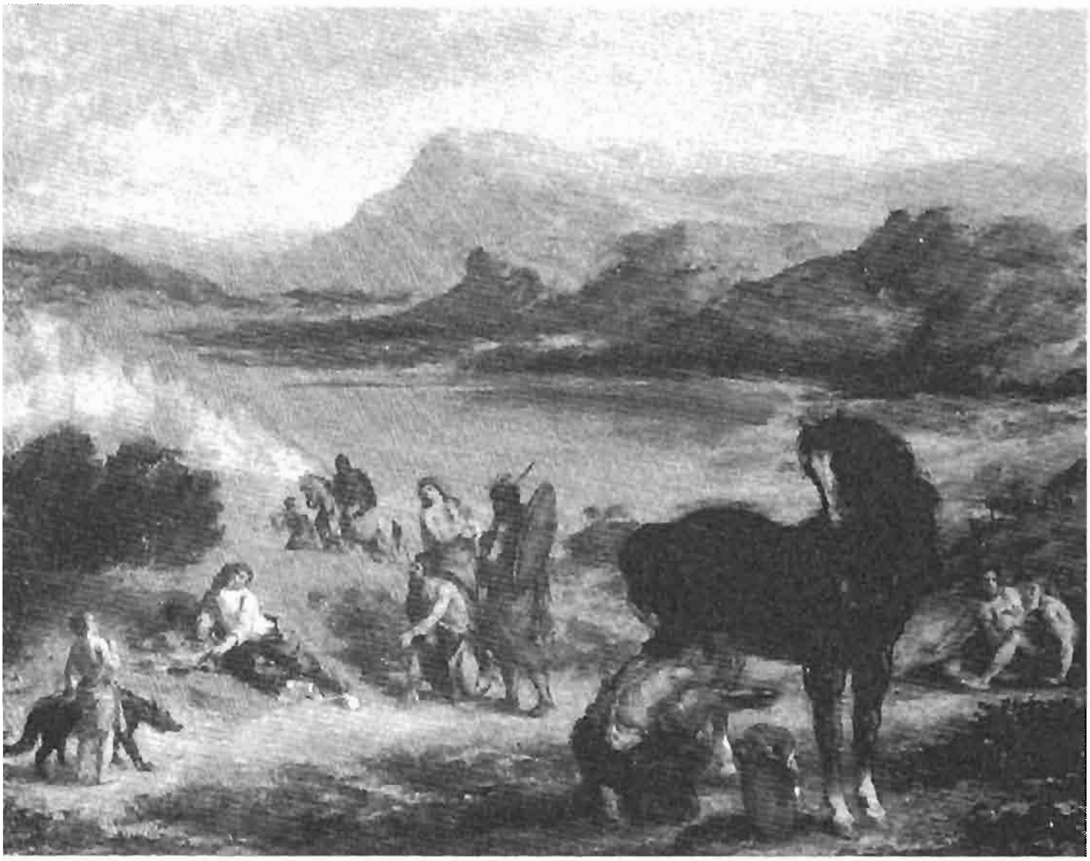
ومن العسير علينا تصديق أوفيد حين يدّعى أنه لم يقصد النيل من القيم الأخلاقية فى روما ، فلا شك أنه كان يعلم تمام العلم أن ثمة فوارق واضحة فى مجتمعه كانت تميز بين الحرائر المُحْصَنات[١] والعذارى[٢] واللاهيات[٣] . وكان أوفيد يدّعى أن « عظاته » موجّهة إلى الفريق الأخير من النساء دون غيره ، بيد أن ما يصرّ على أن يسوقه من حجج ليؤيد بها زعمه يشى بغير ما ادّعى .

---

(١) Matronae المعنى الحرفى هو ربة الأسرة .

(٢) Virgines .

(٣) Libertinae .



ديلاكروا : أوڤيد فى منفاه بمدينة توميس المهجورة على شاطىء البحر الأسود.   الناشونال جاليرى، بلندن

ويقيناً إن مَن يرى أوڤيد شاعراً يؤمن بأن إشباع الحواس هو الخير الأسمى ، مخطىء فى نظرته إليه ، فأوڤيد يأنف من أن تكون العشيقة بغيًا (الكتاب الثانى ٦٨٥ وما بعده) ، ويصرّ على أن تكون امرأة مثقفة(١) أو فتاة عالمة(٢) . ويتجلّى من خلال كتابه أن تثقيف العقل من الأهداف التى كانت تصبو إليها السيدات اللاهيات ، يبذلن فى سبيلها جهوداً مضنية ، وإن كانت قلة من بينهن يصلن إلى ما يُتْقِنّ إليه . وآية ذلك أن أوڤيد كان يطالب المرأة بأن تحذق الفنون واللغات ، وأن تطالع باليونانية أشعار كاليماخوس وفيليتاس وأناكريون وميناندر وسافو ، هذا إلى جانب الأشعار اللاتينية المعاصرة . ويمضى أوڤيد فى مطالبة المرأة بأن تتألق ، وأن تجيد السير والضحك والرقص والغناء والعزف والإلقاء ، إذ كان هو نفسه يعتز بما عُرف عنه من رهافة الحسّ ، فلقد بلغ من الذوق السليم الذروة ، لذا لم يكن إرضاؤه بالأمر اليسير ، أو

(١) Culta

(٢) Docta Puella

لعل هذا كان على الأقل مما يهدف إلى إلقائه فى روع قارئيه . لقد كانت الثقافة بالنسبة لأوفيد هى شعار العصر الذى يحياه ، وكان أوفيد إلى ذلك يعدّ نفسه ذا حظٍ إذ عاصر تلك الفترة .

ـ ٦ ـ

ليس بغريب إذن أن يكون أوفيد قد انتزع إعجاب الكثرة من علماء العصور الوسطى وتقديرهم ، لاهتمامهم بالتراث اليونانى واللاتينى ، فكان القديس إزيدور الإشبيلى (٧٥٠ — ٦٣٦ م تقريباً) [صاحب كتاب « مشاهير الرجال » والذى يعد من أهم المراجع فى دراسة تاريخ القرون الوسطى] يحذّر من مطالعة شعر أوفيد لما فيه من مجون ، ولكنه مع ذلك لم يستطع مقاومة تيار الولع به فى عصره ، بل لقد ذكره هو نفسه فى كتبه أكثر من عشرين مرة مقتبساً من شعره . واتخذ القديس العلامة فولجينتيوس[١] (٤٦٨ — ٥٣٣ م) من كتابى « مسخ الكائنات » و « فن الهوى » أساساً للقصص الرمزية الأخلاقية التى دونها فى كتابه « الأساطير » . أما العلماء الذين أحاطوا بالامبراطور شارلمانى فكانوا يتدربون على كتابة أشعار لاتينية تحاكى شعر أوفيد . بل لقد أصبح أوفيد لهم مثلاً يحتذى فى نظم الشعر وفى اختيار موضوعات الشعر نفسها ، مما أسفر عن ظهور ما يسمى « بالعصر الأوفيدى »[٢] .

وكان الشعراء الجوّالون « التروبادور » فى جنوب فرنسا و « المينيزنجر » فى ألمانيا يتغنّون بموضوعات يغلب على الظن أنها كانت مقتبسة من قصائد أوفيد ، كما عَدَّه الطلبة الجوّالة « الجوليارد » الذين نظموا الأناشيد البورانية[٣] الشهيرة أستاذهم وأحبّ الشعراء إلى نفوسهم .

ولقد أشار ڤنسان دى بوڤيه[٤] (١١٩٠ — ١٢٦٤ تقريباً) إلى أوفيد أكثر مما أشار إلى أى شاعر آخر فى تاريخ الأدب كله واقتبس كثيراً من شعره ، غير أنه لم يكن دقيقاً فى اقتباسه مما يدل على أنه كان يعتمد على ذاكرته فى هذا الاقتباس فى موسوعته المشهورة « المرآة الكبرى »[٥] التى ضمّت أغلب معارف عصره فى أجزاء ثلاثة . كذلك عدّه دانتى نموذجاً للبلاغة والأسلوب الرصين ، وحفظ الشاعر الانجليزى تشوصر الكثير من أبيات « فن الهوى » و « مسخ الكائنات » كما ترجم منها أجزاء إلى اللغة الإنجليزية الوسطى [أى الإنجليزية الشائعة فى العصور الوسطى] .

أما أثر أوفيد فى نزعة « الحب الرفيع » فى شعر العصور الوسطى فى أوربا ــ الذى كان يشبه الهوى العذرى لدى العرب ــ فيتجلّى واضحاً ، كما يبدو أن أصول المغازلة التى كان شعراء العصور الوسطى يوصون بها ، كانت شديدة القرب من تلك الأصول التى ذكرها أوفيد ساخراً منها فى كتابه « فن الهوى » .

---

(١) Fulgentius .
(٢) Aetas Ovidiana .
(٣) Carmina Burana .
(٤) Vincent De Beavais .
(٥) Speculum Maius .

وصحيح أن نساء أوڤيد ينتمين إلى نهج من الإباحية فى مسلكهن الأخلاقى ، وأن نساء الحب الرفيع ينتمين إلى مجتمع أرستقراطى مغلق يُدْمغ أى انحراف عن جادة العفة ، إلا أن سُبُل إغرائهن مع التزام السرية التامة فى المغازلة كانت أمراً شائعاً فى أوساط شعراء الحب الرفيع ومشابهة لأساليب أوڤيد ، الأمر الذى جعل بعض شُرَّاح الحب الرفيع فى العصور الوسطى يعدّون هذا التقليد فى الشعر استمراراً للتقليد الأوڤيدى . وكما قال العلامة الانجليزى ك.س. لويس[١] فى كتابه [قصة الحب الرمزية][٢] « إن شعر العصور الوسطى كان على نهج أوڤيد وقد أُسِيء فهمُه »[٣] ، إذ أخذوا دعاباته على محمل الجد .

وتفسير ذلك من الوجهة التاريخية فى رأى الأستاذ لويس ، يرجع إلى أن نظرة المجتمعات المسيحية فى أوروبا بعد سقوط الحضارات الوثنية الرومانية والبربرية الجرمانية ، لم تغير كثيراً من مفهوم الناس للحب ، فكان الزواج لايزال رهن اعتبارات لا صلة لها بالعواطف تسيطر عليها عوامل المصلحة ، والتحالف بين الأسر ، والتيارات السياسية ، فى حين انحصرت عاطفة الحب فى نوعين : أولهما دينى تصوّفى ينتظم الضراعات للعذراء مريم ، وثانيهما ماسُمىّ فى لغة الشعراء الجرمان فى العصور الوسطى « بخدمة السيدة »[٤] أى الخدمة العاطفية العذرية لزوجة السيد الإقطاعى الذى يُعدّ حامياً عسكرياً للمنطقة التى بها قصره ، يعيش الشعراء القاطنون بها فى حماه ، وكذلك الشعراء الجوّالون من أمثال التروبادور فى پروڤانس والتروڤير فى شمال فرنسا . وهكذا فمن الطبيعى أن يتصف هذا الحب اليائس بكل خصائص المبالغة العاطفية التى تميّز الحنين إلى المستحيل والبعيد عن متناول اليد ، وإن كان الوصال يقع أحياناً . ولقد أجمع المؤرخون للقرون الوسطى على أن الحب الرفيع إنما هو نقل للسخرية والهزل فى « فن الهوى » إلى مجال الجدّية .

وفى سنة ١١٦٠ ترجم الشاعر الفرنسى كريتيان دى تروا[٥] « فن الهوى » إلى اللغة الفرنسية القديمة ، وإن كان النص قد اندثر الآن ، ولا نشك فى أن تلك الترجمة أسفرت عن أزمة ضمير فى نفوس الشعراء المسيحيين آنذاك ، مما دفعهم إلى محاولة تبريرها تبريراً يتفق والجو المسيحى السائد .

وفى أواخر القرن الثانى عشر دوّن الشاعر الفرنسى أندرياس كاپيلانوس[٦] كتاباً باللاتينية اسمه « كتب ثلاثة عن الحب »[٧] وضع فيه بطريقة منهجية كل القواعد والنصائح التى أوردها أوڤيد فى كتابه ، ولكن بقصد تطبيقها على مواقف الحب الرفيع ، ورغم ذلك فقد ثار الرأى العام المتزمّت ، واعتبر هذا التحوير امتداداً للإباحية التى وردت فى « فن الهوى » .

---

(١) C.S. Lewis .   (٢) The Allegory of Love .   (٣) Ovid Misunderstood .

(٤) بالألمانية Frauendienst . بالفرنسية Amour Courtois . بالإنجليزية Courtly Love .   (٥) Chretien de Troyes .

(٦) Andréas Capellanus وهذا هو الاسم اللاتينى الذى عرف به أندريه راعى الكنيسة André Le Chapelain كما كان يسميه معاصروه ولا نعرف له اسما آخر .   (٧) De Amore Libri —Tres

وتتابعت بعد ذلك محاولات لنقل معانى الكتاب بأسلوب غير مباشر إلى قراء القرون الوسطى وبصورة لا تجرح العرف الأخلاقى ، من أهمها الملحمة الشعرية الرمزية المسماة « قصة الوردة »(١) التى كتبها ولم يتمها جيوم دى لوريس(٢) فى النصف الأول من القرن الثالث عشر على شكل حُلم يراه الشاعر ، ينشد فيه عِشْق وردة جميلة فى بستان منيع ، تُساعده تارة على إدراكها وتمنعه من ذلك تارة أخرى صفات مجرّدة مجسّدة ، مثل القول الرقيق أو الحسد أو التضرّع أو العفّة أو ما إلى ذلك . وفى أواخر ذلك القرن كتب الشاعر چان دى مون(٣) تكملة طويلة لهذه الملحمة ولكن بروح مختلفة هى روح السخرية ومهاجمة النساء وازدرائهن . وتنبع أهمية هذه الملحمة من أنها ترجمة رمزية للمعانى التى وردت فى « فن الهوى » بحيث ترضى ذوق قارىء أرستقراطى حسّاس يجذبه الولع بأوڤيد من ناحية ويشدّه حب التستر وإخفاء الفضائح من ناحية أخرى .

ومع ذلك كله لم تنحسر موجة انتشار كتاب أوڤيد ، فاصطر رجال الكنيسة أن يرتضوا ما جاء فيه بعد أن أوّلوه ، فكتب أحد القسس كتاباً باللغة الفرنسية القديمة لما جاء على لسان أوڤيد فيه تأويل رمزى(٤) (١٣٠٠ م) ، رمز فيه بالحبيب إلى الفضيلة والتقوى ، وبالمحبّ إلى الناسك المتعبّد على غرار شعر التصوف لابن الفارض فى الأدب العربى ، و « المثنوى » لجلال الدين الرومى فى الأدب الفارسى .

— ٧ —

بهذه العجالة أردت أن أبيّن أهمية كتاب « فن الهوى » فى التراث الأدبى العالمى ، وأن أقدم للقارىء محاولة يسيرة لتفسيره من وجهة نظر أراها . وعلى حين كانت الرغبة التى استأثرت بوجدانى طوال صياغتى لهذه الترجمة هى أن أقدم نصاً يتميز إلى جانب ــ نقله لفكر المؤلف ــ بالبساطة والوضوح اللذين يجتذبان القارىء ويشيعان فى نفسه الإحساس بالمتعة التى يجدها قارىء النص الأصلى فى لغته اللاتينية ، فقد واجهتنى خلال هذه المهمة عقبتان : كانت أولاهما هى ازدحام النص بأسلوب الالتفات ، وهو الانتقال المفاجىء من صيغة الخطاب إلى صيغة المتكلم أو الغائب أو عكس ذلك ، وهو أسلوب لا يشيع فى العربية بقدر ما يشيع فى الشعر الملحمى اللاتينى . وقد حاولت قدر جهدى أن أقلل هذه الانتقالات حيث يصعب فهمها أو تكون مصدراً لبلبلة القارىء . وكانت ثانيتهما إفراط المؤلف فى الاستشهاد بأسماء الآلهة وأبطال الأساطير اليونانية والرومانية التى كانت معروفة أيامها للقارىء العادى فى حين أنها لا تعطى نفس إيحاءاتها ودلالاتها للقارىء العربى المعاصر الذى لم تُتح له قراءة معمّقة فى الكلاسيكيات والأساطير القديمة . ومع أنى

---

(١) Le Roman de la rose .

(٢) Guillaume de . Lorris

(٣) Jean De Meung .

(٤) Ovid Moralisé .

قد أضفت فى نهاية كل فصل تعقيبات تناولت عدداً كبيراً من أسماء الآلهة والأبطال وشمائلهم إلا أننى سمحت لنفسى أن أقحم هنا وهناك عبارة مفسّرة قصيرة وراء بعد الأسماء أو الأماكن أو الأحداث حتى لا أقطع على القارىء متعته حين يجد نفسه مضطراً لتقليب الصفحات والبحث بين التعقيبات عن تفسيرات لما يقرؤه . ولعلى أكون بذلك قد أعنت القارىء غير المتخصص على مواصلة المطالعة المريحة ، دون أن أكون قد أثقلت القارىء المتخصص بوقفات هو فى غير حاجة إلى التريّث عندها .

وإنى لأستميح قارئى عذراً فى الأبيات القليلة التى جاوزت فيها النص اللفظى دون خروج عن المعنى أو ابتعاد عن الروح النابضة فى خفايا الكلمات ، فحوّرت حينا وقنّعت بعض العبارات بقناع من الحياء حينا آخر ، ليتفق والذوق العربى . وكان هذا وذاك على قدر ما وسعنى الجهد الذى حاولت به ألا أخرج على النص أو أجانبه .

وقد رأيت أن أطّرح جزءاً يسيراً من الكتاب الثانى من البيت ٦٨٠ إلى البيت ٦٩٣ ، ومن البيت ٧٠٦ إلى البيت ٧٠٩ ، ومن البيت ٧٢٦ إلى البيت ٧٣٢ ، وجزءاً آخر من الكتاب الثالث من البيت ٧٧٤ إلى البيت ٨٠٧ ، لأن فيها ما يخدش الحياء .

كذلك زوّدت الكتاب بجملة من أمّهات اللوحات المصورة ــ خلت من بعضها الطبعتان السابقتان ــ من إبداع أساطين الفنانين العالميين ، متأثرين بما كتبه أوفيد وغيره من أساطير الأقدمين ، موقنا أن تعزيز الصورة الأدبية بصورة مرئية مما يدعّم إحساس القارىء بالنص الذى يطالعه . وإلى أمناء المتاحف التى استقيت هذه اللوحات منها أزجى شكرى .

واعتمدت فى ترجمتى هذه على الترجمة الإنجليزية الحرفية التى أرفقها ج. هـ. موزلى عند تحقيقه لقصائد « فن الهوى » مع مجموعة أخرى من قصائد أوفيد القصيرة فى سلسلة مكتبة لوب الكلاسيكية طبعة ١٩٦٢ . كما استعنت بالترجمة التى قام بها ج. لويس ماى طبعة « بِسْت سِلَر لِيْبرارى » ١٩٥٩ ، والترجمة الشعرية الرقيقة التى نظمها ب.ب. مور طبعة « فوليو سُوسَايَاتى » ١٩٦٧ ، والترجمة الفرنسية التى أدّاها إيجان ده جِرْل فى القرن التاسع عشر ، العدد الثانى من سلسلة أنتيكوَا طبعة پوكاسِّيه . وقام الأستاذ الدكتور مجدى وهبة مشكوراً بمقابلة ترجمتى العربية على النص اللاتينى الوارد بالكتاب نفسه ، والذى يعتمد على مخطوطتين إحداهما مخطوطة ترجع إلى القرن التاسع الميلادى ، بمكتبة بودلى فى أوكسفورد ، وذلك بالنسبة للكتاب الأول فحسب . أما الثانية الموجودة بباريس فترجع إلى القرن العاشر الميلادى وتشمل الكتب الثلاثة .

وحين فكرت فى طبع الكتاب طبعة ثانية رأيت ألا التزم بالصياغة الأولى فأحوّرها بعض التحوير ولا أساير النص بحرفيته كما فعلت أولاً ، بل أنفذ إلى روحه فهذا أجدى للقارىء العربى الذى سيجد أنه ليس

ثمة خروج عن روح النص لا بقليل أو كثير . وكما فعلت مع الطبعة الثانية فعلت مزيداً فى الطبعة الثالثة وبعد أن راجعها الأستاذ الدكتور مجدى وهبه استأنست بالأستاذ الدكتور أحمد عتمان الذى له هو الآخر ضلاعته فى اللغة اللاتينية ، حرصاً منى على أن أكون كما قلتُ قبلُ مسايرا للنص بشاعريته . وكم أسعدنى أنه رآنى على الجادة لم أنحرف قيد أنملة ، فله منى جزيل الشكر .

ثروت عكاشه

رودس فى ١٧ يوليه ١٩٩٠





اجتماع آلهة الأوليمب. القرن ١٦. متحف الفنون الزخرفية بباريس.

الكتاب
الأول

الكتاب الأول

أيا مَنْ لا يعى من فن الهوى شيئاً ،
عُدْ إلى قصيدى وتأمَّلْهُ مليّا .
فلسوف تُصبحُ فى فن الهوى عبقريّا .
فكما يشُقُّ الرُّبانُ الحاذقُ العُبابَ بسفينته آمناً ،
وكما يطوى قائدُ المركبةِ الماهر بمركبته الأرضَ طيّا ،
كذا يُذلِّلُ المحب الفطنُ الهوى لقيادِه .
وكما مَلَكَ أَوْتُوميدُون عنان خيل مركبته فى السِّباق .
ومَهَرَ تيفيس فى توجيه دفَّة سفينة الأرجو فى عُرْض الخِضَمّ(١) ،
كنتُ أنا مَنْ اصطفته ڤينوس وصيًّا على الفتى الغضّ [كيوبيد] ربّ الهوى ،
ونصَّبتنى لهذا الفن أستاذا .
وإذا كان تيفيس للسُّفين رُبّاناً ، فأنا رُبّان الهوى .
وإذا كان أوتوميدون للمركبات قائداً ، فأنا قائد قافلة الهوى .
ألَا ما أشقَّ ترويض ذَيّاك الصّبى ، الذى لا يفتأ يُشاكسنى مع أنه لايزال غِرًّا .
ثم ما أسرع ما يُلقى إلىّ زمامه ، فأقوِّمُه وأوجّهُه إلى حيث شئت .
لقَّن القنطور خيرون الطفل [أخيل] حفيد آياكوس عزف القيثارة فأجاد ،
حتى غمرَ النغمُ وجدانَه الجامح بالسكينة .
ويُروى أن البطلَ أخيل مثيرَ الذعر فى قلب الخصم والصديق معاً ،
كان يهابُ معلِّمَه القنطور العجوز ،
وَيبسطُ طواعيةً لعصا خيرون كفَّيه اللتين صرعتا هكتور الجبار .

وكما كان خيرون لأخيل أستاذا فأنا أستاذ ربّ الهوى .
وكلاهما ــ أخيل وربّ الهوى ــ صبى شديدُ المِراس ،
ولا غرو فكلٌ منهما ابن إلهة .

وكما يُطأطىء الثورُ عُنقَه تحت وطأة النِّير ،
وكما يَلْقَمُ الجوادُ الأبىّ العِنان فى فمه يلوكه على مضض ،
كذا ، سأَرُوضُ ربَّ الهوى ،
وإن أصاب صدرى بسهام قوسه ،
أو لوّح بشعلته من فوق رأسى مهدّدا ،
فأنا قديرٌ على الثأر لجرحى مهما أثخنتنى الطعنات .
وما أنا بزاعمٍ أن فنّى هذا هبةٌ منك يا فويبوس [أپوللو] .
أو أن مناغاة الطير فى جو السماء هى التى أوحت به الىّ ،
وما تجلّت لى كليو وأخواتها [ربّات الفن] أيام كنت أرعى أغنامى فى واديك يا أسكرا[2]
تجربتى هى مصدرُ إلهامى ،
فأنصتوا لشاعرٍ عركته الحياة ، ينبضُ قصيدُه صدقا .
ناشدتُك يا ڤينوس ، يا أُمّ ربِّ الهوى ، العونَ على ما أنا مُقدمٌ عليه .
وأنتنّ أيتها الحرائر المُحْصَنَات ،
اللاتى تعتمرُ شعورُكن بعصابةِ الخَفَر الرهيفة ،
وتستخفى أقدامُكُنّ وراء التَّنورات المُرْسَلة[3] ،
لا تَدْنُوَنّ منّى .
ودَعْنَنى أُغنّى للهوى المأمون ،
وأُنشدُ أسرارَ الهوى المباح ، بلا حرج ،
وأنأى بِشِعْرِى عن مشبوه المآخذ .

* * * * *

أى مريدى ،
يا من تفدُ إلينا أول مرة ، لتخوض صراعاً جديدا تجهل عُقباه .
ابدأ باختيار من يستهويك جمالُها ،
ثم اسعَ الى الظَّفَرِ بها ،
واجهد فى أن تُرْخىَ فى عُمرِ الحب طويلا .

ذى شِرْعتى ،
وذا ميدانى لا تجاوزُ مركبتى حدودَه ،
وذا مرماى الذى تنساق إليه عجلتى المنطلقة .

* * * * *

مادام العِنان لايزال فى يدك رخيًا ،
تجولُ فى الطرقات بلا قيد ،
بحثا عمّن تهمس لها : « أنتِ وَحْدَكِ من تُشْبع وَلَهى »
فلا ترقب أن تهبط عليك فجأة من خلل النسمات ،
بل طُف بعينيك حيثُ تقعان على كاعبٍ تُشْبع أمانيك .
فالصياد الماهرُ يعرف أين كِنَاسُ الوعل ،
وفى أى الوِدْيان ينصبُ شراكَه ليظْفَرَ بالخنزير البرّى ،
فهو خبير بالغيضات وبالأجمات .
ومن يحذق استخدامَ الشِّص يعرف مسرى الأسماك ومكمنَها فى جوف الماء .
وأنت يا من تهفو إلى نشوة عارمةٍ موصولةٍ لا تخبو ،
ادرس أين تطوّفُ باقات الفتيات ، وأىَّ مكان يرتدن .
ولتهدأ بالا .
فلن أُكلّفك ، بينا تسعى كى تبلغ مُنَاك ، شططا .
لن أدْعُوَكَ لتنشرَ ضدّ الريح شراعَك ،
ولن أَشُقَّ عليك برحلة طويلة وَعْرَة .
كم عانى پيرسيوس كى يعود بأندروميدا
من موطن الهنود ذوى البشرة الدكناء[٤] ،
وكم لاقى پاريس الطروادى العاشق حين اختطف محبوبته [هيلينا] من بلاد الإغريق ،
على حين أنت فى روما لا تحمل عناءً ،
فروما عامرة بالغيد الجميلات ، حتى قيل :
« كلُّ جمالِ الدنيا يفيض فى روما » .
أَنُبِّئْتَ عن كثافة غلال جارجارا[٥] ، ،
وَفَيْضِ عناقيد مِيثِمْنَا ؟[٦]
أَوَ تعرف غزارة السمك فى البحار ،



رافائيل. حفل الآلهة فى الهارناسوس . الفاتيكان.

والطيور فوق أفنان الأشجار ،
ونجوم السماء التى لا تُحْصَىَ ؟
هكذا تزخر مدينتك روما بالغانيات الحسناوات ؛
وليسكنْ رُوعُك ، فمازالت ڤينوس تَنْزِلُ مدينة ابنها أينياس[٧] .
أتأسِرُك السِّنُّ المبكِّرةُ التى فى سبيلها إلى الاكتمال ؟
إذن فإليك عذراءَ غضَّةَ الإهَاب .
أم يجذبُك الجمال الناضج فى أوج تفتّحه ؟
إليك منهن لُمتعتك أَلْفَا .
حاول ما شئت أن تُؤْثِر إحداهن على الأخرى ،
ولسوف يذهبنَّ جهدُك سُدًى .
أَوْ تُراك تُؤْثِر من هى أكبرُ سِنًّا وأرجحُ عقلاً وأشدُّ رزانةً ؟





▲ فرنشيسكو ماتزولى : كيوبيد يعدّ قوسه ويشحذ سهمه. متحف تاريخ الفنون بڤيينا.

▼ القنطور خيرون يعلّم أخيل عزف القيثارة. تصوير جدارى من بازيليكا هرقلانيوم. متحف نابلى.



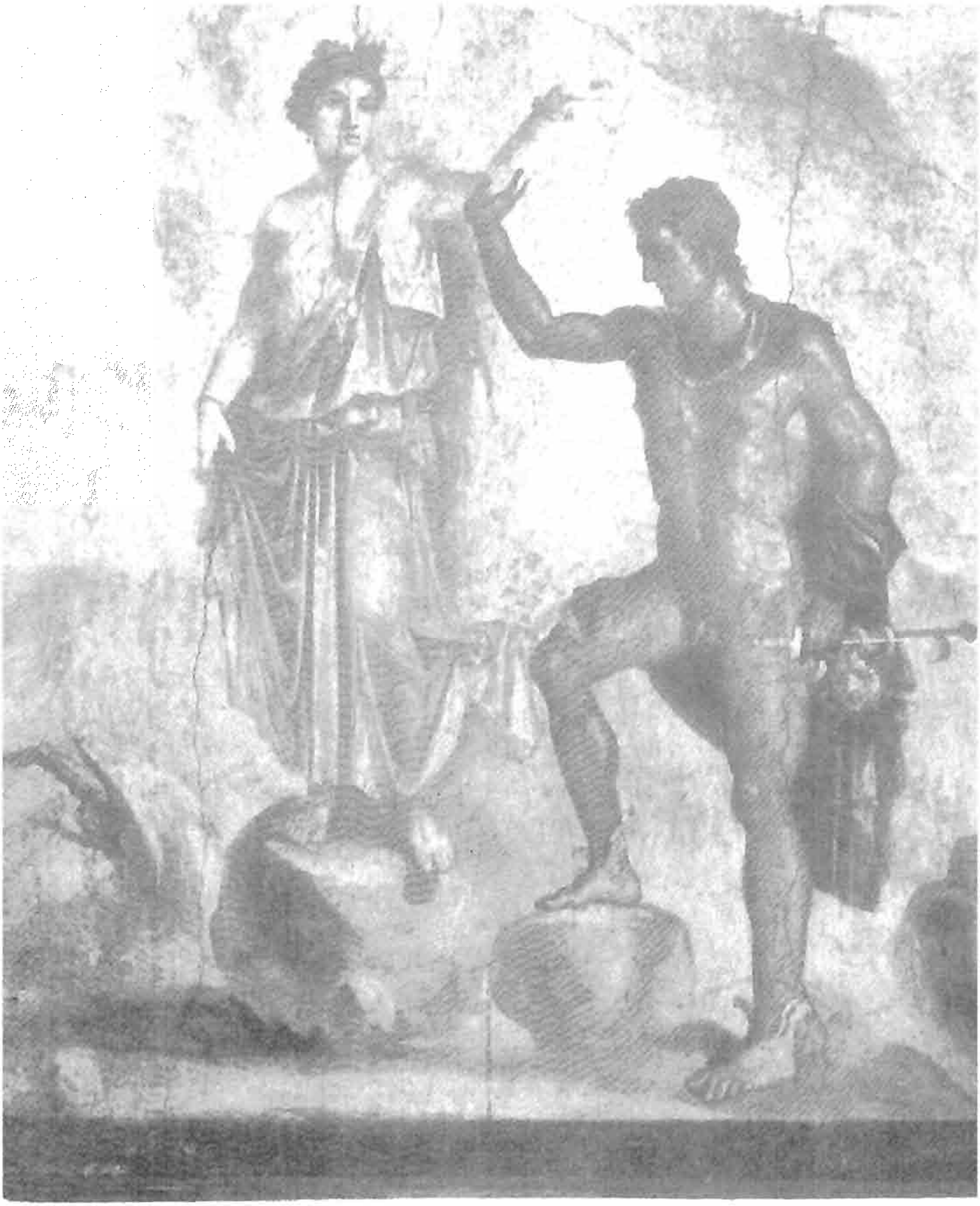
جوليو رومانو: رقصة أبوللو مع ربّات الفن. جاليريا پيتي بفلورنسا

صدّقنى : إن صفوفَهن لا يبلغُها الحصر .
فلتتهاد هَوْنا تحت رواق پومپيوس[٨] ، تحتضنُك ظلاله ،
حين تطِلُّ الشمس من برجِ أسد هرقل الأشعث مُلْهبةً وجهَ الأرض ،
أو فى حنايا ذلك الرّواق الشامخ الذى شيّدته أوكتاڤيا[٩]
يزهو بكسوته المرمرية ، ويضمُّ هباتِها إلى هِباتِ ابنها .
ولا يفوتنّك أن تُلمّ بأروقة ليڤيا[١٠] التى تُشِيدُ نقوشُها باسم مُنْشِئَتِها .
ولا تغضّ الطرف عن ذاك المكان الذى جرؤت فيه بنات بيلوس على اغتيال أبناء عمومتهن ،
أو ذاك الركن الذى تَربَّص فيه أبوهن [داناوس] الجبار وسيفُه فى كفِّه مُشْرعٌ[١١] .
وعِشْ أعياد أدونيس[١٢] الذى عاشت ڤينوس حياتها تبكيه .
واسع فى تلك المدينة التى يُمجِّدُ فيها يهود سوريا[١٣] سبتَهم المقدّس .
ولا يغيبنّ عنك المعبد الممفيسى للبقرة الرافلة فى ثوب الكتان .
فكم من فتاة توحى إليها البقرة ، بفعل ما فعلته البقرة مع چوپيتر[١٤] .
واعجبى ، حتى حرَمات العدالة كانت مسارح للهوى !

وما أكثر ما أضرم الهوى شعلتَه فى قاعاتها الغاصةِ الصاخبة .
ففى كنَفَ معبد ڤينوس المرمرى ، حيث يتناثر رذاذُ مياهِ الحورية الآپية[١٥] .
ما أكثرَ ما ينصبُ كيوپيد شراكه للمحامى اللوذعى ،
فإذا الموكل بالدفاع عن غيره ، يُمْسى عاجزا عن الدفاع عن نفسه .
هنالك يكتشف الخطيبُ المفوّه قصورَ بلاغته ،
ويغدو مطالَبا بالدفاع فى قضية جديدة ، هى قضيته هو ،
بينا ڤينوس من معبدها القريب تسخر ممن كان منذ قليل محاميا ،
فإذا هو قد بات طرفا فى الدعوى .

* * * * *

أى مريدى
أوصيك بالمسارح تمارسُ فيها القنصَ ، فما أسخاها إشباعاً لرغباتك .
هناك ستجدُ ضالّتك المنشودة عِشْقا وَغزَلا :
إن شئتَ تذوّقتها مرّة ، وإن شئت تذوّقتها دهراً .
هل رأيتَ أرتالَ النمل غاديةً رائحةً وهى تحملُ غذاءها إلى مساكنها ؟
هل تابعتَ أسرابَ النحل ترفرف فوق الأزهار وحول شجيرات الزعتر ،



پيرسيوس ينقذ أندروميدا . تصوير جدارى رومانى . متحف نابلى .

خلال الخمائل التى تُؤثرُها فى أطيب الوديان شذى ؟ . . . . .
هكذا تخطر أسرابُ الحسناواتِ إلى حَلْبة الألعاب الحافلة .
ووسط تلك الحشود كثيرا ما طاش حكمى فى اختيار إحداهُن ،
يمضين جماعاتٍ يتشوَّفْن إلى الرجال ، كما يطمعن فى أن يتشوَّف الرجال إليهن .
حذار أيتها العفّة أن تُطِلّى ، فسوف يكون فى هذه الساحة حتفُك .
كنتَ يا رومولوس أول من بَثَّ الفوضى فى هذا الموقع .
حين أمست مَنْ اختُطفن من عشيرة « سابين »[١٦] ، مُتْعة للأعزاب من رجالك ،
وحين كان المسرح المرمرى لاتزال تُعْوِزُه الخيامُ الرائعة ،
ولم تكن رَدَهاته تتوهّج بعدُ بطلاء الزعفران الذهبىّ الوردىّ ،
بل كانت كل ما تزدان به ورقات أشجار الپالاتينوس[١٧] ، التى تتناثر عليه عَرَضا ،
وكانت المنصّةُ عاريةً من أيّة زينة .
كما كان القوم يجلسون على درجات معشوشبة ،
تتراكم على رءوسهم بشَعْرِها الأشعث أوراق الأشجار المتساقطة .
ويتلفّت كلُّ منهم يَمْنةً ويَسرةً ،
لعلّه تَقَرُّ عيناه برؤية من يتشهّاها من النسوة ،
ويمتلىء بلهفته إليها قلبه .
فى ذلك اليوم المشهود [يوم اختطف الرومان السابينات] .
هبّ الراقصُ يضرب أرض المسرح بقدميه مرات ثلاث ،
وحين بدأ عازفُ الناى يرسلُ أنغامه الساذَجة
دوّى تصفيقُ القوم يُجلجلُ جَلْجلة نَابِية .
وأومأ الملك إلى أتباعه المتلهّفين إلى اختطاف « السابينات » بالبدء ،
فما أسرعَ ما وثبوا وكأنهم وحوش كاسرة ، وقد تحشرجت حناجرهم بشبق عارم .
وأخذت أيديهم تهوى على مفاتن أجساد العذراوات لَهِفَةً نهمةً :
كُنَّ يماماتٍ مذعوراتٍ ينشدن الإفلاتَ من بين مخالب صقور جارحة ،
أو حِمْلانٌ رُضَّع يلمحن الذئب المفترس الجائع ،
فَزِعات يهرولن هربا بفرائص مرتعدة ، وفى أعقابهن البرابرة المختطفون .
ومن فرط الخوف علاهُن شحوب ، وانطمس لون البَشَرَة .
وإذا هنّ جميعا يتولاّهُنّ خوفٌ واحد ، وإن كان لكلٍّ منهن مع الرعب مسلكُها :
فمنهن من أخذن يشدُدْن جدائلهن ،
ومنهن من جَمُدن ذَهِلات لا يتحرّكن ،

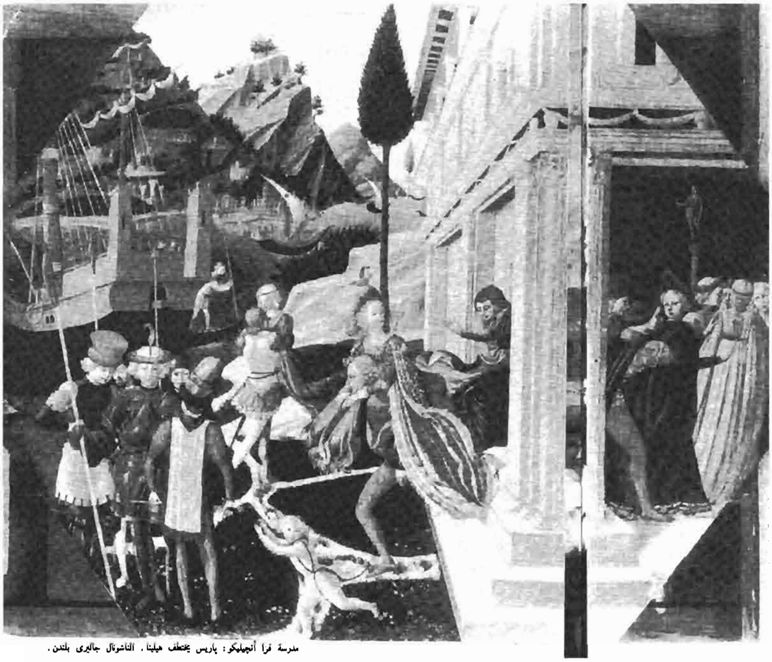
وواحدة تنتحب صامتة ،
وثانيةٌ تصرخ عبثا « يا أماه » ،
وثالثةٌ تحبس دمعتها وتُنَهْنِه ،
ورابعةٌ تخالفهنّ مُسْتسلمةً ، وأخرى تُولّى هاربةً .
والموكب يمضى بعرائسه الأسيرات ، يزددن فتنة رغم الذُّعر .
وحين تحاول إحداهن أن تتأبّى على آسرها ، يَضُمهّا إلى صدره الولهان ،
يرفعُها بذراعيه إلى أعلى ويناجيها :
« لِمَ تطمسين سحر عينك بالدَّمع ،
وأنا لن أتجاوزَ ما فعل أبوك بأمك » .
أى روملوس
لك تهنئتى ،

كنت فريدا . . . . تعلمَ وحدك كيف تسوقُ الأسلاب ، يستملحُها كل محاربٍ .
ومن أجل الأسلاب ، أحببتُ أنا أيضاً أن أنخرط فى سلكِ الجندية .
إذ انتقلت تلك التقاليد إلينا ،
فغدت مسارحُنا محفوفةً بما يقع للجميلات من مخاطر .
فلا تفوتنّك الحَلْبةُ حيث الجيادُ العريقة تتبارى ،
وحيث تجدُ وسطَ الزحامِ مكمناً تتطلّع منه إلى الحسناوات .
ولا حاجة بك إلى إيماءة رأس أو إشارة كفّ ،
فأنت فى غنى عن التلميح والمكاتيب .
قَرْ إلى جوارِ فاتنتك ، فلا حَرَجَ عليك .

واقترب لصقَها قدرَ طاقتِك ،
واشكر زحمة الجالسين فوق الدرجات ،
إذ أغلقوا السُّبلَ أمامها
فلم تجدْ مفرّاً من الاستسلام لدفء جوارِك .
بادر بتلمُّس موضوعٍ يجذبها لمحاورتك .
وابدأ بما هو محطُّ الاهتمام .
سَلْها فى شغف مفرط :
« سيدتى ، أىّ رهطٍ من الجياد نشهدُ » ؟
واستحسن قولتَها مهما كانت .
وحذار حذار ،

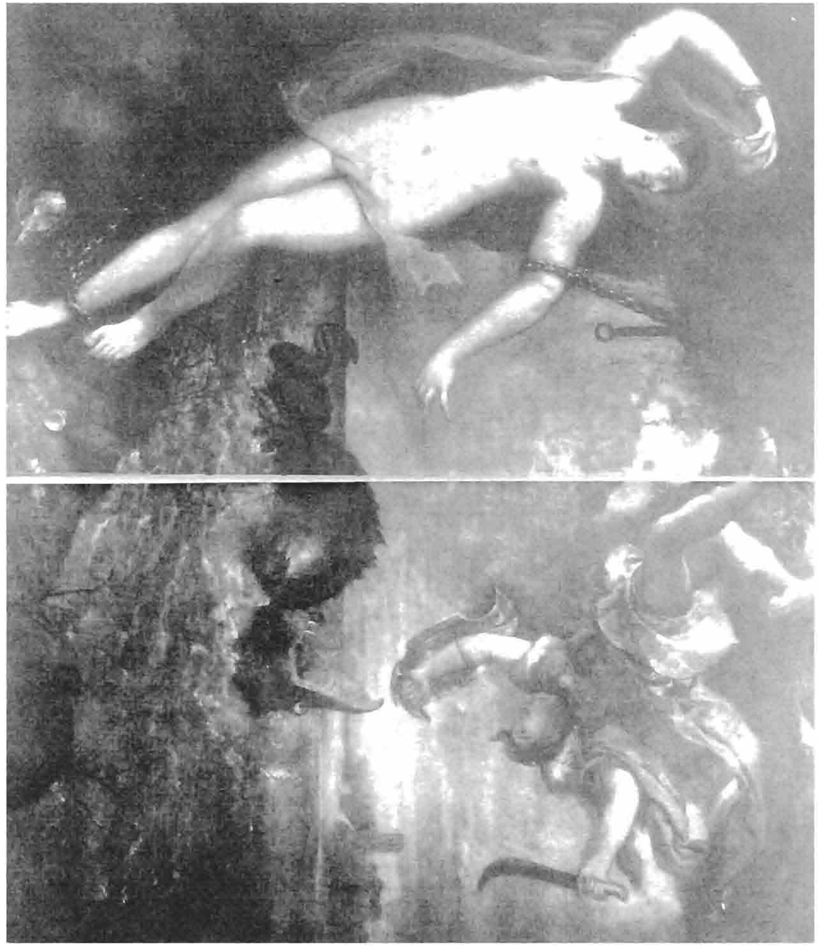
أنْ تنسى التصفيق بحماس لتمثال ڤينوس صاحبة الجلالة .
لحظة يُشرقُ فى الموكب[١٨] محمولا فوق أعناق المتبارين .
وحين تلمحُ ذرة غُبار تهبط على ثوبها فوق الفخذ ،
فبأناملك فى رفقٍ ادفعْها .
وإن لم تهبط تلك الذَّرة ،
فتوهّم واحدةً هبطت . . . وادفعها أيضا .
مباحٌ لك كل ما تتذرّع به لشدّ انتباهها .
فإذا الثوبُ على الأرض تدلّى وشابَهُ قذىً ،
فَثِبْ وارفعه بيديك الحاذقتين ،
فقد تُجزيك لقاء ما أسديتَ ،
بما لم تُنله غيرك من مُتعة النظر إلى ساقيها .
وتطلّع حولك لتطمئن إلى أن أحداً من الجالسين خلفك
لا يلمسُ مِنْكبها الناعمَ بساقيه غَزِلاً ،
فأهْونُ اللفتاتِ قد تُغرى عقولَهن النَّزقة .
وتُجذْيك كثيراً يدُك الأريبةُ حين تُسوّى حَشِيّتَها ،
أو حين تميلُ بمروحة تدفعُ عنها لَفْحَ القيظِ ،
أو أن تُرسىَ لقدميها متكأً .
هذى حيلٌ من غزل العصر ، يبسطها سخيّا جوُّ الملعب .
و « الفُورَمْ » أيضاً يمنحك الفرصة كاملة ،
رغم رمال الأرض المبتلة حُزْنا ، سُخْطاً
حيث تُراق دماءُ لتسرّى عن الجمع .
ما أكثر ما يقتحم كيوپيد الساحة ،
يُطلق سهما يُردى أحدَ النظّارة ،
يصرعُه وهو يتحسّسُ كفَّ فتاتِه ويثرثرُ معها ،
يسألها عن البرنامج ، وعن أىّ فريقٍ فازَ ؟
بينا هو لم يدفعْ ما راهن به إلا منْ لحظة ،
وإذا السهمُ يعاجلهُ ، فيرسلُ أنّاتٍ إثر الطعنة ،
وينقلبُ لساعته فصلاً بين فصول العرض .

* * * * *



مدرسة فرا أنجيليكو : پاريس يختطف هيلينا . الناشونال جاليرى بلندن .

تسيانو. بيرسيوس ينقذ أندروميدا. الناشونال جاليرى بلندن.



من عهد غير بعيد قدّم القيصرُ عَرْضاً .
يحكى معركة سالاميس البحرية بين الفرس واليونان[١٩]
وفدت جموعُ الفتيةِ والفتيات من مشارق الأرض ومغاربها ،
وكأن الخلقَ جميعاً قد حُشروا فى روما حشْراً ،
واعجبا
أيفتقر امرؤ فى مثل هذا الجمع الغفير إلى خليل !
كم من لمسة حب غزت قلوبَ نفرٍ من أهل روما بسهام العاشقين الغرباء !

* * * * *

قيصرُ يتأهبُ كى يطوى تحت لوائه ما بقِى من العالم خارجَ سطوته .
وأنتَ أيها المَشْرق النائى ، لسوف تجثو إلْيوم « طرواده » تحت أقدامنا .
أبشر يا كراسوس أنت وولدُك فى لَحْدَيْكما .
لتدفَعَنَّ الجزية أيها البارثىّ .
وأنتِ أيتها البيارقُ التى دنّسها البرابرة ،
آن لك أن تُنفى عنكِ الخِزْى ، وترفرفى ثانية فى الأجواء[٢٠] .
فالآخذ بالثأر لنا قائدٌ لا يُبارَى
يتأهّبُ رغم حداثة سنّه[٢١] ليشُنَّ حرباً يهابُها الفتيان .
كُفُّوا يا من تنخلعُ قلوبُكم خَشْيةً
عن إحصاء أعياد ميلاد آلهتكم .
أنسيتُم أن الإقدامَ ثمرةٌ مبكرةٌ لا يؤتاها سوى القياصرة ؟
هل فاتكم أن قُدرَةَ الأربابِ تنمو بخُطى تسبقُ سِنى أعمارِها ،

فلا تبالى فى انطلاقها بالعقبات الكأْداء .
فهرقلُ رضيعاً خنق بقبضتيه الثعبانين ،
وبات جديراً بأن يُعزى لأبيه چوپيتر .
وأنت يا باكخوس ، كنتَ مازلت صبياً
عندما أرهب صولجانُك الهندَ ، فغزوتَها .
أى قيصر الفتىّ
ببركات جدِّك وبوحى من شجاعته ستحذقَ توجيه جُندِك .
وبرعاية جدِّك وبوحى من شجاعته سوف يكلّل النصرُ جبينَك .

ومادام لك هذا الاسمُ الجليلُ ، فالنصرُ حليفُك .
أنت اليومَ أميرُ الشباب[٢٢] ، وغداً أميرُ الشيوخ .
اذكر أخوةً لك[٢٣] سامهم العدوُّ سوءاً ،
وذُدْ عن حقوق جدِّك ،
بعد أن اغتصب العدو رُكناً من عرشه ، مستهيناً بخالد مشيئته .
لقد قلّدك جَدُّك السلاحَ ، وسلاحُك مشروع ،
فباسم الحق والواجب يرتفع لواؤك ، بينا سلاحُ خصمِك السهامُ الغادرة .
قضية الپارثيّين خاسرة لا يساندُها حق ، فلْتَذِقْهم ويلَ الهزيمةِ فى الحرب .
أى أبانا مارس
أى أبانا قيصر[٢٤]
ناشدتُكما وهو ينْفِرُ إلى القتال ، أن تُسْبغا عليه البركة ،
كى يضيفَ كنزَ الشرق إلى مُلْك لاَتْيُوم ،
فأحدُكما إله ، والثانى صاعدٌ إلى الألوهية .
ها كم نبوءةً فاشهدوا :
النصر نصيبُك ،
ونصيبى . . . شَدْوى أغنيةُ النصر ،
ودَيْنُك عندى أن ألهَج جَهْرا بثنائك .
كالطود الراسخ تمضى تردّدُ كلماتى ، تُذكى بها حماسَ الجند .
ناشدتُك ، ألاّ تَقْصُرَ همّتُك عن مقالى .
وأعاهدك أن أُشيدَ بإقدام الرومان ، وأُندّدَ بفرار الپارثيّين ،
وبسهامِهم تُفْلتُ منهم ذُعرا من فوق صهوات جيادِهم المتقهقرة .
إذا كان الفرار أيها الپارثىّ هو سبيلُك الوحيدُ للنصر ،
فماذا تُراك للهزيمةِ أبقيتَ ؟
إن حربَك أيها الپارثىّ تحملُ الشؤمَ إليك .
ولينبلجنّ لك يومٌ يا قيصر ،
تتألق فيه بوسامتك فى حُلّتك الذهبية .
متصدّراً مركبتَك ، تجرُّها جيادٌ أربعةٌ ناصعةُ البياضِ كالجليد ،
بينا يُساقُ إليك سادتُهم مكبّلين بالأغلال ، وقد قطعت عليهم سُبل النجاة ،
فلا يفرّون كما هو دأبُهم .
لَيَفِدَنّ الشبابُ المرحُ فتيةً وفتيات ،

تخفق قلوبهم وهم يستشرفون موكبَ النصر .
فإن سألتك عذراءُ من بينهن عن أسماء الملوك ،

أو رموز الأقاليم والجبال والأنهار المحمولة على الأكتاف ،
بادر وأسْهِبْ فى الوصف ، ولا تُقْصر إجابتَك على ما تُسأل عنه .
وإذا غاب عنك ما تجيبُ به فلا تتهيّبْ ،
وأَسرعْ بالتلفيق ، وكأنك بكل أمرٍ عليم :
« انظرى
هذا التمثال الذى اكتنفت جبهتَه القصباتُ هو الفرات ،
وذاك الذى تنسدلُ خصلاتُه الزرقاءُ الداكنةُ هو دجلة .
ولا تثريبَ عليك يا صاحِ إن قلتَ عن قوم إنهم الأرمن .
وإليك بلادَ فارس التى شادها پرسيس حفيدُ چوپيتر وداناى[٢٥] ،
وتلك مدينة فى الوديان الأخمينية » .
وهذا وذاك من القادة والزعماء ؛
من تبيّنتَه من بينهم فسمّه باسمه ،
ومن جَهلتَه فاخلع عليه اسماً يناسبُه

* * * * *

وما أكثرَ ما تتيحُ الولائمُ من فرصٍ ،
ترشفون فيها إلى جوار النبيذ نشوةً أخرى .
وربُّ الهوى المتألّق البَشَرة ،
بذراعيه الغَضّتين يلفّ معانقا
قرنى باكخوس الثّمل المسترخى .
وعندما يغمر النبيذ أجنحةَ كيوپيد العطشى ،
يُذْعن أسيرا وينوءُ بحمله عاجزاً لا يبرح ،[٢٦]
ثم ما يلبثُ أن ينفضَ جناحيه ينضو عنها البلل ،
فتتطاير قطراتٌ تقعُ على الصدورِ
وتنفذُ إلى القلوب وكأنها سهامُه .
النبيذُ يَهَبُ الشجاعة ، ويؤجّج فى الرجال لواعج العاطفة المشبوبة .
ينتحر الهم غريقاً فى بحر من خمر ، وتُشْرقُ الوجوهُ ضاحكةً .

حتى المكدودُ منا ، تُشرقُ روحُه . . وينبضُ قلبه فرحا ،
انحسر الحزن عنه وانبسط جبينُه .
فإله الخمرِ يجلو ما يُخَبِّىءُ معاقرُها ويَحُلُّ لسانَ الثملِ ،
فيثرثرُ فى صراحةٍ ، ما أندرها فى هذا العصر .
لحظتَها تستلبُ الأنثى لُبَّ الذَّكَرِ ،
ڤينوس فى كأس الخمر نارٌ تتوهّج فى نار .
وحذار أن يَسْتَهْوِيكَ خداعُ المصباح الخافت ساعةَ تَثْمُل ،
فالخَمْرةُ والعَتَمةُ يُغشِّيان الأعْين ، فيطيشُ صوابُ الرائى .
وباريس لم يقض لڤينوس بالتفاحة الذهبية [جائزة الجمال] ،
قائلاً : « إن جمالك لا يتألقُ فوق جمال چونو ومينرڤا »
إلا فى أوجِ الظهيرة .
احذر فالليلُ يسترُ العيوبَ ،
والظلمةُ قد تعيرُ الشمطاءَ صِبا .
وكما تحتكمُ إلى ضوء النهار حين تنتقى الجواهر ، أو تختارُ الصوف الأرجوانى ،
لُذْ به بالمثل حَكَما ، لتجتلىَ سماتَ الوجه واستدارة الجسد .

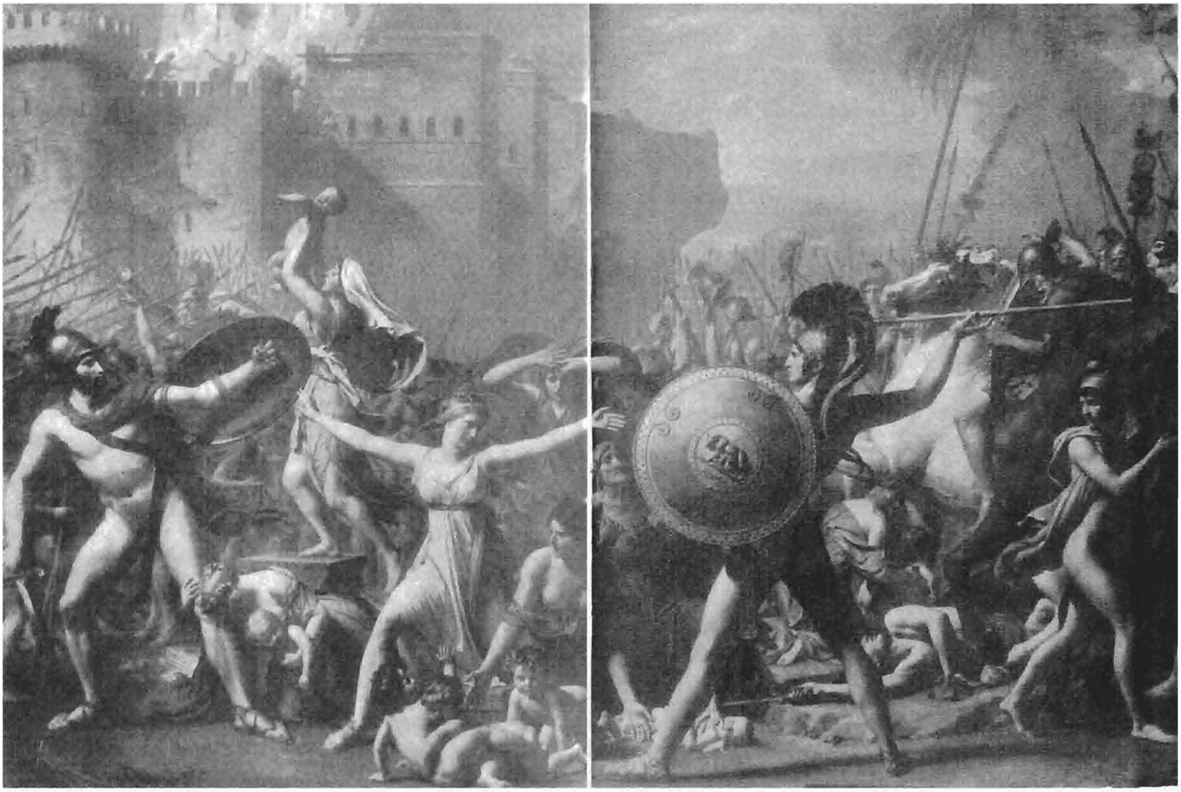
* * * * *

ما أغنانى عن أن أُحْصىَ لك منتدياتِ الصَّيد وهى كالرمال عدًّا .
ماذا أحكى عن باياى[٢٧] وعن ساحِلها ،
وعن الينابيعِ التى تُطلق أبخرةَ الكبريت الدافىء .
هل بلغك نَبأُ التعس العائد من عند النبع ،
يحمل جُرحا فى القلب ويصرخ : واقلباه . .
واخيبةَ أملى ، تلك مياهٌ لا تَشْفِى كما زعموا ؟
انظر ،
على مرمى البصر من روما أجمةٌ تضم معبدَ ديانا[٢٨] ،
مملكةٌ يحكمها بالكفُ الآثمِ
من يُجهزُ بالسيف على سَلَفِه .
لاذت الربّة ديانا بالعُذرية ، ونفرت من كيوپيد وسهمِه .
ومضت تُلحقُ الطعنات بالعشّاق .
ولن تتوقف .

* * * * *



روبنز : اختطاف السابينات بإشراف رومولوس . الناشونال جاليري بلندن .



دافيد: السابينات يفصلن المتحاربين الرومان والسابين حقنا للدماء. متحف اللوفر.

خطّت ثاليا ربّة الفن
ـ مُنْطلقةً على عجلتين تكبرُ إحداهما الأخرى ـ[٢٩]
خريطةً للحب مازالت حتى اليومَ
تكشف كلَّ مكان يمكن أن تنشرَ فيه شباكَك .
والآن استمعوا يا صحاب ، أيًّا كنتم وأنّى تكونون ،
أَصْغُوا لى بعقول تستوعب .
لَأجُودَنّ بحذقى كلِّه ، وَلأكشفنّ جِيَلا لا تُفْلِتُ منها من تستهوى القلبَ .
بَادىء ذِى بَدْء ، لتقَرَّ الطمأنينةُ بين جوانحِكم .
فالمرأة مهما تتأبّى صيدٌ يُقتنصُ .
انصب شَرَكَك تَظْفرْ .
فلقد يسكنُ تغريدُ الطيرِ فى الربيع ،
وينقطعُ صريرُ الجُنْدب فى الصيف ،
ويعدو كلبُ الصيَّد فرارا من الأرنب البرى ،
قبلما تنجحُ المرأةُ فى صدّ عاشق يجيدُ الغزل .
حتى من تخالُهَا تتمنّع ، يمكنُ أن ترضخ .
وكما أن الحبَّ المختلَسَ للرجلِ لذّة ، فكذلك هو للمرأة لذّة .
يُخْفق الرجلُ عن إخفاء مشاعره ، بينا تفضُلهُ المرأة فى إخفاء رغبتها .
آه ، لو أمكننا أن نتماسك ، ونكبحَ أنفسَنا ،
فلا نبدأُ بالإقدام ، ولا نسعى للمرأة نتوسّل ،
إذن ، لا نقلب الحالُ وتوسّلت المرأة .
لو أنّا نتأملُ دروسَ الكَوْنِ ، لسمعنا فى المرج الناعم
خُوارَ البقرة يدعو الثورَ ،
وصهيلَ الفرس تنادى الجوادَ ذا الحوافر الصُّلْدَة .
الشهوةُ فينا أضعف ، إن قيست بسُعار المرأة ،
والشعلةُ فينا مهما اتّقدت لا تعدو حدوداً مرسومة .
وما أنا بحاجة أن أحدِّثَكم عن « بيبليس »
التى التهبت مشاعرها بعشق محرّم لأخيها[٣٠] ،
ثم كفّرت عن خطيئتها بشنق نفسها غير هيّابة .
وعن « موژها » التى تولّهت بأبيها عن ولهٍ محظور ،
لا عن حب معهود من بنتٍ لأبيها ،

فمسخِتها الآلهةُ شجيرةً تحمل دمعتُها اسمَ المُرّ مازلنا نَتَضَمُّخُ بشذاها العَطِرِ .
وفى الوديان الظليلة من غابات إيدا الكريتية ،
كان فَخْرَ القطيع ثورٌ أبيضُ بياضَ اللبن ،
لا تشوبهُ سوى حُلكةٍ بين قرنيه ،
تتمنّى بقراتُ جنوسيا وسيدونيا أن يَعْلُوها .
ولكم تاقت [الملكة] پاسيفاى شغفا أن تُصبحَ يوما للثور خدينة
وكم حقدت على البقرات الوسيمة ، تتفرّسهن حاسدةً واجدة ؟
وما بوسع كريت ذات المائة مدينة ،
أن تنكر ما كان ، على أية صورة كان كذبُها[٣١] .
فلقد قيل إن پاسيفاى كانت تجمعُ بيديها المرهفتين الأعشابَ الغضّة
من أنحاء المرج ، تعلفُ بها آسرَ قلبِها ،
ولم يُثْنِها عن أن تنخرط فى القطيع ما كان لزوجها من مكانة .
وهكذا أتاحت لثور أن يستهين بمليكها مينوس .
لم تَعُدْ ثيابُ المُلْكِ الأرجوانية ذات جدوى لك يا پاسيفاى .
أتتجمّلين بها وحبيبُك ثورٌ ، لا يُلقى بالاً للزينة ؟
وما غَنَاء المرآة عندكِ ، آبقةً بين القطعان على سفوح الجبال ؟
أتخالين أيتها العاشقةُ الطائشةُ أن جمالَ جدائلِك المضفورة يَلْفِتُ إليكِ معشوقَك .
هلا ردَّتكِ إلى وعيك مرآتك !
وهل تراءيت فيها غيرَ واحدة من البشر . . . لا البقر ؟
كيف تمنيتِ أيتها الملكةُ أن ينبت بجبينك قرنان !
أى پاسيفاى ،
كيف تبغين الخَنَا ، ولَدَى زَوْجُكِ ما يُغْنِيك ؟
وإذا كان لا معدى لك عن أن تَفْجُرِى ،
فلتختارى لك فاجرا من البشر .
وما تلبث الملكةُ أن تهجرَ قصرَها إلى الغابات والوديان ،
وكأنها على موعد فى حفل صاخب أعدّه الإله باكخوس .
تحملق فى كل بقرة تقعُ عليها عيناها وتردّد :
« تبّاً لكِ حين تَسْتَمْتِعِين دونى بعشيقى ومالكِ قلبى
أىّ لعوبٍ أنت تتأوّدين أمامَه ،
فوق العُشْبِ الناعم كى تستلبى لبَّه ! »



وإذا الملكةُ تأمرُ ظُلما فتُساق البقرةُ تِلْوَ البقرة ،
إما للحقل لتنوءَ بنير المحراث ،
أو للمذبحِ كى تُنحر قربانا .
وما أكثر ما فتكت بغريماتها باسم الآلهة خداعاً ورياء ،
تَنْشُدَ زَيْفاً أن تَشْفىَ غُلَّتها .
تميل على غريمتِها المذبوحة ، تنتزعُ قلبهَا وتعتصرُه فى نشوة ،
وتتمتم بشماتة : هيَّا وأرينى الآنَ كيف تستهوينه » .
حسدتْ أوربا [أميرة فينيقيا] أن ضاجعها چوپيتر فى هيئة ثور ،
وتمنّت لو مُسخت بقرة شأن إيو عندما واقعها ربُّ الأرباب .
واحتالت على الثور الفاتن حتى جامعها وأودعها نطفته ،
مستخفيةً فى بقرة من خشب ،
ونسلت منه دَنَساً لوَّثت به سلالتَها .
لو أن إيروپى الكريتية لِم تُذْعِنْ لغواية ثيستيس
لانطلق فُويبُوس إلهُ الشمس فى دورته[٣٢] ،
لم يكبحْ خيلَ مركبتهِ ،
ولم يرتدَّ سريعاً صوبَ الفجر .
[ما أنفسَه عطاءً أن تَقْصُرَ أنثى ملاذً هواها على رجلٍ وحده] .
« سكيللّا » المولّهة عشقا[٣٢] استلبت أباها نيسوس
حين غفا سرٌّ قواه ، خصلةَ شعرهِ الذهبية ،
منحتها خصمَ أبيها عربونَ هواها .
فجازتها الآلهة بزمرة من كلاب مسعورةٍ تحيطُ بخَصْرِها .
وكليتمنسترا ، ما إنِ عاد زوجُها أجاممنون سالما
من المعارك التى يشنُّها « مارس » برّا ،
ومن العواصف التى يثيرها « نپتون » بحراً ،
حتى سقط صريعَ غَدْرِها .
و « ميديا » الساحرة ،
ما كاد زوجُها [ثيسيوس] يهجرها إلى « كريوسا »[٣٤] الكورنثية ،
حتى غلا جوفُها وأُوغِر صدرُها .
[فأهدت كريوسا ثوبَ زفافٍ مسموما] أضرم فيها النارَ لساعتِها ،
ومن ذا الذى لم يذرف على كريوسا دَمْعَه !

لكن غليلَ ميديا لم يُشف ،
فانقضّت على فلذات كبدِها [من ثيسيوس] وخضّبت بدمائهم كفّيها .
و « هيپوداميا » زوجة أمينتور الموتورة ،
اسْتَعْدَت ولدَها فينيكس[٣٥] ليُغْوِيَ عشيقةَ والدِه ،
وصبّ أبوه عليه اللعنة ، فذرف دموعاً من مُقَلٍ غاض نورُها .
وأنتِ أيتها الجيادُ المذعورة ،
ألم تمزِّقى هيپوليتوس إرْباً إرْباً ؟[٣٦]
وأنت يا فينيوس
أوَ لَمْ تَسْمَلْ عيون أبنائِك الأبرياءِ
لَعَمْرى سوف تكابِدُ المصير عَيْنَه[٣٧] .

* * * * *

هذى كلُّها جرائمُ بشعة ، ارتكبتها نسوةٌ أعماهُن العشقُ .
فسعارُ الأنثى محمومٌ
يُسلمُها إلى جنون محتوم .
هيّا صاحبى لا تتردّد ، فالمرأةُ رهنُ إشارتِك .
ما أندَرَ أن تتأبّى إحداهن .
ولا تخشى هزيمةً ، فجميعهُن بالغزل يسعدن ،
مَنْ قبلت منهن ، ومَنْ تأبّت .
استعرض كلَّ جديدٍ من الألاعيب تستهويهنّ .
فما لا نملكُ أكثرُ إغراء مما نملكُ .
ومحاصيلُ حقولِ الآخرين أوْفَى ،
وضروعُ قطيعِ الجار أسْخَى .
ابدأ بالتقرّب إلى وصيفةِ فاتنتك ، فهى الآخذةُ بيدك إليها .
وتأكّد أنها كاتمةُ أسرارِ سيدتها ،
وأنها جديرةٌ بثقتك حين تأتمنُها على لهوك المختلس .
أغْرِها بالوعود والرجاء ،
فإن صدقت نيّتُها باتت ضالّتك قريبةَ المنال .
وستُحسنُ هى اختيار الموعد فى ساعات الصفاء



بوجيه : پيرسيوس ينقذ أندروميدا . متحف اللوفر .



تييولو : ڤينوس والزمن . ناشونال جاليرى بلندن .

ـ مثلما يجيدُ اختيارَه الطبيبُ البارع ـ
عندما تغدو السيدةُ مشبوبةَ النشوة ،
كأعواد القمح المتأوّدة فى الحقل الوفير ،
وعندما يطرح القلبُ أشجانَه ويتفتّح طربا ،
فتتهيأ الفرصةُ لڤينوس كى تتسلّل بفنون الغواية .
أَوَ لم تصمد طرواده تحت وطأة الحصار وهى مقهورة ،
وما كادت تستروحُ [حين أوهمها العدو بالانسحاب] ،
حتى استقبلت الحصانَ مرحّبة ،
بينا خصومها مستخفون فى جوفه ؟
على هذا النحو ، بيدك أن تملك فاتنتَك إن أحنقها غريمك فخانها مع أخرى
فلتأخذ على عاتقك أن تنال آسرة قلبك ثأرَها منه على يديك .
حُضَّ وصيفتَها على أن تُذْكِىَ نارَ حَنَقِها وهى تمشّطُ خصلاتِ شعرِها فى الصباح .
وضُمَّ إلى دَفْعةِ الشراع قوةَ المجداف ؛
وأوص الوصيفةَ أن تُرسلَ زفراتِ الإشفاق عليها ،
وهى تهمس لها وكأنما تناجى نفسها :
« من أسفٍ أنكِ لن تَقْوَىْ على أن تردّى له الصنيعَ بمثله[٣٨] ! » ،
وأن تثيرَ إعجابها بك ،
مُقْسِمةً أن الهوى يعتصرُ قلبَك والجوى يستعبدُك .
ولكن حذار أن تتباطأ .
أسرع قبل أن يهبطَ الشراعُ وتهمدَ الريحُ ،
فقد تكون عاصفةُ الغضبِ كالثلج الهشّ سرْعان ما يذوبُ .
وإذا راودك شعورٌ بأن إغواءَ الوصيفة قد يُجديك . . . فتمهَّل .
قد يحملِ هذا الطيشُ بين طيّاتِه مُخاطرةً .
فمطارحةُ الغزل لأكثر من واحدة
قد تُشْعِلُ حماسَ وصيفةٍ بينا تُصيبُ أخرى بالخدر
وهذه قد تحتفظ بك لنفسها ،
ولا تهدأ تلك حتى تُسْلِمُك سيدتَها .
وهكذا قد ينتهى بك المطافُ إلى حيث لم تُرِدْ .
وقد تكون هذه مخاطرةً جديرةً بالتجربة ،
إلاّ أنى أُخلصُك النصحَ أن تكفَّ عن خوضها .



لاستهان : چونو [هيرا] تضبط زوجها چوپيتر [زيوس] متلبساً مع إيو فتمسخها بقرة . الناشونال جاليرى بلندن .

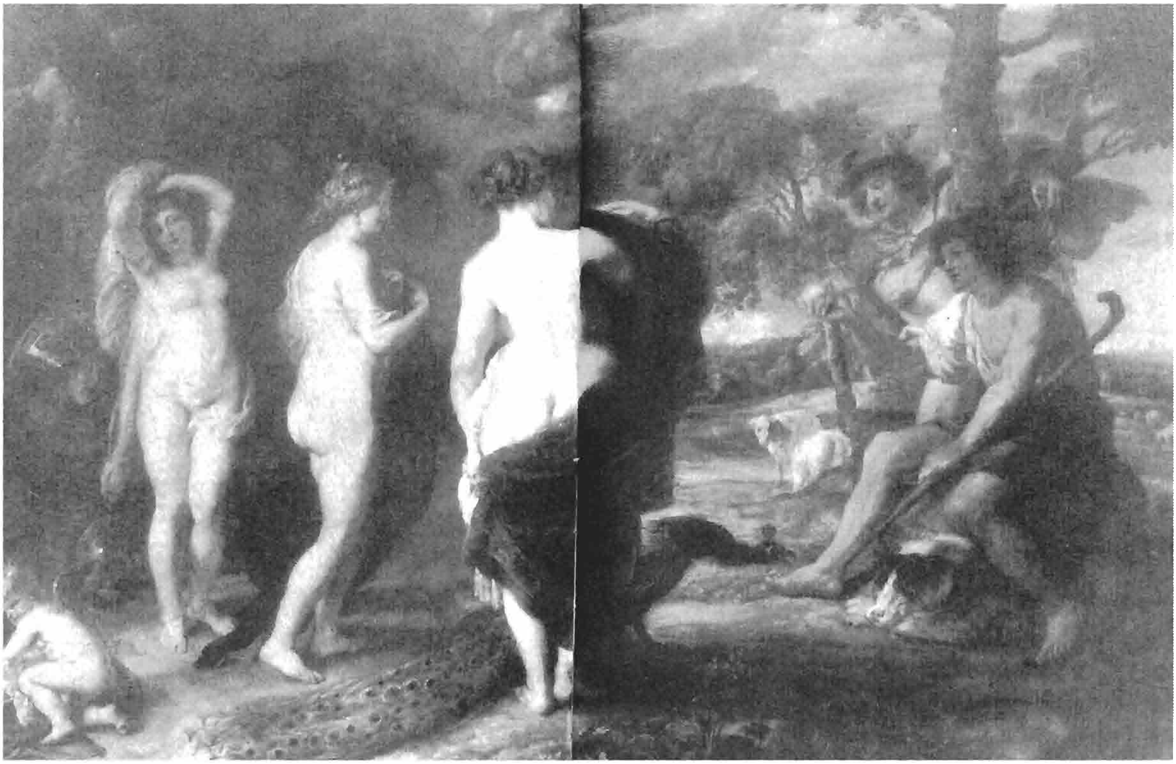
فلستُ ممن يضربون فى قمم الجبال أو يسلكون السفوح الهاوية ،
فلم تَزِلَّ قدمُ شابٍّ مضى على هَدْىِ خطاى .
ومع ذلك فإن أحسست خلال مسعاها بينكما
أن لقوامِها جاذبيةَ حماستِها
فتعجّلْ الظَّفرَ بسيدتِها مُرْجئاً أمر وصيفتها إلى ما بعدُ ،
وإذا لم يكنِ لك مَعْدًى عن مغازلتها فالزم الحذر .
إذا وثقت بنُصحى فلا تدع الرياحَ المُوجَ تذرو كلماتى صوب البحر .
أيقن بقدرتك على الفوز بها قبل أن تغامر ،
فمن شاركتك الإثمَ لن تشى برفيق خطيئتها .
والطائرُ يعجز عن الإفلات بعد أن يحطَّ فى الشِّباك .
والخنزير البرّى يخفق فى التملّص إن وقع فى الشراك .
دع السمكةَ جريحةَ الشِّص عالقةً به ،
فإذا أخذتَ فى الهجوم فأَعِدْ الكَرَّة ،
ولا تبرحِ ساحة الوغى حتى تكلَّلَ بالنصر هامتك .
ولا تخشَ غدرَها متى تواطأت معك فى المعصية .
واستقِ عن طريقها أسرار سيدتها ،
واحتفظ بخبيئة أمركما فى الأغوار .
إن أنت فعلتَ ،
فلن تغيب عنك لفتةٌ تصدرُ عن آسرتك .

* * * * *

ولا يخطرنّ ببالك أن معرفةَ المواسم والفصولِ
حِكْرٌ على الملاّحين ماخرى العُباب ،
أو على الفلاحين الكادحين فى حرث حقولهم .
وكما أنك لا تنثرَ الحنطة فى التربة العاقة فى كل المواسم ،
ولا تأمن لقاربك المقعَّر أن يكون نهباً للخضمّ الأخضر[٣٩] فى كل الفصول .
كذلك ليس اصطياد الصبايا مأمون العاقبة فى كل الأوقات .
فهذا الذى يُحسنُ التوقيت هو وحده من يفوز .
فلا تسع إليها يومَ عيدِ ميلادها ،
وتجنّب أيامَ ترقُّب الهدايا حين يأفلُ شهر مارس ويولد شهر ڤينوس[٤٠] .

وسواء كانت حلبةُ الملعب كما كانت فى الماضى خالية من الصور والتماثيل ،
أو كانت عامرةً بغنائم الملوك يتقاطرُ الناسُ إليها ،
تَراخَ أنت والتمس مهرباً .
واعلم أن هذا الوقتَ مهددٌ بمخاطر العواصف ،
لأن كوكبَى الثريا والجَدْيين تلتقيان بأمواج البحر قربَ الأفق[٤٠] ،
فمن الحكمةِ أن تُرجىءَ خطوَك .
فالملاّحُ الذى يُسْلمُ آنذاك مركبَه إلى موجِ الخضم العميق ،
قد يَشقُّ عليه أن ينجوَ ببقايا قاربه المحطم .
صِل سعيك حين يفيضُ نهر الآليا المشئوم ، بدماء جروح اللاتين[٤٠] ،
وفى نهاية أسبوع يهود الشام حين يكفّون عن البيع والشراء[٤١]
ولتحذر ذكرى يومَ مولدِ فاتنتِك ،
ما أغبَرَه يوماً لا مهربَ فيه من تقديم هدية ،
فالمرأةُ بارعةٌ فى سلب عشيق متلهّفٍ ثروتَه .
سيمرُّ بباب عشيقتِك بائعٌ من الطُّغامِ جائلُ ،
يعرض ما يحملُه من سلع ، وهى تهفو نفسا للشراء ،
بينا تجلسُ أنت إليها مذعورَ الجَنَان .
ستحاولُ إيقاعَك ، إذ تسألك الرأىَ فيما هو معروضٌ ،
وتُذْكى فيك خُيَلاءَك كى تبدوَ خبيرا ذوّاقة .... وتُجيب .
ستغمرُ وجهَكَ بالقبلات ، تستجديك شراءَ ما يستهويها ،
مُقْسمةً ألفَ يمين أن سيكفيها سنينَ طويلةً .
وما أنسبَه يوما فالسعرُ مُوَاتٍ ، والحاجةُ ماسّة .

ومهما راوغت مدّعيا أنك لا تحملُ فى جيبك ثمنه ،
ستقولُ « لا حرج عليك ، وقّع صكّا بالمبلغ » .
عندها ستندمُ أن تعلّمتَ الكتابةَ .
وستستهديكَ هديةً ، تدعوها « كعكة مولدها » .
وتعيدُ الكَرّة ، لا تتحرّج من اختلاق عيدٍ آخر لمولدها
كلما شاءت اقتناء هدية .
هَبْها فجأة سكبت دمعا زاعمةً فُقدان شىء لم يُفقد .
ماذا تفعلُ إن قالت : « من قُرطى سقط اللؤلؤ » ،
بينا تعلمُ أن القرطَ من اللؤلؤ عارٍ؟



روبنز : تحكيم باريس . الناشونال جاليرى بلندن .

فى النسوة شرهٌ إلى الاقتراض دون نيّة إلى السّداد
تُفقدُك مالَك ولا تمنحُكَ حقَّ الدائن .
عشرةُ أفواهٍ ، بل عشرةُ ألسن .
لا تكفى يا صاح كى أُحصىَ أحابيلهن الماكرة .

* * * * *

ابْسُطْ الشمعَ فوق ألواح الكتابةِ الملساء قبل أن تخطّ عليها الكلمات .
واهمس لكِتابِك بنواياك ،
حمِّلهَ نبضَ وجدانِك ، وانبهارَك بمفاتنِها ،
وأضف ضراعاتَ الحبِّ عربونا لتستميلَها .
فمن قبلُ استمالت الضراعةُ قلبَ أخيل ، فأعاد جثةَ هكتور إلى أبيه پريام .
والآلهةُ الغضبى ، لا يحرِّكُ قلوبَها غير ضراعات الضارعِين .
امنح الوعودَ ، فليس عليها حسابٌ ، وبالوعود يغدو كلُّ امرىءٍ ثريًا .
والأملُ يُعشِّش طويلاً فى القلوب إذا غزاها ،
فهو ربٌّ خادع حينا ، وحينا نافعٌ .
ولا تدع السكينةَ تُخالجُك إذا أنت قدّمت لعشيقتك هديّة .
ما أيسر أن تَخذُلَ مطمعَك مادام عطاؤك قد بات فى حوزتها ،
دون أن تُنيلَك جزاءَ ما قدّمتَ .
وخيرٌ لك أن تبدوَ دوْما وكأنك على وشك عطاء لن تمنحَه ،
كالحقل الجَدْبِ يُضلِّلُ صاحبَه ،
وكالمقامرُ الجشع لا يتوقفُ عن قذف النّرد إذا خسر ،
لعلّه يردُّ عنه مزيداً من خَسارة .
بلا هدايا مُسْبقَةٍ ، اظفَرَ بحب معشوقِتك ،
« هذا هو العناء بعينه ، وهذا هو العمل الجاد »(٤٢) .
ثِقْ أنها ستَهَبُك المزيدَ ، مخافَة أن يضيعَ ما قَدَّمته لك عبثا .
عجِّل إذن برسالة منمّقةٍ تهزّ كلماتُها أعماقَ وجدانها ،
ولتكن رسالتُك رسولَ هواكَ .
أَوَ لم تقرأ سيديبى الرسالةَ المسطورةَ على التفاحة ،
فإذا هى تقعُ أسيرةَ ما فاهت به(٤٣) ؟

* * * * *

أى شبابَ روما ،
عليكم بفنون القول الرفيعة ،
لا تُقصروها على موكّليكم المتوجّسين خيفة [فى ساحات القضاء] ،
فليست المرأة أقلّ استسلاما لسحر البلاغة ،
من القاضى الجاد أو الشيوخ المنتخبين أو جموع المستمعين .
ولكن احذر الإغراق فى بلاغتك أو الإسراف فى فصاحتك .
فليس غَيرُ الأحمق هو الذى يُفرغُ حديثا طنّانا فى أذن حبيبته الرقيقة
وكأنه يخطبُ فى حشدٍ ؟
كم من رسالة تنبضُ بالحماس الجيّاش أورثت النفور !
فلْيُوح أسلوبُك بالثقة والبساطة ،
ولتنتق من الألفاظ المألوفة أعذبهَا ،
لتجعلها تُحسُّ صوتَك عند قراءتِها .
فإن ردّت مكتوبَك غير مقروءٍ ، فلا تيأسْ ،
وازدد أملًا أنها ستطالعُه يوما .
فالثور العنيد لا يُقبل على الحرث إلّا بعد الدُّربة ،
والفرس الجموح تلفُظُ العِنَانَ ، ثم ما تلبثُ أن تتقبَّلَه طيّعةً ،
والخاتمُ المصوغُ من حديد يتآكَل بطول المدى ،
وتكرارُ الحرث يُثْلم نصلَ المحراث المقوّس .
وأى شيءٍ أصلبُ من الصخر ،
وأى شيء ألْيَنُ من الماء !
ومع ذلك فالماء الليّن ، يَخْرِقُ الصخرَ الصلبَ .
ثابرْ ، فبالمثابرة قد تقهرُ پنيلوپى نفسَها[٤٤] .
وطروادة الپرجامية ظلّت صامدةً سنواتٍ عشراً ،
ومع ذلك سقطت .
هَبْ أن فتاتَك قرأت مخطوطَك وتهاونت فى الرد عليك .
فلا تَهُن عزيمتُك ،
ولا تَقْسِرْها واحرص أن تُتْبِعَ المخطوطَ بثانٍ يحملُ مزيدا من ثناء .
فمن قبلتْ أن تقرأ ستقبلُ يوما الردّ على ما قرأت .
سيأتى ذاكَ اليومُ على رِسلْه .
ولا تَقْنَط إن حاءك أولُ مكتوبٍ ينهاك فى عنفٍ عن مضايقتها .



رينيو: تحكيم باريس.   محلات بيلوز للتصوير بباريس



بوشيه : ديانا تأخذ زينتها .   محلات بيلوز للتصوير بباريس .



مدرسة فونتنبلو: ديانا الصيادة. متحف اللوفر.



جوستاف مورو: پاسیفای والثور.

واعلم أن ما تنهاك عنه هو ما تخشى أن يقع بينا هى تهفو إليه .
وأن ما لا تنهاك عنه هو أن تلاحق سعيَك .
امضِ فى إلحاحِك ،
ولَتحظينّ يوماً بضالّتك .
وفى انتظار أن يجىء هذا اليوم ،
إن لَمَحْتَ محبوبَتك تتكىءُ على وسادة الهودج المحمول ،
اقترب منها بحرص خَشيةَ أن تسترقَ أذنٌ متطفّلةٌ الاستماع إلى همساتك .
أَخْفِ مقاصدَ الكلماتِ ، غلّفها ما استطعت بالغموض الماكر .
وإذا وطئت قدماها المتهاديتان أرض الرواق الفسيح ،
اقترب منها وشاركها خطوها المتهادى مداعباً .
اسبقها مرة واتبعها أخرى .
أسرع تارة وتلكّأ أخرى .
ولا تتردّد فى التسلّل بين الأعمدة التى تفصل بينكما ،
قاطعا عليها خط السير أو مُلْصِقاً جنبك بجنبها .
ولا تدعها تحسبُ فتنتَها قد ذهبت فى المسرح بددا ،
دون أن تَشُدّ إليها انتباها ،
فثمة فوق كتفيها ما يجدر بك أن ترنو إليه .
طاردها بنظرات تُفصح عن إعجابك .
صِلْ غزلك بإشارات يديك وإيماءات حاجبيك .
صفّق حين يحاكى الممثل رقصة أنثى ،
وزِدْ تصفيقا حين يؤدى دور العاشق أيّاً كان
وانهض ما نهضت .
واقعد أيضا إذا ما قعدت .
طَوِّعْ وقتك وفق مشيئة فاتنتك .

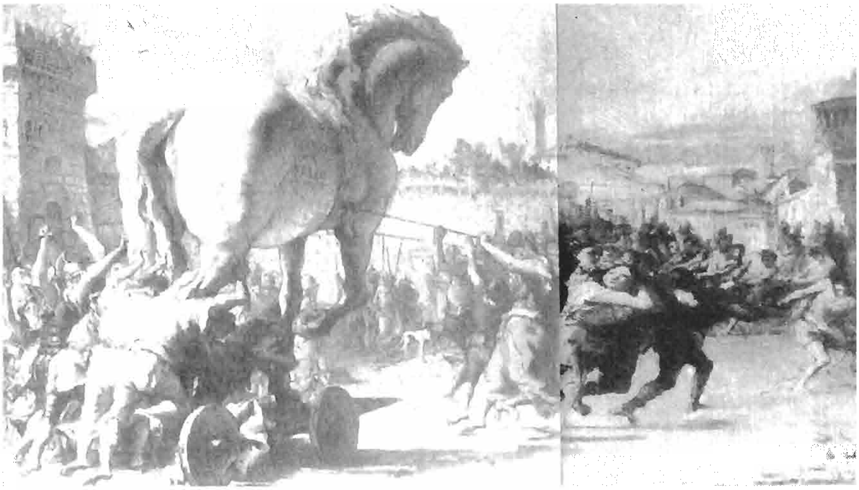
* * * * *

ولا حاجة بك أن تُصفّف شعرَك بالمِكْواة ،
ولا أن ترقّقَ سيقانَك بحجر الخِفَاف .
دع هذا للخصيان المهلّلين لربّتهم كوبيلى[٤٥]
بإنشادهم المحموم الفريجى النغمات ،
فالأَحْرى بالرجل ألّا يغالى فى تجمُّله .

فقديما غزا ثيسيوس قلبَ أريادنى ابنةِ مينوس[٤٦] ،
دون أن تُجمِّل دبابيسُ الشعرِ فَوْديه ،
ووقعت فيدرا فى هوى هيپوليتوس[٤٧] ولم يكُ يسرف فى أناقته ،
وحظَى أدونيس ابنُ الغابِ[٤٨] والفطرةِ بقلب ربّةِ الهوى ڤينوس .
آيتُك النظافة ، واترك وجنتيك لريح الحقولِ تلوّحُهُمَا .
ولتكن عَبَاءةُ التوجا مناسبةً لقدِّك ،
وثوبُك خالياً من الشوائِب ،
وأربطةُ نعلك مشدودةً .
ولتجلُ صُفْرةَ أسنانِك حتى تتألّق .
واخترْ لقدمِك حذاءً لا تَغْرقُ فيه ولا تَضِلُّ .
ولا تُسلمْ شعرك الجَعْدَ وذقَنك المهوّشة ليدِ حلّاق خامل .
قلّم أظافرَك البارزةَ ، واطرْح عنها القذى ،
وانزعِ الشعيراتِ المطلّةَ من تجويف أنفك .
ناشدتُك الرّفق بالناس من بَخْرٍ يفوحُ به فَمُك ،
ولا تحالِفْ برائحتك عَطَنَ القطيعِ وراعيه ، يثب إلى خياشيمِ الناسِ .
واترك ما عدا ذلك من ضروب الزينةِ والتأنّقِ للغانيات ،
وللذكور المتيّمينَ بإرضاء شهواتِ نظرائهم .

* * * * *

ها هو ذا باكخوس نصيرُ العُشّاقِ يدعو إليه مُنْشِدَه ،
يُذْكي الشعلةَ التى احترق بها من قبل .
طَوّفتْ أردياني ذَهِلَةً فوقَ رمالٍ لم تطأْها قدمٌ
بجزيرة ناكسوس الصغيرة التى تلطُم شطآنها الأمواجُ .
تهرولُ مُذْ نهضت من سباتها فى قميصِها المُسدلِ الفضفاضِ ،
عاريةَ القدمين ، مسترسلةَ الشَّعرِ الأشقرِ ،
مُعْوِلةً فى وجه الأمواجِ الصمّاء
نادبةً هجران حبيبِها ثيسيوس .
بللَّ وجنتيها الرقيقتين دمعٌ طاهر ،
وما أجداها الدمعُ ولا العويلُ ، وما نالا من جمالها .
كم دقّت صدرَها البضَّ صارخةً :



تييبولو : حصان طرواده . الناشونال جاليرى بلندن .



▲ تييبولو : حصان طرواده . الناشونال جاليرى بلندن

فيرونيزى : ڤينوس وأدونيس . متحف تاريخ الفنون بڤيينا . ◀

« خلّفنى الغادرُ وحدى ، أىُّ مصيرٍ يترصّدُنى ؟ »
وعبر رمالِ الشاطىء دوّى صكُّ صُنوجٍ مسعورة وقرعُ طبولٍ محمومة .
روّعهَا ، خَنَقَ الكلماتِ فى فمِها .
سقطتْ مغشياً عليها ،
وتخاذل فى أطرافها مسرى الدمِ
وإذا موكب باكخوسَ يُطِلُّ ،
يمِلُّ أتباعُه بضفائرهم المُتهدّلةِ على ظهورِهم ،
تتقدّمُهم « جوقةُ » الساتير الداعرين ،
تتلوهُم ثُلةٌ تبشّرُ بطلعة الإله .
ها هو ذا أبونا العجوزُ سيلينوس راعى الإله باكخوس ،





پوسان : حفل باكخوسى أمام تمثال پان . الناشونال جاليرى بلندن .

ثملاً يقبضُ على معرفة جحشه المحدودبِ الظهر خَشية أن يسقطَ ،
والحورياتُ يشاغبنه فيطاردُهنّ ، يهربن منه ثم يَعُدْن يعاكسنه .
وفارسُنا المترهّلُ يحثُّ دابّتَه بعصاهُ عبثا ،
ويسقطُ فوق الأرضِ عن صهوة جحشِه الطويلِ الأذنين ،
يتعلّق برأسه ، فتهللُ جوقةُ الساتيرِ من حوله :
« قُمِ . . انهضْ يا أبانا سيلينوس » .
وتُطلُّ طَلعةُ الإله من بين عناقيدِ الكرومِ ،
التى تكسو مركبةً تجرُّها النمورُ المكْمُومة الخَطْمِ ،
يقودُها بأعنّةٍ من ذهبٍ .
لم تفقد أريادنى ثيسيوس وحدَه حين ولىّ ،
بل فقدت معه لون بَشَرَتِها ونبرات صوتها .
ومراتٍ ثلاثاً حاولت أن تُولِّىَ الأدبارَ ،
ومراتٍ ثلاثاً أحبط الخوفُ مسعاها ،
وارتعدت كما ترتعدُ الأعوادُ الجافةُ أمامَ الريح ،
وارتجفت كما ترتجفُ قصباتُ الغاب وسطَ مياهِ المستنقع .
وناداها الإلهُ بقوله :
« ما خَطْبُك ؟ وبين يديك عاشقٌ . . . . أشدُّ من ثيسيوس وفاءً .
فيم الخوفُ يا فتاتى ؟
لأهبنّكِ السمواتِ مَهْراً حتى يتطلّعَ الناسُ إليكِ نجما مضيئا فى السماء ،
ويغدو تاجُكِ الكريتىُّ منارةً يهتدى بها القاربُ الضال الحائر » .
وَخَشْية أن تُراع الفتاةُ من نُمُورِه ، وثب الإلهُ من مركبته ،
فلانت الرمالُ تحت قدميه وهو يطؤها ،
واحتواها فى صدره ،
[مستسلمةً ، إذ كانت عاجزةً عن أن تقاوم] .
وحملها ومضى ليختلىَ بها بعيداً .
« ما أيسر على الإله أن تمضى قدرتُه حيث يشاء » !
فى هذا المقامِ أنشد البعضُ « عِشْتَ يا هيمينايوس » ! .
وهللّ البعضُ الآخرُ له « إيوهيه »(٤٩) .
بينا كان الإلهُ يَغْشَى عروسَه فوق أريكتهِ المقدسة .

* * * * *

حين يتيحُ لك سخاءُ باكخوس أن تجاورَ امرأةٍ فى حفلِ شراب ،
اضرع لربِّ شعائرِ الليل الماجنة ، أن يحولَ دونَ أن تُديرَ الخمرُ رأسَك ،
حتى تملكَ القولَ فى كلماتٍ مقنِّعة ،
تلفتُ انتباهَ جارتِك إلى أنك تعنيها بحديثك .
ولترسم بالخمر على المائدةِ كلماتِ الإطراء الرقيقة ،
كى تُطالعَ فيها أنها مَلَكَتْ قلبَك .
أرْنُ إلى عينيها بمُقْلتين تحملان الاعترافَ بما يشتعلُ فى صدرك من جوىً ،
فُربَّ نظرةٍ صامتةٍ حُبلى بأبلغِ الكَلِمِ .
وكن أول من يقبضُ على الكأس التى لثمتها شفتاها ،
وارشُفْ من حيثُ رَشَفت ،
وسارع بتناول الطعام من الصَّحفة التى امتدَّت إليها يدُها ،
وإذا لامستَ أناملَها فاهْصرْها فى رفقٍ .

* * * * *

٥٨٠ واحرص أن تَكْسِبَ زوجَها صديقا ،
ذلك أجدى لك .
تنحَّ له عن النخب الأول إذا كان الشرابُ اقتراعا(٥٠) ،
وبنفسك اخلع عليه إكليلَ الغارِ الذى يعلو هامتَك .
وسواءٌ كان فى مكانتك أو أدنى ادعُه إلى تناول ما يطيبُ له من مائدتك .
ولا يفوتُك أن تمنحه الصدارة فى الحديث ،
فالخداع تحت ستار الصداقة نهجٌ آمن مطروقٌ ،
وإن كان نهجا آثما .
وارع زوجَ محبوبتك رعايةَ نُظّارِ الضِيّاعِ ،
يبالغون فى الاهتمام بما وُكلِ إليهم ، ليستنزفوا من أصحابِها مزيدا .

* * * * *

أى مريدى
هاك ناموسَ الشرابِ ، فاتبعه تأمن .
احتسِ من الخمر ما لا يذهبُ بصفاءِ ذهنك ، أو يُخلُّ بتوازنِ قدميك
واحذر نشوةً تجُرُّك إلى العراك ،





▶ بلانشار: حفل باكخوس. متحف نانسي.

▲ ڤان دايك: سيلينوس ثملا. متحف درسدن.

وتدفعُ الأيدى إلى وحشىِّ القتال .
واذكر القنطور يوريثيوس حين هوى فوق الأرض إثر ما تجرّعه طيشاً من خمرٍ[٥١]
فأمتعُ الطعامِ والراحِ ما جمعَ الناسَ على مرحٍ لا على شجارٍ .
غنِّ إن كنتَ رَخِيمَ الصوت ،
وارقص إن وُهبتَ الرشاقة ،
أسعد من حولَك بما مُنحت من مواهب .
السُّكْرُ المفرطُ وخيمُ العاقبة ،
والتظاهر بالسُّكر زيفا حلوُ الجَنَى .
فليتعثَّرْ لسانُك البارع فى حديث متلعثم ،
حتى إذا بدر منك ما يُعدُّ تجاوزا للّياقة ،
٦٠٠ وقع وزرُه على الإفراط فى الشراب .
ارفع كأسك وقُل : « نخبُ سيدتى . . . ونخب من ينعم بجوارها فى الفراش » ،
بينا تُسِرُّ فى نفسك اللعنة على زوجها .
وحين تُرفَعُ الصِّحافُ ، ويبدأُ الصّحابُ فى الانصرافِ
بادر بالاقتراب منها فى الزحمة ، فهذا أوانُ مبادلتِها الحديث .
اجذب فى رفقٍ أطرافَ الكُمِّ ، ومُسَّ قدمها بقدمك ،
واطرح عنك حياء أهلِ الريفِ .
فما تقدّم « فورتونا » ربةُ الحظ و « ڤينوس » ربةُ الهوى عونَهما لغير المقدامِ الجسورِ .
لا ترقبْ أن يهبطَ وحىُ الشعرِ عليك ،
بل ابدأ ، وستأتيك الطلاقةُ طواعيةً .
مثّل دورَ العاشق ، زيّف شجنَ الحبِ بمعسول القول ،
فلن تلبثَ هى حينَ تؤمنُ بما تردّدُه لها أن تُنيلَك ما تبغى .
ولا تَخَلْ أن تصديقَك أمرٌ متعذّر ،
فما من امرأةٍ إلا ترى فى نفسِها مدعاةً للعشق .
وهى مهما بلغتْ من القُبح شأوا ،
مؤمنةٌ بأنه لم يخُلقْ بعدُ من يُفلتُ من سحرِ فتنتها .
ومع ذلك ما أكثرَ ما يقعُ مدّعى الحبِّ فى شراكِ الحبِّ حقا ،
ويتحوّلُ مؤمنا بما كان ينتحل .
وصيّتى إليكُن أيتها النساء ، أن تغدونَّ لمدّعى الحب أَلْيَنَ عريكة ،
فقد تظفرن به عاشقاً مشتعلَ الوجدِ .

آن أن يقَعَ الفؤادُ فى شَرَكِ المديح البارع ،
وقوعَ نتوءاتِ الشاطىء فى سيلِ الماء الجارف .
ولا تتوان عن التشبيب بسحر عينيها وجمال شعرها
ودقة أناملها ورشاقة قدميها .
فحتى أطهرِ العذارى يَتُقْن إلى الإصغاء بلا انقطاع إلى من يُطرى محاسِنَهُن
والعفيفاتُ كذلك ، يغرّهُن أن يكونَ جمالُهن مثارَ احتفاءٍ ،
وإلاّ لما استخزتْ كلٌّ من چونو ومنيرڤا ،
بعد أن فازت عليهما ڤينوس فى مباراة الجمال التى انعقدت فى الغابات الفريجية
فحينما تُطْرى امرأةً ، ينشر طاووسُ چونو جناحَيه زَهْواً وخُيَلاَءَ .
أما إذا قنعتَ بالحملقة إليها فى جمود ، فلسوف تحجبُ عنك مفاتِنَها .
حتى فرسُ السباقِ العريقةُ فى حَلْبة المباراة ،
تهفو إلى أن تُمَشّطَ لها مِعْرَفَتَها ، وتُهَدْهِدَ عُنقَها .

* * * * *

ولتسرفْ فى وعودك ، فطالما خدعت الوعودُ النساءَ ،
واختر أىَّ إلهٍ شئتَ تُشْهده على قَسمك .
فچوپيتر فى عليائه يضحكُ ملءَ شدقيه ، على قَسَم العُشاقِ الكاذب
ثم ما يلبثُ أن يأمرَ رياحَ أيولوس[٥٢] بأن تَذْرُوَهُ أدراجَهَا .
ولكم أقسم لچونو بنهر ستيكس زيفا ،
فما أحراهُ الآن أن يناصرَ من هُمْ على شاكلته .
حقا إنه من الخير أن تكونَ ثمة آلهة .
فلنؤمن إذن بوجودهم[٥٣] ،
ولنحرقْ لهم البخورَ ،
ولنسكُبْ النبيذَ على المذابح العريقة ،
فما كان الآلهةُ فى سمائهم غافلين كالنّيامِ لا يبالون .
وحذار أن تسىءَ إلى غيرك ، لأنهم يرقبون أفعالَك عن كَثَبٍ .
رُدّ الوديعةَ إلى صاحبها ، والتزم بما وعدتَ دون احتيالٍ ،
ولا تلوّثْ يديك آثما بسفكِ دمٍ
وإن كنت حكيما فلا تخدع سوى النساء ، كى تَخْلُصَ من المتاعب .
واحفظْ عهدَك إلا فيما تقطعُه لهنّ ،



▲ روبنز: سيلينوس ثملا . متحف أوفتزى بفلورنسا .

ليوناردو دافنشى : باكخوس . الناشونال جاليرى بلندن . ◀



فلا بأس عليكَ أن تخدعَ الخادعات :
ففى أغلبهنّ الشرُّ ، فلندعهنّ يقعن فيما يَنْصِبْنَهُ من فخاخ .
يُحكى أن مصر قد نَضَبَ من سمائها المطرُ ،
وعاشت أرضُها ظمأى تسعَ سنواتٍ عجاف ،
فاقترب ثراسيوس من بوزيريس ،
يعرضُ استرضاء ربّ الأرباب بسفحِ دم غريب .
فردّ بوزيريس قائلاً : « لأنت الغريبُ ،
ولتكوننَّ أول ضحية لربّ الأرباب ، وبك تُمْنَحُ مصرُ الماءَ » .
وقضى فالاريس بأن يُحشرَ پيريلوس فى جوفِ الثور ، ليكتوىَ بما صنعتْ يداهُ(٥٤)
فكان صانعُ الشؤمِ أولَ من اختبرَ صنيعَ يديه .
بوزيريس وفالاريس ، كلاهما عادلٌ ،
فليس أكثرَ عدالةً من قانونٍ يقضى بموتِ من أملت عبقريّتُه عليه صُنْعَ الموت .
وليس أكثرَ عدالةً من أن تُجْزَى الخيانةُ بخيانةٍ مثلِها ،
ومن أن تذوقَ المرأةُ ألمَ الخيانةِ الذى أذاقَتْه غيرَها من قبلُ .
الدموع سلاحٌ يَفُلُّ الحديدَ ،
فهيّىء لفاتنتِك ما وَسِعَك الجَهْدُ أن تشهدَ وجنتيك مُنَدَّاتَيْن .
٦٦٠ وإن أخفقتَ فى استدرار دمعِك
[فقد لا يستجيبُ إليك طيّعا حين تريدُ] ،
بلّل عينيك بقطرة ماءٍ .
أىُّ حكيمٍ لا يمزجُ بين القبلاتِ والملاطفة ؟
إن تمنعْ عنك القُبلةَ ، حاول أن تجنِيَها قَسراً ،
قد تلقى منها مقاومةً وتسبُّك قائلةً « يا وغدُ » ،
بينا هى فى الحق تتوقُ لأن تستسلمَ بين يديكَ .
ولكن إياكَ أن تُغْلظَ فى القُبلة المخطوفة ، كى لا تُدمى شفتَيها الرهيفتين ،
وتتيحَ لها أن تندّدَ بغِلْظَتِك .
القبلةُ وحدَها ليست غايةً ،
فمن لا يَظْفَرُ بما يتبعُها ، غيرُ جديرٍ بأن ينعِم حتى بما مُنح .
فيم انتظارُك بعد القبلة ؟
إن لم تصل السعىَ لبلوغ المأرب ، فلا تتعلّل بالحشمةِ ، فالسرُّ ما ينتابُك من خَوَر ،
ولا ضَيْرَ إن جنحتَ للعنف أحيانا ، فكم تستطيبُه النساء ،

يفضّلن أن يَهَبْنَ مُكْرهاتٍ ما هن راغبات فى منحه .
وما أسعدَها تلك التى تأخذُها على غِرّة ،
فهى تفسّر جُرأتَك على أنها خيرُ تحيّة لها .
أما تلك التى تمضى دون أن تمسَّها ، وكان فى وُسْعِك أن تَعْنُفَ بها لتُخْضِعَها
فصدّقنى ، أنها شقيّةٌ وإن بدتْ سعيدة .
لقد ذاقت فويبى وشقيقتُها هيلايرا مع السّبى عنف التوأمين كاستور وپوللكس ،
ومع هذا ظَفِرَتا بأعذب متعةٍ فى كَنَفِ الأسر .
فكلُّ مُغْتَصَبةٍ تُحسُّ مُتعةً مع مُغْتَصِبها .
ومع أن قصةَ العذراء دايداميا الإسكيرية وعشيقها أخيل الهايمونى ذائعةُ الشهرة
إلا أن ذكراها جديرةٌ بالإلماح .
وما إن أهدت ڤينوس لپاريس حب هيلينا ،
نظيرَ حُكمِه لها بجائزة الجمال تفوّقا على چونو ومنيرڤا ،
ووفدت هيلينا الإغريقية إلى قصر پريام الطروادى ،
حتى أقسمَ أمراءُ الإغريق جميعاً يمينَ الولاء لمنيلاوس زوجِ هيلينا جريحِ الفؤاد ،
ومضوْا معه للثأر من طرواده ، فغدا عذابُ فردٍ قضيةَ أُمّةٍ .
وعلى نحو مخزٍ أذْعَنَ أخيل لضراعات أمه ثيتيس ،
واستخفى فى زِىّ امرأة ، حتى يُفلتَ من مصيرٍ مشئوم فى حرب طروادة .
أى أخيل ،
ما كان غَزْلُ الصوفِ حرفتَك ،
بل شُهرتُك فنٌّ آخر . . . ترعاه « پالLLاس » ،
ما لك وصناعةُ السّلّات ، فما أخلقَ ذراعَك بحمل التُّرس ؟
وما لكَفِّك التى سَتَصْرَعُ بها هيكتور « وشلّاتُ » الصوف ؟
طوِّحْ بالمغزل ولفافاته المضنية بعيداً ،
فقبضتُك جديرةٌ بأن تسدّدَ رمحا من خشب أشجار جبل پيليون .
وكانت الأميرة دايداميا فى قاعة تضمُّ أخيل متخفّيا فى زِىّ أنثى ،
ولم تكتشف أمرَه إلا بعد أن نالها غَصْبا .
وما كان من الممكن أن ترضخَ لو لم يُخمد بالعنف مقاومتَها .
ولكن ما أسرعَ ما نسيتْ عنفَه وتاقت أن يُعاودَ الكرّة ،
بل لقد ناشَدتْهُ أن يَمْكُثَ حين اعتزم الرحيل عنها .
لكن أخيل نحّى المِغْزلَ ،

خلع ثيابَ الأنثى ، وامتشق سلاحَ الأبطال .
ما خَطْبُكِ يا دايداميا ، أتستبقين هاتك عِرضك قسرا بنداءاتٍ مُغْويةٍ ؟
قد تخجلُ المرأة أحيانا من أن تبدأ ،
ولكن ما أسرعَ أن تغمرَها النشوةُ ساعةَ يأخذُ الرجلُ بزمامِ المبادرة .
العاشقُ المغرورُ وحدَه يرقبُ أن تبدأَ محبوبتُه بمغازلته .
اخطُ الخطوةَ الأولى واضرع إليها ،
فكم يطيبُ للمرأة ما تنطوى عليه الضراعة من إطراءٍ .
دبّر لها ذريعةً تحفَظُ لها حياءها ، إذن تمنحك ما تصبو إليه .
وقديما مضى چوپيتر نفسُه ضارعا إلى بطلات الزمن الغابر ،
فلم نسمع عن إحداهُن بدأت بمغازلة ربّ الأرباب .
ولتتراجعْ خطوةً إذا اكتشفتَ أن ضراعاتِك تَزيدُها عَنَتاً .
ومن النساء من يتشيّثن بمن يبادر بهجرهن ،
وينفرن ممن يرتمى لاصقا بأعتابهن .
فَرَافِقْهُنَّ هوْناً حتى لا يسأمْنَك
ولا تكشف فى ضراعاتك عن رغبةٍ فى تملّكهنّ .
وليشقّ الحُبُّ طريقَه مقنّعا بخمار الصداقة .
فقد صادفتُ امرأةً متمنّعة ذات مرّة ، خَدَعَتْها الوسيلةُ عينُها ،
فاستحال الإعجابُ عشقا مدلّهاً .

* * * * *

عارٌ أن تبقى بَشَرةَ الملاّح بيضاءَ صافية .
الملاّحُ الحقّ من يلوّحُ بَشَرتَه وهجُ الشمس ومِلحُ البحر ،
والفلاّح الكادح وسط عراء الحقل لا تبقى بشرته بيضاء صافية
بينا يفلحُ الأرضَ بمحراثه المحدّب ومِسْحاتِه الثقيلة .
والرياضىُّ الطامحُ فى أن يتوّجَ هامته إكليلُ غار الربة پالاس ،
يحرص على ألا يبدو جسده أبيض صافيا .
أما العشقُ فيُغَشّى بَشَرةَ العشّاق بشحوب الوجه ،
وما أحمقَ من يتصوّرُ أن شحوبَ البشرة يُزرى بالعاشقين !
أوَ لم ينعم أوريون الشاحبُ الوجه بفتيات غابات ديركى(٥٥) ؟
وهل رفضتْ دافنيسَ(٥٦) الشاحبَ غيرُ حوريةٍ واحدة [بعدما خانها] ؟

وليكن الهزالُ أيضا دليلَ معاناتك ،
ولا تستحِ أن تحجب خصلاتِ شعرك اللامع تحت قلنسوةٍ .
وليالى السُّهادِ كفيلةٌ ببثّ السُّقم فى أجساد العشاق ،
كما يبثُّ فيها الجوى المشبوبُ القلقَ والشجنَ .
ولكى تبلغَ ما تصبو إليه ، تظاهر بما يبعث على الإشفاق عليك ،
حتى يدركَ من يصادفُك أنك عاشقٌ مُعَنّى .
أترانى أشكو أم أحذّر من امتزاج الخطأ والصّواب حين أقول :
ما أكثرَ ما تكونُ الصداقةُ اسماً والوفاء خرافة .
لذا ، ليس من الفطنة النسيب بمحبوبتك أمام صديقك .
فما إن يقفَ على أوصافها ، حتى يتسلّلَ ليغتصبَ مكانَك .
حقا لم يدنّسْ پاتروكلوس بن أكتور[٥٧] فراشَ صديقهِ أخيل ،
والتزمت فيدرا بالعفة فى علاقتها بپيريثوس[٥٨] .
وكذلك أحبّ پيلاديس هيرميونيه الحب الطاهر[٥٩] ،
الحب نفسه الذى حمله فويبوس لشقيقته پاللاس ،
والتوأمان كاستور وپوللكس لشقيقتهما هيلينا .
ولكنى أنذرُك :
إذا كان هناك من يتعلّقُ بهذا الأمل ،
فدعه يأملْ أن تُثمرَ شجرةُ الطّرفاءِ تفاحا ،
ودعه يبحثْ عن الشّهد فى مجرى النهر .
فالمرءُ لا يعبأُ بغير متعته ،
وأروعُ متعةٍ هى أكثرها مجلبةٌ للعار ،
تحلو إن نبعتْ من آلام الغير ،
مهما أورثتنا من لوم أو تأنيب ،
فما أغنى العاشقَ عن أن يكونَ له غريمٌ .
أُهجُر حتى من تثقُ فى وفائهم تأمن .
واحذر قريبَكَ وأخاكَ ونديمك ،
إنهم واخجلاه مكمنُ الخطر !
كنتُ أَهُمُّ بأن أختمَ حديثى ، لولا أن النساءَ قُلَّبٌ ،
ولا مهربَ من أن نتزوّد بألف وسيلةٍ
كى نقوى على مواجهةِ أنماطهن المختلفة .

فالحقولُ لا تتماثلُ عطاءً ،
هذا يُنتج كَرْماً وذاك يُغلُّ زيتونا ، والآخرُ يغمرُنا حِنطةٍ .
وكذلك تتباينُ أنماطُ القلوب تباينَ ما فى العالم من أشكالٍ .
الحكيمُ هو من يكيّفُ نفسه لوفق شتّى المواقف ،
وله أسوةٌ فى پروتيوس الذى يتشكّلُ كيفَ شاء ،
تارةً موجا أو أسدا ، وتارةً شجرةً أو خنزيراً بريًّا فَظًّا .
ونحن نصيدُ السمكَ هنا بالرُّمح ، وهنا بالشّص ،
وهناك بالحبال المشدودة فى الشِّباك البعيدةِ الغَوْر .
ونفسُ الحيلة لا تنجحُ مع كل فريسة ،
فالوعلُ اليافع يلمحُ الفخّ من بُعْد بعيد .
ناشدتُك ألا تتحذلق أمام ساذَجةٍ أو تتماجن مع مُحْصَنةٍ ،
وإلاّ زعزعت ثقتها بنفسيهما .
فما تلبثُ الأنثى التى تتهيّبُ عاشقا مهذّبا
أن تؤثر الانحدار إلى أحضان وغدٍ داعرٍ .

* * * * *

والآن وقد فرغتُ من نشيدى الأول ،
فلْنُلقِ بالمِرْساةَ هنا هنيهة ،
كى يُخْلِدَ قارَبُنا للراحة قبلَ أن نَصِلَ الرحلة .

* * * * *

تعقيبات

١ — أوتوميدون هو سائق مركبة البطل أخيل ، وتيفيس هو ربّان سفينة الْأَرْجُو التى استقلها جاسون مع خمسين من أبطال الإغريق بحثاً عن الفروة الذهبية .

٢ — زعم الشاعر هِسْيود فى الـ « ثيوجونيا » أنه شاهد ربّات الفن فى أسكرا ، وهى مدينة صغيرة فى بويوتيا بالقرب من جبل هيليكون ، وكانت موطن الشاعر هسيود .

٣ — انفردت الحرائر الحييّات بعصب شعورهن . وكان الغرض من التّنورة « الترفيلة » أن يطول ثوب المرأة فيضفى عليها وقاراً .

٤ — قد يكون المقصود هنا أهل إثيوبيا أو أهل النوبة ، إلاّ أن الشائع أن إنقاذ أندروميدا قد جرى فى سوريا . ويصف الكتاب الثالث من فن الهوى « أندروميدا » بأنها سمراء [بيت ١٩١] ، وفى هذا تلميح إلى ما عنّى به پرسيوس نفسه فى حب أندروميدا السمراء وبين يديه غادات روما !

٥ — جارجارا مدينة على جبل إيدا فى آسيا الصغرى .

٦ — ميثيمنا مدينة فى جزيرة ليسبوس .

٧ — نُسبت نشأة روما إلى أينياس الطروادى بن ڤينوس وبطل إنيادة ڤرچيل .

٨ — رواق پومپيوس بجوار الملعب المسمى باسم پومپيوس الذى اشترك فى الحكم مع يوليوس قيصر وكراسوس وقهر مثريداتس فى معركة نيكوپوليس .

٩ — هو رواق أوكتاڤيا أخت الإمبراطور أوغسطس وزوجة ماركوس أنطونيوس ، وكانت قد أقامت ذلك الرواق تكريماً لذكرى ابنها القائد البطل ماركيللوس ، كما شيدت مكتبة تخليداً لذكراه ، وسمّى الامبراطور أوغسطس ملعباً [مسرحاً] باسمه .

١٠ — ليڤيا هى زوجة الإمبراطور أوغسطس التى كانت ذات تأثير طاغ عليه وعلى مجريات الأمور صغيرها وكبيرها ، لما اشتهرت به من طموح وقوة شخصية ، فلم تكن تتردد فى سبيل تحقيق أهدافها عن الجنوح إلى استخدام المكائد والدسائس بل والقتل بالسم ، سواء فى عهد زوجها أو فى عهد ابنها الامبراطور تيبيريوس .

١١ — رواق داناوس بمعبد أپوللو فوق تل پالاتينوس ، وكان يضم تماثيل لبنات داناوس الخمسين وهن يتأهبن لقتل أبناء عمومتهن الذين أرغُمن على الزواج منهم . وكانت بنات داناوس حفيدات بيلوس ملك مصر ولسن بناته كما ورد فى نص أوڤيد .

١٢ — كانت عبادة أدونيس متصلة بمعبد ڤينوس ، وكان عيده أحبّ أعياد روما إلى قلوب العاهرات .

١٣ — يضم معنى السورى وقتذاك سكان الشرق الأوسط . وكان الكثير من اليهود يقطنون روما وخاصة بعد فتح أورشليم (القدس) على يدى پومپيوس عام ٦٣ ق.م. وقد لقى پومپيوس مصرعه فى المياه الإقليمية المصرية بعد معركة ڤارساليا الشهيرة ، وكان هذا الرواق مزداناً بالنافورات والأشجار الظليلة .

١٤ — كثيراً ما كانت إيزيس المصرية تُقرن بإيو عشيقة چوپيتر ، وكان لها معبد فى ساحة مارس بروما . أما إيو فهى عشيقة چوپيتر التى مسختها زوجته چونو بقرة انتقاماً منها بعد أن نُمِى إليها أنها ضاجعت كبير الآلهة .

١٥ — كان ثمة معبد فى فورم يوليوس [الفورم هو ساحة السوق] لڤينوس الأم « ڤينوس چنيتركس » ، وبجانبه نافورة «آكوا آپيا » التى سميت بهذا الاسم لأن المياه كانت تصلها عبر قناطر الماء المرتفعة التى شيدها الرقيب آپيوس كلوديوس .

١٦ — السابين شعب لاتينى إيطالى اشتهر بأنه أول من حمل السلاح ضد أهل روما انتقاماً ، بعد اختطاف الجند الرومان لنسائهم أثناء مشاهدتهم لألعاب مسرحية كن قد دعين لمشاهدتها . وبعد معارك طويلة خضعوا للرومان واندرجوا فى سلك المواطنة الرومانية .

١٧ — تل پالاتينوس هو أضخم تلال روما السبعة ، شيّد فوقه رومولوس أسس العاصمة الإيطالية حيث أقام هو وحاشيته . كذلك أقام عليه قيصر أوغسطس قصره هو ومن خلفوه من الأباطرة . ومن ثم أطلقت كلمة « پالاتيوم » منذ ذلك الحين على أى قصر يقيم فيه الملك أو أحد الأمراء . ويقال إن اسم التل مشتق من اسم الربة « پاليس » إلهة المراعى وحظائر الأغنام عند الرومان .

١٨ — كان هذا الموكب يبدأ من تل الكاپيتولينوس ويبلغ الملعب بعد مروره بسوق المواشى ، ثم يصل سيره فى حلبة الملعب . وكانت التماثيل العاجية تُحمل فوق الأعناق فتصفّق الجماهير لتمثال أحبّ الآلهة إليها : الجنود لتمثال مارس إله الحرب ، والعشّاق لتمثال ڤينوس إلهة الحب .

١٩ — أمر أوغسطس بتمثيل معركة سلاميس البحرية فوق بحيرة أعدت خصيصا لهذا الغرض عند سفح تل چانيكولوم عام ٢ ق.م. .

٢٠ — القائد كراسوس وابنه فى معركة كارهاى خلال قتاله مع الپارثيين (٥٣ ق.م.) حين استولى الجيش الپارثى على كافة البيارق الرومانية .

٢١ — جايوس قيصر هو ابن أجريپا وچوليا ابنة الامبراطور أوغسطس ، وكانت تُعدّ العُدّة لإيفاده فى حملة ضد فراطيس ملك الپارثيين ، غير أنه لقى حتفه بعد أن جرح فى إحدى المعارك ، ولم يستطع أن يحقق الآمال التى أشار إليها أوڤيد .

٢٢ — أمير الشباب هو اللقب الذى كان يُخلع على من له الحق فى قيادة موكب الفرسان السنوى بروما .

٢٣ — لم يكن له فى حقيقة الأمر غير أخ واحد هو لوكيوس قيصر .

٢٤ — كان من بين ألقاب الامبراطور لقب « أب الدولة » .

٢٥ — أنجبت داناى عشيقة چوپيتر پيرسيوس الذى تزوج أندروميدا فولدت له پرسيس .

٢٦ — يداعب كيوپيد باكخوس ، وعندما يبلّل جناحيه بالنبيذ يثقله فيمنعه من التحليق .

٢٧ — باياى مصيف بحرى مختار لأهل روما قديماً ، وقد اندثر الآن بفعل الزلازل .

٢٨ — هو معبد ديانا النيمورنسية إلى جوار بحيرة نيميه القريبة من روما . وكان كاهن المعبد عبداً هارباً يقتل سلفه كى يتقلد وظيفة المُلك والكهانة فى آن واحد . وكانت هذه الغابة من أحب الأماكن للعشاق .

٢٩ — يمثل أوڤيد ثاليا إحدى ربات الفن (ربة الملهاة) تعتلى مركبة ذات عجلتين تلميحاً إلى بيتى القصيدة الإيليجية ، وكان أحدهما أطول من الآخر .

٣٠ — هو كاونوس الذى وردت قصته فى الكتاب التاسع من مسخ الكائنات الـ « ميتامور فوزيس » لأوڤيد ، ترجمة كاتب هذه السطور .

٣١ — اشتهر أهل كريت فى العالم القديم بالكذب :

٣٢ — حجب إله الشمس وجهه عن موكناى حين أغوى ثيتيس بن پيلوپس زوجة أتريوس المدعوة إيروپى فزنى بها .

٣٣ — هى سكيلّلا التى كثيراً ما يُخلط بينها وبين الأنثى المتوحشة التى تحمل الاسم نفسه ، حتى لقد اختلط الأمر كذلك على ڤرچيل نفسه فى « الرعويات » .

٣٤ — كيريوسا هى إحدى بنات كريون ملك كورنثة ، وكانت على وشك التزوج من چاسون بعد هجره لميديا ، إلا أنها تلقت من ميديا رداء مسموماً أحرقها يوم زفافها ، ولها اسم آخر هو جلاوكى .

٣٥ — فينيكس هو ابن أمينتور وهيپوداميا . وكان أمينتور قد هجر زوجته من أجل عشيقته ، فحثّت هيپوداميا ابنها فينيكس على أن يغوى عشيقة أبيه . وإذ نجح فى مسعاه رماه أبوه بالعقوق ، ففر فينيكس إلى ثيساليا حيث استقبله پيليوس ونصبه معلماً لابنه أخيل ، وصاحب أخيل إلى طروادة وكان مستشاراً له خلال الحرب ، ويقول البعض إن أباه رماه بفقدان البصر فحرم النور . وهذه هى الرواية التى أخذ بها أوڤيد .

٣٦ — هيبوليتوس هو ابن ثيسيوس الذى راودته فيدرا زوجة أبيه عن نفسها وازدراها فاتهمته زوراً بأنه حاول أن ينال منها ، فطلب أبوه من الإله نپتون أن يهلكه ، فعرض له وحش من البحر وهو يقود مركبته على الشاطىء فسقط من على المركبة مربوطاً فى عنانه وظلت الخيل تجره حتى مات .

٣٧ — تزوج فينيوس بن أجينور ملك طراقيا من كليو باترة بنت بورياس وأولدها ولدين ، وبعد موتها تزوج من إيدايا بنت داردانوس التى اتهمت ابنى كليو باترة بالتآمر ضدها فغضب فينيوس وقضى بسمل عيونهما . وثار چوپيتر غاضباً وخيرّ فينيوس بين الموت والعمى عقاباً له ، واختار فينيوس ألا يبصر فى الشمس فغضب منه إله الشمس ، وعذّبه بأن أرسل له طيور الهارپيس لتلويث طعامه كلما انكبّ عليه .

٣٨ — أى من الأسف أنك لا تستطيعين مقابلة خيانة زوجك بالخيانة .

٣٩ — كان اليونان والرومان يرمزون للمحيطات باللون الأخضر وللبحار الصغرى باللون الأزرق .

٤٠ — المقصود هو التحذير من المغازلة فى تلك الأيام التى يألف الناس فيها إعطاء الهدايا ، إذ يُنتظر من العشاق كرماً يفوق ما قد يقدرون عليه . ومن هذه الأيام أعياد الميلاد وعيد أول أبريل وهو عيد مهرجان الربة ڤينوس (وكان عيداً لأهل العربدة والعاهرات) . وكانت الهدايا من السلع الثمينة التى يتبادلها أهل روما فى عيد الإله ساتورن تُعرض فى الملعب الأكبر « سيرك ماكسيموس » لكى يشتريها الجمهور . وجرت العادة بأن تعد الأيام مشئومة إذا ما كانت الثريّا منخفضة وكوكبة الجديين شديدة القرب من الأفق ، وكذلك اليوم الذى يفيض فيه نهر الآليا (يوم ١٨ يولية) ، ففى مثل هذا اليوم من عام ٣٩٠ ق.م. هزمت قبائل الغال الجيوش الرومانية ، ومن ثم أصبح يُعدّ يوم شؤم .

٤١ — المقصود هم اليهود الذين يحرّمون كل شىء يوم السبت عدا الصلاة .

٤٢ — هذا اقتباس عن إنيادة ڤرچيل (الكتاب السادس : ١٢٩) ، استخدم فيه أوڤيد عبارة ڤرچيل الجادة فى موطن اللهو والعبث .

٤٣ — خطّ أكونتيوس رسالة على تفاحة بعث بها إلى حبيبته سيديبى نصّها « أقسم بديانا لأتزوجن أكونتيوس » ، ولمّا تلتها سيديبى ، وكان ذلك على ملأ ، أصبحت ملتزمة بالقسم .

٤٤ — يُضرب المثل بپنيلوپى فى الوفاء للزوج الغائب ، إذ صمدت عشرين سنة لإغراء الرجال فى مدينتها أثناء غياب زوجها أوديسيوس فى حرب طروادة ومغامراته البحرية .

٤٥ — جرت العادة بأن يُخصى كهنة كوبيل قبل الالتحاق بخدمتها ، وكانوا يقلدون المجانين فى صيحاتهم أثناء تأدية طقوسها بدق الدفوف والصراخ بلا حياء .

٤٦ — أريادنى هى من أعطت الخيط لثيسيوس بعد أن وقعت أسيرة غرامه لكى ينشره خلال تجواله فى المتاهة ، ويعرف به طريقه أثناء العودة .

٤٧ — أحبت فيدرا هيپوليتوس ابن زوجها ثيسيوس حبًّا آثماً وراودته عن نفسها ، وإذ أبى ادّعت لزوجها أنه قد راودها فحُق عليه العقاب .

٤٨ — أحبت ڤينوس أدونيس بن سينيراس ملك قبرص ، ولكنه قضى نحبه فى شبابه بعد أن فتك به خنزير برى رغم تحذيرات ڤينوس .

٤٩ — تسمية لباكخوس مشتقة من صيحات عابداته وكاهناته .

٥٠ — كان ترتيب الأنخاب يجرى بالاقتراع ، وقد يعنى النص « مُعْلِن الأنخاب » .

٥١ — اللاپيث شعب همجى كان يعيش فى جبال ثيساليا ، اشتهروا بصراعهم مع القنطور الذين استضافهم اللاپيث فى حفل زفاف پيريثيوس أحد أمرائهم من هيپوداميا ، وقد ثمل القنطور فأهانوا العروس . ومات عدد كبير من القنطور أثناء الصراع ، ومن بينهم يوريثيوس وكان أول من أهان العروس .

٥٢ — أيولوس بن چوپيتر وحاكم الرياح وإلهها .

٥٣ — كثيراً ما استند النقاد على هذه الأبيات للقول بأن أوفيد كان لا أدريا فى معتقداته . ولكن تمعّن النص يبين أنه يقر عبادة الآلهة بل يحبذها على ألا يظن الناس (كما كان الفلاسفة الأبيقوريون يظنون) أن الآلهة فى سمواتهم لا يهتمون بما يحدث فى الدنيا . فيعتقد أوفيد أن الآلهة يتدخلون فى أمور البشر من وقت لآخر ومن حيث لا يشعرون ، لذلك تحسن عبادتهم عبادة خاشعة على أمل أنهم سيثيبون الأبرار ومن لا يوقع الضرر بالآخرين . وواضح أن أوفيد يخشى ألا يستطيع الإنسان أن يعيش حياة صالحة إذا لم يستشعر قوة عليا تراقبه وتحاسبه . ولم تكن الديانة التى يعنيها تلك الديانة البدائية الغليظة المرتبطة بالعبادات اللاتينية المحلية الشعائرية ، بل الديانة الإغريقية العامرة بالأساطير الملاحة الرامزة لأحوال النفس وظواهر الطبيعة . وليس من مكان للديانة المحلية سوى ربة الحظ « فورتونا » التى لا ترقى إلى مستوى الآلهة وإن كانت تعد منفّذة لإرادتهم فى أمور الدنيا . وكان هذا الميل نحو الديانة الإغريقية القديمة متجلياً أيضاً فى اتجاه الامبراطور أوغسطس نحو تمجيد فكرة النظام والاستقرار رغم تقلبات الطبيعة والدهر . وكانت الديانة الرسمية فى الامبراطورية الرومانية تعد الامبراطور بمثابة ممثل شخصى لرب الأرباب جوبيتر على الأرض ، بل وتدعوه « الإله الحاضر بيننا » ، ومن ثم غدت الديانة الرسمية وسيلة لربط الأمة بولاء دينى موحد ومشترك لا يهتم بتعاليم دون أخرى ، وإنما يفتح المجال للديانة الموحدة الإغريقية القديمة التى لا ترتبط بآلهة قبائلية محلية متفرقة ، كما كانت الحال فى إيطاليا قبل تأسيس الامبراطورية الرومانية ، فأصبح الآلهة حلفاء الدولة والدولة حليفة الآلهة .

أما أوفيد ، فكان يحاول مسايرة العقيدة الرسمية السائدة لأسباب بديهية ، وإن كان لا يهتم كثيراً بأمور السياسة والمُلك على حد قول الأستاذ هرمان فرنكل فى كتابه « أوفيد . . . شاعر بين عالمين » : « لم يؤمن أوفيد إلا باثنين : الفن والإنسان » . واهتمامه بالأساطير هو من مظاهر إيمانه بالفن والآداب وليس دليلاً على معتقدات دينية معينة .

٥٤ — فالاريس طاغية أجريجنتوم ، كان قد طلب إلى بيريلوس الفنان الأثينى أن يصنع له ثوراً نحاسياً يحشر فى باطنه المجرمين ويحرقهم أحياء فتصدر صيحاتهم تحاكى خوار الثور .

٥٥ — كان أوريون قناصاً شهيراً يصيد الحيوانات المفترسة فى غابات ديركى بجوار طيبة ، حيث عذّبت ديركى بأن شدّت إلى ذيل ثور متوحش جرّها على الصخور عقاباً لها على أسرها لأنتيوبى مطلّقة زوجها ليكوس ملك طيبة ، وحوّلها الآلهة بعد ذلك إلى نافورة رحمة بها .

٥٦ — دافنيس هو ابن هرميس [مركوريوس] وإحدى الحوريات ، اشتهر بأنه مبدع الشعر الرعوى . ولد فى أجمة من شجر الغار حيث تركته أمه ليموت ، إلا أن حوريات الغابة رعينه وربّينه كما علّمه الإله پان عزف الناى فبرع وامتاز . وكان جميلاً وسيماً أحبته بعض نساء البشر وبعض الحوريات ، بيد أنه خان إحدى النايادس التى كانت تعشقه فانتقمت منه وأعمته . فرفعه هرميس إلى السموات وفجّر ينبوعاً من مكان صعوده أخذ الرعاة يختلفون إليه كل عام لتقديم القربان إلى روحه .

٥٧ — پاتروكلوس كان صديق أخيل الحميم اشترك معه فى معارك الحرب الطروادية حتى صرعه هكتور ، فحزن أخيل على موت صديقه حزناً شديداً . والمقصود أن تلك الصداقة الكبرى بين الاثنين تحرّم على پاتروكلوس أن يخون صديقه بأن يغازل شريكة فراشه وهى أسيرته بريزييس .

٥٨ — كان پيريثوس ملك اللاپيث صديقاً حميماً لثيسيوس فرعى حرمة زواج هذا الأخير من فيدرا .

٥٩ — كانت هرميونيه زوجة لأريستيس ، أما پيلاديس فكان أعز أصدقائه .



الكتابُ الثاني



تتسيانو. باكخوس يطلّ على أريادنى من مركبته. الناشونال جاليرى بلندن.

الكتابُ الثانى

بأهازيج النصرِ اشْدُ يا فتى
ثم اصدحْ مُهلِّلا أنِّى مضيتَ .
فها هى ذى من كنت أطاردُها تقعُ فريسة فى الشَّركِ .
وليتوّجْ بإكليل الغار جبينى من سَعِدَ فى عِشْقِه ،
وليرفَعْنى فوق مرتبة هسيود شاعرِ أسكرا ،

وهوميروس الضريرِ حكيمِ مايونيا العجوز .
بمثل هذه الأهازيجِ شدا پاريس بن پريام ناشراً أشرعته الناصعة
وهو يؤوب بعروسه التى اختطفها من أميكلاى موطن المحاربين .
وبمثل هذه الأهازيج أيضاً شدا عريسُك يا هيپوداميا ،

وهو يحملك فى مركبته الفائزة بعيدا عن ثَرَى وطنِك[1] .
فيم العجلةُ يافتى وشراعُك مازال يشقُّ الريحَ وسطَ الخِضَمّ ،
والمرفأ الذى أحاولُ دفعَك صوْبَه لايزالُ بعيداً كلَّ البُعد ؟
حسبى أن نشيدى ألقى بفتاةِ أحلامِك بين ذراعيكَ ، وبفنّى فُزتَ بها ،

ولكن عليك أيضاً أن تأخذَ عنى ما يستبقيها فى كَنَفِك .
للنصرِ بهجةٌ ، أروعُ منها أن تحتفظ بِكَسْبِك .
ففى الأولى قد يلعب الحظُّ دَوْرا ؛

وفى الثانية لا معدى لك عن حذقٍ ومهارةٍ .
أى [ڤينوس] إلهة كيثيرا أنت وابنك إيروس [كيوپيد]



بييرو دى كوزيمو: القتال بين اللابيث والقنطورى. الناشونال جاليرى بلندن.

وأنتِ أيضا يا إيراتو[٢] يا من اشْتُقَّ اسمُها من الحب ذاته ،
أمرٌ جللٌ يَشْغَلُ بالى اليومَ ،
فأمدّونى كرماً منكم بالعون
حتى أجْلُونَّ بفنى كيف نقهرُ الحبَّ على أن يَثْبُتَ .
الحبُّ ! ذاك الفتى الهائم فى رحابِ الكون
فتًى قُلّبٌ عصىٌّ كبحُ جماحِه .
بجناحيه يحلّقُ
يُفْلِتُ .

* * * * *

حاول مينوس[٣] وُسْعَه التضييقَ على دايدالوس ليعوقَ فراره .
ومع ذلك شقَّ الضيفُ طريقَه الجسور محلّقا بجناحين .
فبعد أن أوْدع السجنَ المينوطورَ — نصف الإنسان ونصف الثور —
الذى حملت به پاسيفاى سفاحا ،
ناشد دايدلوس الملكَ متوسّلا
لعله يَمَسُّ برجائه شِغافَ قلبِه فيرقُّ ويُطْلِقُه :
« أى مينوس يا أعدلَ الملوك أما لمنفاى هذا من خاتمة ،

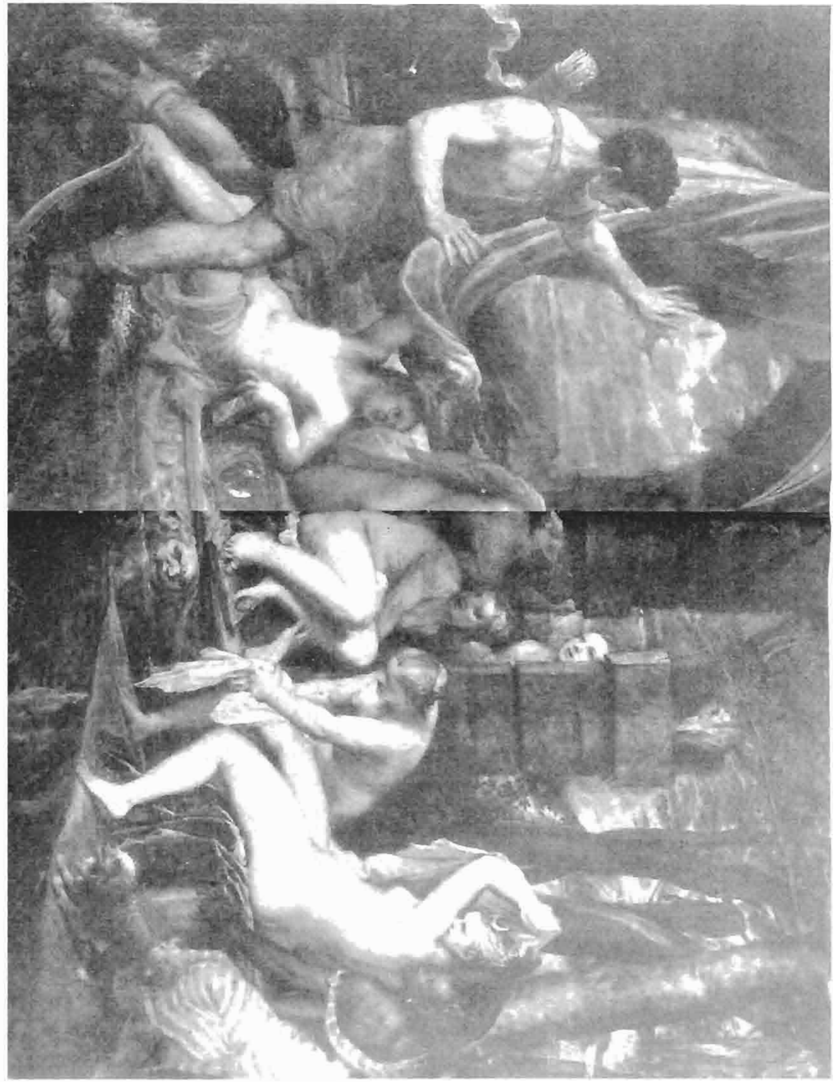
أما آن لرماد جسدى أن يُردّ إلى ثرى أجدادى ؟
إن كانت الأقدارُ قد قست علىّ فحرمتنى العيشَ فى وطنى ،
فهل تَضَنُّ علىّ أن ألقَى حَتْفِى به ؟
وإن بخست جميلى حقّه وهُنْتُ عليك ،
فهلاّ منحتَ إيكاروسِ ابنى أَوْبَتَه ،
وإن لم تأخذك الشفقةُ به ، أفلا منحتَها لأبيه ؟ » .
وإذ أدرك دايدالوس ألّا جدوى من استعطافه ناجى نفسه :
« آن لك الآن يا دايدالوس أن تحتالَ بثاقبِ فكرك .
ها هو ذا مينوس قد مَلَك البرَّ والبحرَ معا ،
فهروبنا عبر الأرض أو الموج مقْضِىٌّ عليه ،
ولم يبق أمامَنا سوى الآفاق .
فلْنَجْهد لنشقّ فى الفضاء طريقا .
أيا چوپيتر ناشدتُك يا أسمى الآلهة أن تغفر لى جُرأة مسعاى ،
فما دار بخَلدِى أن أمسّ إحدى ديارِك المستقرّة بين النجوم
لكنى لا أملك حيلة إلا أن أتّخذ طريقى عبر الأجواء كى أُفلتَ من ذاك الطاغية .
ولو كنتَ أتحتَ طريقاً لى فى نهر ستيكس ، لسبحنا عبره .

هبْنى القدرة على أن أُبدع قواعد جديدة
تُغيّر من أحكامِ طبيعتى [البشرية] »
كم من كارثة فتقت أذهاناً عن حيلٍ مبتكرة .
أَوَ يمكن أن نعقل أن الإنسانَ يطيرُ!
دايدالوس صفّ رياشا فى أبرع صورة ،
شكّل منها جناحين ، مجدافى طير .
وثبّت هذا التكوينَ الهش بخيوطٍ من تيل ،
ثم أسال الشمعَ المُذابَ على الأطراف لتتماسك .
ما أعجبَ هذا الإبداعَ إذ اكتمل بناؤه !
غلّفت الدهشةُ وجه إيكاروس ، إذ أمسك بأجنحة الريش .
لم يك يدرى أن سوف تُشدُّ على كتفيه .
وقال أبوه « انظر هاك سفينُنا عليها نُقلعُ ،
نفرُّ بها من مينوس ونعودُ إلى أرضٍ جئنا منها .
لم يبق لنا غيرُ الأفق ملاذا بعد ما أُوصد فى وجهينا كلُّ السُّبُل .
إليك إبداعَ يدى واجهد أن تعلوَ فى الجو وسيحدوك التوفيق حتما .
لكن حذار من برج العذراء ،
وكوكبةِ الجبّارِ حاملِ السيفِ ورفيق راعى الشاء .
غُض الطَّرفَ ولا تتلفّت لهما واتبعنى بجناحيك .
سأكونُ لك القائدَ والهادى ،
فلتمض بجناحيك فى إثرى غيرَ هيّاب ، ولَتَصِلَنّ بإرشادى آمنا .

واحذر أن تعلوَ إلى قُرب الشمسِ ، فقد يَنْفَدُ صبرُ الشّمع أمامَ توهّجها .
أو تهبطَ صوبَ البحرِ فيبتلَّ الريشُ بزبد الموج .
طِرْ بين الاثنين ، وخُذ حذرَك من الريح المنطلقة ،
فإن حملتك الأنسامُ ، انشر فى التيار جناحيك لتدفعها » .
وثبّت دايدالوس صُنْعَ يديه على كتفى ولدِه .
وهو يعيدُ عليه نصائحَه ، ويعلّمه كيف يحرّكها ،
كطائرٍ تُدرّبُ فرخَها الغضَّ على الطيران .
والتفت فربط إلى كتفيه جناحيه ،
وأخذ يوازن جسمه فى حرص قبل الرحلة .
مسّت شفتاه بالقبلة خدَّ ابنهِ ،

والدمعةُ فى عينيه تُطلّ فَيَعجزُ عن أن يَحْبِسَها .
كان التلّ الشاخصُ عن قُرب خفيضا ،
لكنه يبدو شامخا فوق السهل .
صَعِدا حتى قمته فانطلقا فى رحلة واكبها الشؤم .
وتقدّم دايدالوس يخفقُ بجناحيه ،
ينظر إلى الوراء متابعا حركة ابنهِ المقتفىِ أثره .
وحين ازداد إيكاروس قدرةً ومهارةً زايلة الخوفُ ،
فانطلق جسوراً وسرى فى الرحلة نبضُ البهجة .
ها هو ذا صيادٌ يُمسك شِصّاً قد ذَهِلَ لمرآهُما ، فيُفْلتُ من يمناه الخيطُ !
ها هى ذى جزيرة ساموس عن يسارهما ، بعد أن عبرا جزيرتى ناكسوس وپاروس ،
كما مرّا بديلوس التى آثرها أپوللو .
وها هى ذى جزر ليبنثوس وكاليمنى ،
تكسوها الغابات ، يُغَشّيها الظّل ، تبدو لهما عن يَمْنة ،
وأستيپاليا تحتضنُها بحارٌ غامرة بالأسماك .
استيقظ عندئذ بين حنايا الفتى نزقُ الشباب ،
وجَرُؤ فحاد عن مسارِ أبيه ، وانطلق إلى أعلى ، أعلى ،
ودنا من ربّ الشمس ، فذاب الشمعُ وانفكّ رِباطُ الرِّيش ،
وأصاب الوهنُ ذراعيه ، أصبحتا عاجزتين عن السيطرة ، حتى على الأنسام الهيّنة .
وتطلّع فَزِعاً وهو يترنّح فى تيه الأجواء إلى الماء المترائى تحته ،
قد غمّى طوفان العَتْمة على عينيه فأظلمتا رُعباً ،
مُذْ ذاب الشمعُ ، ودبّت بذراعيه العاريتين الرِّعدة ،
وهو يمدُّهما ويحاول عبثا أن يَصْمُد .
لا شىءَ هنالك يستند إليه .
هوى من أعلى الآفاق وهو يصيح : « أبتاه .. أبتاه .. إنى أنزلق إلى الأعماق »
والماء الأخضر يخنق فى شفتيه الكلمات ،
لا تكاد تتناثر من فمه حتى يطويها الماء إلى الأبد .
وإذا أبوه التعسِ الثّاكلُ وَلَدِهُ ،
يصرخ : « إيكاروس ، إيكاروس ، ولدى .
أين تُراك يا ولدى ؟
وأىّ أجوازِ الفضاءِ غيّبتك ؟ »

تتسيانو: أكتايون يفاجىء ديانا فى حمامها. متحف جلاسجو.



وبينا كان ينادى ملتاعا ، لمح نُثارَ الريش على سطح الماء .
كانت الأرضُ قد ضمّت رفاتَ الصبيّ .... وحملت مياهُ البحر اسمه .

* * * * *

أخفق مينوس بجلاله أن يتحكّم فى جناحى إنسانٍ ،
بينا أنا أُدبِّرُ لأمسكَ بتلابيب الإله المجنّح نفسه .
مخدوعٌ من يلجأ إلى فنون هايمونيا[٤] .
لن يُجْدِيَهُ ما ينتزعُه من جبين المُهْر ،[٥] ،
ولن تحتفظَ أعشابُ ميديا بجذوة الحبّ متّقدةً .
وما تُفْلِحُ عُوذاتُ جبالِ مارس[٦] فى هذا ،
حتى لو آزرها ساحرُ النغم .
فلو أمكن السيطرةُ على الحبِّ بالتعاويذِ وحدَها ،
لاحتفظت ميديا بچاسون بنِ آيسون[٧] ، وكيركي بأوديسيوس[٨] .
لن تُفيدَكَ العقاقيرُ التى تورثُ الشحوبَ لو أُسْقِيَتْها الفتيات ،
فقد تشوبُ العقلَ وتورثُهُ مسّاً .
فلتعزُب عنا أيها السِّحر المُشين .
كن جديرا بالحب إن شئت أن تغدوَ محبوبا ،
ولن تبلغَ مَأْرَبَك بالوجه الوسيمِ والقوام الرشيق ،
حتى لو كنت نيريوس الذى تغنّى هوميروس بجماله فى قديم الزمان ،[٩]
أو الصبى هيلاس الذى اختطفته حورياتُ الماء المغتصبات[١٠] .
كن على ثقة بأنك لن تحتفظَ بعشيقتِك ،
إن لم تُضِفْ هبةَ العقلِ إلى مَيْزات جسدك ،
وإلّا فلا تعجبْ إن هَجَرتْكَ إلى آخَر .
الجمال ومضةٌ خاطفةٌ لا تلبثُ مع الأيام أن تَخْبُوَ ، ويأتى عليها تعاقبُ السّنينَ .
فالبنفسَجُ لا يزدهر إلى الأبد ، والزّنبقُ لا يفترُّ بالبسمة دوما ،
والوردةُ إذ تذبلُ ، تُخلِّفُ إبرَ الشوكِ .
وعمّا قريبٍ أيها الشابُ الوسيمُ ، يكسو الشعرُ الأشهبُ رأسك ،
بعدما يحفرُ الدهرُ أخاديدَه على بَشَرَة وَجْهك .
إذن ، فلتكن لنفسِك روحٌ مشرقةٌ صِنْوٌ لجمالِك .
فهى وحدَها تبقى إلى جوارِك حتى ساعتك الأخيرة فوق المحرقة .

واصقُلْ فكرَك بالفنون والآداب ، ولا تهوِّنْ من شأنِهما ،
واغترفْ من اللغتين[11] سحْرَ القولِ
ما كان أوديسيوس وسيماً ، بل كان بليغا ،
فاشتعلت فى قلب اثنتين من ربّات البحر نيرانُ هواه .
آهٍ ، كم حزنت كاليبسو لتعجُّلِهِ فراقَها ،
وكم حذّرتهُ المياهَ العصيّةَ على مجدافه .
وكم من مرّة ، استعادته قصةَ طروادة ،
فأعاد على مسمعها القصةَ نفسَها ، ولكن بعبارات مختلفة .
وسويًا وقفا عند الشاطىء ، تُلحُّ عليه كى يحكىَ
أىَّ مصيرٍ فاجعٍ حاق بريزوس قائد الأودريسيين[12] .
ويلوّح أوديسيوس بعصا خفيفة [شاءت الأقدارُ أن يكونَ ممسكاً بها وقتئذ] ،
ويرسُمُ بها فوق الرملِ الليِّن أحداثَ القصة ،
ويخطّط أسوارَ مدينة تشبهُ طَرواده قائلًا :
هَبِى هذا جدول سيمووِيس[13] ، وذاك معسكرى [ويرسمُ سهلاً] ،
وتلك خيامُ ريزوس الطراقى .
فوق هذا السهل سفحتْ أيدينا دماءَ دولون ،
بينا كان هنالك يترصّدُ جيادَ هيمونيا مُشوقاً إلى أَسْرِها .
وفى غمار تلك الليلة عدتُ بتلك الجياد التى غنمتُها ،
[وبينا كان يرسُمُ ويروى قصّتَه فاجأتها من الخلف موجةٌ ،
طمست قلعة برجاما ومعسكر الطراقيين وأطاحت بالقائد ريزوس]
فأسرّت إليه الإلهة كاليبسو محذّرةً :
« أو تَحْسَبُ تلك المياهَ مواتيةً لإبحارِك ؟
واَلهفى حين تمحوكَ كما محت تلك الأسماء العظيمة ! » .

* * * * *

أى مريدى
لا تثق فى جمال الجسد مهما بلغتْ وسامتُك ،
ولتَطوِ حناياك جمالاً أبقى من جمال المظهر .
بالتدليل اللبق تستميلُ المرأةَ
والقولُ الخشنُ يورثُ الكراهيةَ والمشاحنةَ .

نُبغضُ الصَّقرَ لأنه يحيا أبداً شاكيَ السلاح ،
كما نكرهُ الذئابَ لأنها تنقضُّ على القطيعِ المذعور ،
بينا أفلت طائرُ الخُطّاف[14] من قَنْصِ الإنسان بوداعتِه
ويمامات خاوونيا[15] رُسُلُ الفألِ الحسنِ
تُعشّشُ آمنةً فى الأبراجِ العالية .
تبّاً لك أيتها المشاجراتُ والمهاتراتُ المرِيرةُ ،
فالحُبُّ لا ينمو بغير ناعمِ الكَلِم .
دعوا الزوجاتِ يطاردنَ أزواجَهن بالشجار ،
وخلُّوا الأزواجَ يلاحقون زوجاتِهم بالسلاح نفسِه ،
عُدُّوا الزوجيةَ حَلْبَةَ عراكٍ أبديٍ ،
ذاك يلائمُ كلَّ الزوجات ،
فما يُسهمنَ فى عُشِّ العُرس إلا بالشِّجارِ .
أما عشيقتُك ، فلا تُسمعْها إلاّ صوتا يحنو بالتدليل وبالترحيب .
ما جمعكُما فوق فراشٍ واحدٍ عقدٌ شرعيٌّ ،
فعشقكُما يقوِّم مقام رِباطِ الشرع .
رطِّبْ سمعَها بعبارات التدليل وهَدْهَدة الهمسات .
١٦٠ فتزفُّ إليها الفرحةَ إطلالةُ وجهِك .

* * * * *

وما أتيتُ أُلقّنُ الأثرياءَ فنَ الهوى ،
فالقادرُ على أن يُعطى فى غِنىً عن فنّ .
ومن يملك أن يجذبَ إعجاب المرأة بهداياه أوفَر منى قُدرةً ،
لا أترددُ فى أن أُخْلِيَ له الميدانَ ، إذ لا يُعْوزُه نصحى .
أنا شاعرُ الفقراء .
كنتُ فقيراً حين عشقتُ .
كنتُ أهادِى بالكلماتِ ، فلم أكُ أملِكُ سواها .
إن عَشِقَ فقيرٌ فليكن حذرا ،
وليتجنّبْ خشنَ القول ، وليتحمّل فوق ما يتحمّله ثرىٌّ .
أذْكُر أنى شوَّشتُ شعرَ حبيبتى لحظة غضبٍ أهوج ، سلبنى سعادتى أياماً عدة .
لم ألحظْ ، بل لستُ أظنُّ أنى مزّقتُ قميصَها .

زَعَمَتْ ذلك ، فاشتريتُ لها آخرَ من مالى .
فتجنّبْ أنت زلّاتِ معلّمِك وكن أكثر حكمةً .
خُض معركتك إن شئت ضد الپارثيين ،
ولكن عِشْ مع العشيقة الفَطِنَة فى ظل سلامٍ وارف ومرح دافق ، وكل ما يؤجّج العاطفة .

* * * * *

زد إلحاحاً فى حزم إن رَأَيْتَها مُعْرِضةً عن غَزَلك ،
وسيأتى يَوْمٌ تغدو طَيِّعة بين يديك .
باللّين يميل لك الغصنُ المعوجُّ من الشجرة ،
بينا ينفصمُ لو انتزعتَه قهراً .
وكذلك يُعجزُك النهرُ إذا سبحتَ ضدّ التيار .
وبالرِّفق تَرُوضُ النمورَ وأسودَ نوميديا [الجزائر] .
ورويدا رويدا يتطامنُ الثورُ لنير المحراث .
ما كان أشدَّ عنادَ أتالانتا الأركادية ،
وإذا هى تلينُ أمام شجاعة البطل ميلانيون[١٦] ،
فما أكثرَ ما كان يندبُ فى ظل الأشجار حظّه ، لغِلْظَةِ قلبها .
وما أكثرَ ما حملَ على عاتقِه الذى لا يَكِلُّ شراكَ الصيد الخادعة لِيُرضيها .
وما أكثرَ ما طعن الخنزير البرّى الرهيب برمحه المسدّد .
لم يعبأ بجرح سهم القنطور هيلايوس ،
بينا أوجعَه سهمٌ من قوس أخرى[١٧] .
أنا لا أدعوكَ إلى أن تشحذَ أسلحة القنص ،
أو أن تتسلّقَ جبلَ ماينالوس[١٨] ،
أو أن تحملَ على عاتقِك شراكَ الصيد ،
ولا أن تُعرّضَ صدرَك لرشق السهام ،
فمبادىءُ فنّى الواعى سهلةٌ يسيرةٌ :
إذا قاومتك فتاتُك فاخضعْ لرغبتها ، فخضوعُك سبيلُك إلى النصر ،
وافعل ما تطالبُك أن تفعلَه :
إذا عَابَتْ فَعِبْ ، وإذا مَدَحت فامدحْ ،
وإذا ارتضتْ فارتض ، وإذا استنكرت فاستنكر ،
ومتى ضحكت فاضحك معها ،
ولا تنس أن تبكىَ إن هى بكت .

دعْ قسماتِ وجهِك تستملى من مزاجِها .
لو اندمجت فى لعب الميسرِ تُلقى الزُّهر العاجى بيدها ،
فاحرص حين ترمى زهرَكَ على أن تكون الخاسرَ .
وإذا كنت تُلاعبها بالنَّرد الكاسبِ فلا تُطالبها بغُرْمِ النَّرد الخاسرَ .
ولا تَعْدِل عن أن تكُونَ الخاسرَ دوما .
وإذا كنتَ الحاذقَ فى الشطرنج ،
فلا تبخلْ عن ترك عساكرِك تستسلم لعساكرها فوق الرُّقعة .
بادر واحمل مظلَّتها عنها ، وشُقَّ لها طريقا وسط الزحام ،
ولا تتردَّد فى وضع تُكأة قدميها أسفلَ طرف محفَّتها كى تُعينهَا على الهبوط .
وأَسْرِعْ إلى خلع خُفَّيها عن قدميها الرقيقتين إن كانت لَابِسَتَهُما ،
أو أَلْبِسْهُما قدميها إن كانتا مجرَّدتين منهما .
وإن شَكت بردا فأدفىء كفَّها فى صدرك ، ولو ارتجفتَ بردا .
ولاتَحْسِبْها ذلّةً أن تحملَ مرآتَها بيدك ، يا من وُلدتَ حُرًّا لا قِنّاً ،
[هى ذلّةٌ حقا ، لكن ما أسرعَ ما تستعذِبُها] .
فهرقل البطل المؤلَّه الذى حملَ السماواتِ على منكبيه
وصمد لمكائد چونو زوجِ أبيه حتى كفَّت عن تعقّبه
لم يتنكَّبْ عن حمل سلّات الخيط لفتيات أيونيا ،
بل لقد شاركهن غزل الصوف(١٩) .
٢٢٠ انصاع هرقلُ البطلُ التيرينثى لأمر آسرة فؤادِه ،
فهل تستنكفُ أنت أن تتحمّلَ ما احتملَهُ ؟
أسرعْ إلى الفورم إن دعتك لتلقاك به ، وليكن وصولُك قبلَ الموعد ،
وليطُلْ مُكْثُك فيه معها .
اهجر ما يَشْغلُكَ وهرول حيث تُشيرُ لك ،
ولا تدع الزحامَ يعرقلْ عَدْوَك .
فإذا عادت إلى دارها ليلاً بعد الحفل ونادت خادمَها ،
فلْتُلَبِّ النداءَ عِوَضاً عنه .
هَبْك فى الريف بعيدا ودعتكَ ،
فحُثَّ الخطوَ إذا لم تُسعفْك المركباتُ ،
فالحبُّ عدو التراخى .
ولا يعرقلنّ مسعاكَ القيظُ الخانقُ ،



آنجر: تأليه هوميروس. متحف اللوڤر.

ولا كوكبةُ الكلبِ باعثةُ الظمإِ .
ولا الطريقُ يغُشّيِه بياضُ الثلج .

* * * * *

الحبُّ حرب ، فابتعدوا أيها الضعافُ المتقاعسون .
ما ارتفعت ألويتُنا كى يذودَ عنها الجبناءُ .
فالليل والعاصفة والترحال الطويلُ ،

والعذابُ القاسى ، وكلُّ ألوانِ الكدّ والعناء ،
تكمنُ فى معسكر العِشْق الرقيق .
وما أكثر ما ستغمرُك الأمطارُ المنهمرة من سحبٍ تتجّمعُ وسطَ سمائِه ،
أو تُلقِى بك مقرورا فى عراءِ الكونِ
يُروى أن أپوللو اضْطُر إلى أن يرعى قطعان أدميتوس[٢٠] ملك فيراى ،
وأنه قنعَ بكوخٍ متداعٍ يأوى إليه ،
مَنْ منا يستنكرُ أن يحذُوَ حَذْوَه ؟
اطرحْ عنك الكبرياءَ إن تشوَّفتَ إلى أن تحيا قصةَ حبٍّ تطولُ وتَعْمُقُ .
فإذا حرمتكَ الأقدارُ طريقاً سهلاً إلى قلب فاتنتك ،
أو ألفيتَ بابَها مُوصَدا فى وجهك ،
فألقِ بنفسِكَ من كُوّةِ السقفِ ،
أو تسلّل نحوها من نافذة شاهقة ،
وسيُسعِدُها أن خُضت المخاطرَ فى سبيلها ،
عربونَ الحب الذى عن يقين سَتَظْفَرُ به .
لقد كان فى وسعك أن تتغيَّبَ عن عشيقتك يالياندر
[فلا تُلْقى بنفسك إلى التَّهْلُكة]
ولكنك آثرت أن تقطعَ أمواجَ البحرِ سابحاً ،
برهاناً منك لها على ما تحمل من عاطفةٍ متأجّجة[٢١]

* * * * *

لا تتحرّجْ أن تسعَى إلى مودَّةِ وصيفاتِها ، أعزُّهنّ مرتبةً أو أهونُهنّ شأنا ،
لن تخسر شيئاً إن حيّيتَ كُلًّا باسمها ،
أو حَنَوْتَ بيدكَ أيها العاشقُ الطموحُ على أكفّهن المتواضعة المنبتِ .
ولتمنحْ فى عيد الربة فورتونا حتى العبدَ إن مدَّ إليك يدا هبةً ولو قليلة ،
فلن يُكَلِّفَكَ هذا شَطَطا .
ولتخصَّ الوصيفةَ بهديةٍ فى عيد چونو كاپروتينا ،
يوم اندحر الجيشُ الغالىُّ مخدوعا بثياب الزفاف[٢٢] .
صدّقنى : فى كسبِ ولاءِ المغمورين والمغمورات نجَاحُك .
وليكن حارسُ بابها نصيرَك ،
وكذلك حارسُ مخدعِها .

ولا تغالِ فيما تمنحُ خليلتَك من هدايا .
أعطِ القليلَ المُنْتَقَى بذوق رفيع ودهاءٍ ماكر .
فحين يغمرُ الخِصْبُ الحقولَ والبساتين ،
وينوءُ الشجر بِثِقَل الثمر ،
أوْفِدْ عبدَك بسلالٍ من بواكير الفاكهة يبسطُها بين يديها
مدّعيا أنها ثمرةُ ضَيْعَتِك ،
مع أنك مُشْتريها من تاجر « بالطريق المقدس » فى روما .
أرْسِلْ إليها العنبَ أو البندق الذى وَلِعَتْ به أماريلليس(٢٣) .
وحذارِ أن تبعثَ بالكستناء [فهى اليومَ دون ما يتطلّعُ إليه ذوقُها] .
ولا بأس أن تهديَها بُلْبلا أو عنْدليبا
يؤنسُها ويذكّرُها أنك دائمُ التفكير فيها .
وإنى لأعلمُ أن التودّدَ الكاذبَ يضمنُ للمرء أن يحوزَ ميراثَ شيخٍ لا عَقِبَ له .
تبًّا للمحتالين على الغرض الآثم بالنُبل الزائف .
أتُرانى أنصحُك بأن تبعثَ بقصائد شعرٍ عاطفية ،
مع أن الشعرَ على روعته لا يحظَى بما يتّفقُ وجلالَه ؟
قد يَظْفَرُ القصيدُ بثنائها ، غير أن نفيس الهدايا هو طِلْبَتُها .
فلا تدهشْ أن يستحوذَ همجى موسِرٌ على إعجاب فتاتك .
العصرُ يقينا عصرُ الذهب .
فبه تَظْفَرُ بآيات المجد ،
وبه تَظْفَرُ بالحب كذلك .
فلتعزُب عنا يا هوميروس إن جئتَ فى موكب ربّات الفن جميعا خالىَ الوِفاض .
ومع ذلك فبينَ النساء مثقفاتٌ وإن كنّ نُدرةً ،
وبينهن أيضا جاهلاتٌ يطمحن أن يتعلّمن .
فلتنظِمْ الشعر فى محاسن من تلقى منهن جميعاً ،
فجمالُ الإلقاء يحيلُه فى آذانهن تغريداً ،
حسنا أو فجًّا كان قريضُك .
وستجدُ كلٌّ منهن مثقفةً أو غيرَ مثقفةٍ ،
فى تشبيبك بها صِنوَ هديةٍ متواضعةٍ .

* * * * *



سلوطز: سقوط إيكاروس. متحف اللوفر.

إن تُضمرْ أن تُسْدِىَ معروفا ،
فتراخ إلى أن تطلبَه هى منك .
هَبْ مثلاً أنك تنوى عِتْقَ عبدٍ ،
فأَوْعِز له أن يسعى إليها كى تتوسّط لديك فى أمره .
وإذا تراءى لك العفوُ عن عبدٍ مذنبٍ أو طرحِ أغلاله ،
ألِحّ إليه أن يتوسّل بها .
وستزهو هى إذ تُمسى مصدرَ هذا الغفران ،
ويعود إليها فضلُ ما اعتزمتَه من خير .
هّيىء لها الفرصَةَ كى تبدوَ صاحبةَ السلطان عليك ،
فلن يكبِّدَك ذلك شيئا .
وإن كنتَ حريصا على استبقاء عشيقتِك دَعْها تَهِمُ أنك مفتونٌ بجمالها .
إذا ارتدت ثوبا من أرجوان صور ، قُلْ : « ما فاق أرجوانُ صورِ شيءٌ » .
وإن لبست ثوباً من نسيج كوس ، قُلْ إن فى أزياء كوس وحدها كلَّ الروعة .
وإن اكتست فاتنتُك رداءً ذهبياً فاهتف أنها أغلى من ذهب الدنيا فى عينك .
وإذا اتّشحت بالصوف فأَغْرِقْ فى الثناء عليه
وإذا وقفت أمامك عارية إلاّ من قميصها ،
فلتصرخْ : « لَأنتِ تُشعلين النار فى جسدى !
ولتضرعْ فى هَمْس : حذارِ من بردٍ يُؤْذيك .
بادر بإطراءِ تصفيفَةِ شعرِها ،
ممتدحاً جدائلَها إن سوَّتْها بالمكواة .
كاشِفْها بإعجابك بذراعيها ساعة تلوّحُ راقصةً بهما .
وأَشِدْ برخامة صوتها وهى تغنّى ، وتظاهرْ بالأسى حين تكفُّ .
فإذا جمعت بينكما لحظاتُ النشوة فوق فراشها ،
تمتم فى صوت راجف وتأثُّرٍ مخنوق الإيقاع :
« ما أحلى الفردوسَ فى قُربِك » .
ساعتَها تغدو طيّعةً حانيةً بين يديك ،
حتى لو كانت قبلُ فى عنف ميدوسا الوحشية[٢٤] .
واحذْر أن يفتضحَ رياؤُك ، أو تخونَ نظراتُك كلماتِك .
فكلما سترتَ فنَّك غدا ناجعا ،
فإذا كَشَفْتَ عن خِدْعتِك خَسِرتَ وفقدتَ ثقتَها بك إلى الأبد .



لوموان : هرقل وأومفال . متحف اللوفر .



باسانو: هرقل وأومفال، متحف تاريخ الفنون بفيينا

وفى الخريف عندما يبلغُ الموسمُ ذِرْوةَ جماله ،
ويميلُ لونُ العنبِ إلى حُمرة ما يحويه من نبيذ ،
وحين يصفعُنا البردُ تارة حتى نتجمّدَ ، أو يُلهبُنا القيظُ تارة أخرى إلى أن نذوبَ ،
ما أكثَر ما يوهنُ الجوُّ المتقلّبُ منا الأجسادَ .
فيقينا إنك تتمنّى لعشيقتِك العافية ،
لكن إن حدث وأصابتها تقلّبات الطقس بوعكةٍ فأحِطْها بحبك وحنانك .
واغنم سانحةً ، وابذُرْ ما ستحصدُه ـ فيما بعدُ ـ بمنجلك بوفرة .
وحذارِ أن تضيق ذَرْعا بمرض حبيبتك أو تَبْرَم .
ولتكن كفُّك أنت وحدَها هى التى تُهدهدها .
ولتسكبْ عبرات تترقرق فى عينيك ، يرشفُها فمُها الظامىء
ردِّد قسمَ هواكَ المرة تلو المرة رنّانَ النبرة ،
وارو لها أحلاما تغمرُها بالبهجة ،
وأرسِلْ بالمبخرةِ عجوزا تطوِّفُ حول فِراشِها ،
تُطهِّرُ بيدها المرتجفةِ مضجعَها بالدُّخَان الكبريتى وبالبيض[٢٥] .
لو بلغتَ فى سعيك هذا المبلغ لملأتَها يقينا بحبِّك ،
وما أكثر ما أفضى هذا النهج إلى ظَفَرِ كثيرين بإرثٍ .
ولكن حذارِ أن تُسرفَ فى الاهتمام بمريضتك حتى لا تَسْأَمكَ ،
فللنفاق حدود أيضا .
ولا تحرمْها الطعام أو تناولْها كئوسَ عقارٍ مُرّ ،
ودع هذا شرَكا لغريمِك .

* * * * *

ليست الريحُ التى تدفعُ شِراعَك وأنت تُخلِّفُ الشاطىء
هى الريحُ التى تدفعُ شراعَك فى خِضمِّ البحر الشاسع .



كاراڤاچيو : ميدوسا . متحف أوفتزي بفلورنسا .

وكذلك الحبُّ رهيفٌ هشٌّ ساعَةَ مولِدِه ،
ترعاه الخبرةُ ويشتدّ عودُه مع الأيام .
واذكر أن الثورَ الذى يثيرُ اليومَ رُعبَك ،
كم ربتَّ على ظهره فى الماضى رضيعا .
وهذى الشجرةُ التى تفترشُ اليومَ ظلالَها .
كانت فيما سلَف عُودا غضاً .
والجدولُ النحيلُ عند المنبع تسقى مجراه روافدُه ،
حتى تُحيلهُ نهرا طاغيا عند مصبِّه .
احرصْ أن تتوثَّق بينكُما الألفة ، فهى أقوى رباط بين اثنين .
كُن منها مكانَ السَّمْعِ والبصر ،
وليُطالعَها وجهُك آناءَ الليل وأطرافَ النهار .
فإذا اطمأننتَ إلى أن غيابَك يستثيرُ شوقَها
فامض عنها قليلاً لتُحرِّكَ فيها القلقَ .
أهجرها آمادا غيرَ طويلة ،
فإن الحقلَ الذى لا تُجْهدُ تُربتَهَ دوما
يَجْزيكَ بمزيدٍ من خِصبٍ ،
على حين أن التُّربةَ التى لا يُعنَى بها فتُجدبُ، تمتصُّ غيثَ السموات دون عطاء .
ظل حبُّ فيليس دفيناً ما بقى ديموفوون إلى جوارها ،
وما كاد يهجرُها مُبْحِراً إلى وطنه حتى اشتعل حبُّها فأهلكت نفسها[26] .
وحينما هجر أوديسيوس الماكر زوجته پنيلوپى كابدت عذابَ الشوق والانتظار .
وأنتِ أيضاً يالاوداميا أى ثمنٍ دفعتِ لغيبة پروتيسلاوس[27] ؟
غير أن الفراق القصيرَ الأمدِ لا ينطوى على مخاطرة .
فالحبُّ يذوى إن طال الفِراقُ ،
ويحتلُّ محبٌّ آخرُ مكانَ الغائب .
حين ارتحل منيلاوس سئمت هيلينا وحدتَها فى مضجعِها ،
فاستسلمت لأحضان ضيفٍ يغمُرها بالدفء وبالسلوى .
وَيْلَكَ يامنيلاوس ما كنت يوما بالغبىِّ الأحمق حتى تُبحرَ وحدَك .
وتُخلِّفَ زوجَكَ فى رفقة ضيفٍ تحت سقفٍ واحد .
هل تودعُ أيها الغافلُ يمامةً بين مخالب صقر ؟
وهل تأمنُ ذئبَ جبالٍ أن يحرسَ حظيرةَ الأغنام ؟

لا ترمِ هيلينا بالإثم ، ولا تَلُمْ من زنى بها ،
فما أتَيا إلا ما يمكنُ أن يأتِيَهُ من واجه نفسَ الموقف .
أنتَ من هيّأتَ لهما مُناخَ الزنا إذ أفسحتَ لهما زمانَه ومكانَه .
ماذا تُراها كانت فاعلةً ، إلا أن تنفُذَ من باب أنت فتحتَه ؟
أىُّ خيارٍ كان أمامَها ؟
فى غيبة الزوج يقبعُ ضيفٌ فاتن ،
بينا هى يعْرُوها الخوفُ فوق فراشٍ لا يؤْنسُها فيه رفيقٌ .
فليرَ منيلاوس حفيدُ أتريوس ما يراه ،
أما أنا فأُبرِّىءُ هيلينا من كل إثم .
فما فعلتْ إلا أن غَنِمَتْ فرصَتهَا ،
حين ساق إليها الحظُّ عاشقا آسراً .

* * * * *

الخنزير البرّى الأحمرُ فى سَوْرة غضبه
ساعة ينقضُّ بنابه القاطع على كلاب الصيد المسعورة ،
واللبُؤةُ التى تُستثار بينا تُرضِعُ أشبالَها ،
والأفعى التى تطؤها قدمُ الرحّالةِ سهواً ،
ثلاثتها أقلُّ افتراسا من امرأةٍ تفاجىءُ أخرى فى فراش مُتْعَتِهَا ،
فيشُوهُ وجهُها من عُنفِ الغَضْبةِ .
لو وجدت لحظتَها سيفا لم تتردَّد أن تمتشقَهُ ،
أو كان بقدرتها أن تُرسلَ صاعقةً فعلت .
أىُّ سلاحٍ يقعُ فى يدها يُخرجُها عن هدأتِها
وبه تنقضُّ على غريمتها كأنها إحدى كاهناتِ باكخوس المتوحشات ،
وقد استحثّها قرنا باكخوس الإله الآوونى(٢٨) .
لقد ثارت ميديا الهمجيةُ لخيانةِ چاسون ،
٣٨ وفتكت بأطفالِها منه لامتهانِه قدسية الزوجية .
وها أنت ذا ترى أُمّا أخرى تقترفُ فِعْلةً بشعة ، هى طائر الخُطّاف .
تطلَّعْ . . . فصدرُها مخضّبٌ بالدماءِ(٢٩) .
هكذا تتداعى أوثقُ روابطِ الهوى وأصلُبها عودا .
هذى خطايا يحسن بالزوج الحذر أن يحذر مغبّتَها ،
فلا يثيرُ فى امرأته نوباتِ الغَيْرة الطائشة .

لا تحسَبُنى أتلفّعُ بعباءة الواعظِ المتزمّت ،
وأحثُّك على أن تَقْصُرَ حُبَّكَ على واحدةٍ .
حاشايَ . . . . وَقَتْكَ الآلهةُ هذا الشرَّ !
فحتى العروسُ الشابة قد يَشُقُّ عليها ذلك .
تجرّع ما سنح لك من كأس المتعة ،
مُسدلاً قناعاً يسترُ آثامك ،
وحذارِ أن تَزْهُوَ بارتكابها .
وحذارِ أن تمنحَ امرأةً هديةً تشى بمصدرِها لغير المُهْدَى إليها .
وحتى لا تفجؤك عشيقتَك بين أحضان غيرها ،
بدّل مكانَ لقاءِ كلٍ منهن وزمانَه .
وبعينٍ فاحصة اختبرْ اللّوحَ الذى سطّرتَ عليه خطابك
حتى تتيقّن أنه لا يحملُ أثرا لرسالة غرام سابقةٍ قد تقفُ عليها .
فما أسرعَ ڤينوس إذا طُعِنت أن تشنَّ عليك حربا عادلةً ،
فهى لا تكادُ تتجرَّعُ العذابَ حتى تُذيقَك مرارَته .
وتردُّ لك الكيلَ صاعاً بصاعٍ .

* * * * *

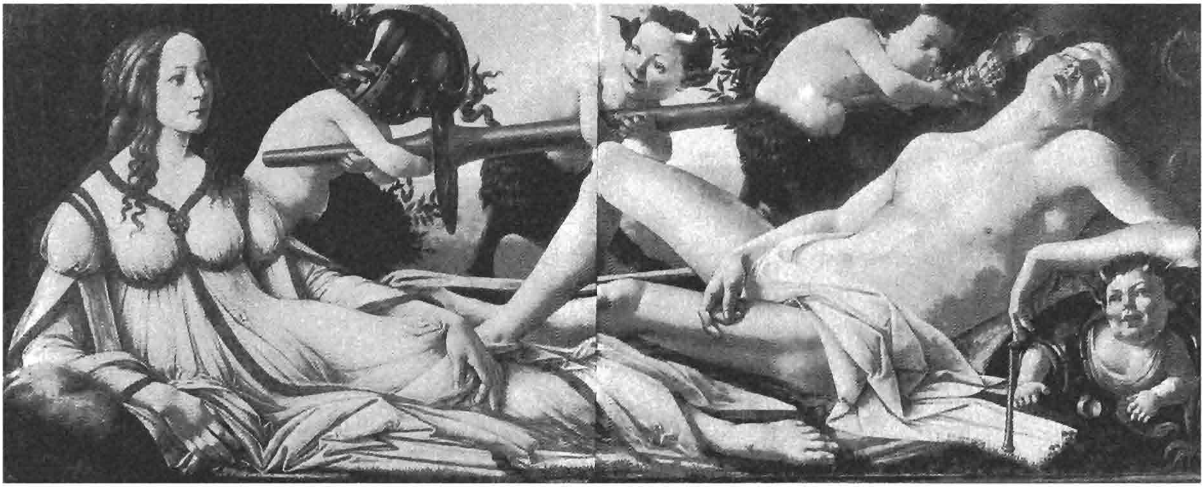
صانت كليتمنسترا عفّتَها ما ظلّ [زوجُها] أجاممنون وفياً ،
وانزلقت للخطيئة حين اكتشفت إثمَه .
سمعتْ أن الكاهن خريسيس أتاهُ معتمداً فوقَ عصاهُ ،
معتمراً بالعِصابة المقدسة ، قابضا على غصن الغار ،
متوسّلا إليه عبثا أن يردُّ إليه ابنتَه خريسييس .
وكذلك سمعتْ كيف أدمَى الحزنُ قلبَكِ ، يا بريسييس بعد اختطافك ،
وأتاها نبأُ خصوماتٍ شائنةٍ أطالت أمدَ الحرب .
وما كان ذلك كلُّه غير قصصٍ حملها الرواةُ إليها .
لكنها رأت بعينها كاسّندرا بنتَ پريام بصحبة زوجِها ،
فأدركت كيف غدا [أجاممنون] المنتصر أسيراً ذليلاً لأسيرته .
لحظتَها وهبتْ ابنة تنداريوس أيْجيسْتُوس قلبَها مرحّبة به فى فراشها ،
ودبّرت الثأرَ انتقاما من جريمة زوجها المُهينة[٣٠] .

* * * * *



داڤيد : باريس وهيلينا . متحف اللوڤر .

إن افتضح أمرُ غرامياتك المستورة رغم جهودِك فى سَتْرِها ،
فتمسّك بالإصرار على الإنكار .
ولا تُسرفْ فى ذلة أو تَغْلُ فى نفاق ،
حتى لا يفضَحكَ سلوكُ المذنبِ .
اجهَدْ فى أن تُعيدَ إليها طُمأنينتَها .
عانقْها واغمُرها بالقبلات إلى أن تمحوَ ريبتَها .



بوتتشيللى : ڤينوس ومارس . الناشونال جاليرى بلندن .

وقد ينصحُك البعضَ بأن تستخدمَ أعشابا لإثارةِ « طاقاتك » .
ذلك فى رأيى سُمٌّ مُهلك .
أو أن تخلط ببذور القَّراصِ اللاذعةِ الفلفلَ ،
أو تسكبَ البابونجَ الزعفرانى فى كأس النبيذ المعتَّق .
ما ترضى الربةُ ڤينوس ساكنةُ سفوحِ جبلِ إريكس[٣١] الظليلةِ
أن تَرْشُفَ متعتِها من هذا المنهل .
وخيرٌ لك أن تَقْضُمَ بصلَ ميجارا الأبيض ،

والجرجير المؤجَّج للشَّبق المقطوف من حديقتك .
ولك أيضا أن تلتهمَ البيضَ وشَهْدَ جبل هيميتوس
وثمارَ شجرة الصنوبر المسنَّنة .

* * * * *

لماذا نتخبَّط أيتها الربّة إيراتو يا وحىَ الشعر ،
فى هذه التفاصيل من فنون السِّحر ؟
ألا فلنرتدَّ إلى وَسْط الحلبة التى ما كان يحقُّ لمركبتى الخروجُ منها .



هيمز كيرك : ڤينوس ومارس وڤولكانوس.. متحف تاريخ الفنون بڤيينا.

إن كنتُ نصحتُكَ من لحظات أن تستر زلاتك ،
فإنى أنصحُك الآن بالنكوص ، فتكشفَ الستارَ عن خداعك .
مهلاً .
لا تتّهمنى بالرأى المتقلّب .
فلا إخالُك تجهلُ أن القاربَ الهلالىَّ لا تدفعُه الريحُ دَوْماً سواسية ،
بل حينا يندفعُ بريح بورياس الشمالية الوافدة من طراقيا ،
وحينا بريح إيوروس الشرقية ،
وكم من مرة تمتلىء أشرعتُه بنسيم زفيروس الغربى ،
أو تنبعج بريح الجنوب .
انظر كيف يُرخى قائدُ المركبة الأعنّة حينا ،
ويكبُح الجياد الجامحة فى حذق ومهارة حينا آخر .
فرُبَّ امرأةٍ لا تجنى منها شيئاً بإطلاق العِنان لهواكَ الحَيِىّ ،
وتفتُر عواطفها إن لم تلق غريمة .
فما أسرعَ ما يَنْشَطُ غرورُها مع الدَّعَة ،
وإذا ما واتاها الحظّ وأظلّتها الطمأنينة .
أرأيتَ إلى النار حين يَذْوِى اضطرامُها شيئا فشيئا فتأخذُ فى الخفوت ،
وتكمنُ تحت رمادٍ أشهبَ يتراكمُ فوقَها ،
فإذا هى لا تلبثُ إن ألقيتَ قليلاً من كبريت ،
أن يندلعَ لهيبُها ويعودُ متوهّجا كما كان .
كذلك القلبُ إن عشّش فيه الاطمئنانُ وزايَلَه القلقُ ،
انخُسْه بسنّ المهماز الحاد ، لتؤجِّج فيه ضِرامَ الحب .
دع الريبة تتسلّلُ إلى عشيقتك حتى تُذكىَ فى قلبها الفاتِر لهباً يتجدّدُ .
وليكن شحوبُ وجهِها الدليلَ على خيانتك
ما أسعدَ معشوق تبكى بسببِهِ امرأةٌ مكلومةٌ ،
فما إن تسمع ما لم تُرِدْ حتى يزايلُها رُشْدَها ،
فإذا هذه التعسة تعيا عن الكلام ، وتفقدُ إشراقةَ وجهِها
والهفتاه ! كم أتوقُ إلى أن أغدوَ ذاك الرجلَ ،
تشدُّ الحبيبةُ شَعْرَهُ ، وتَخْمِشُ بأظافرها وجنتيه ،
تتطلّعُ إليه وقد غشّى الدمعُ عينيها ، وتحدّقُ فيه ببصرِها غاضبةً ،
وتتمنى أن لو عاشت بدونه وهى أعجزُ ما تكون عن ذلك .

قد تسألُني كم من الزمان تتركُها نهبا لعذابٍ يقهرُها ،
وأقول لك : أقصِرْ ما أَمكنك ذلك ،
فقد يُذكي هذا إن طال غضبتَها .
وتقدَّم قبلَ أن يبلغَ غضبُها ذِروتَه ، بذراعيكَ تضمّان جِيدَها الوضَّاء .
احتوِ عشيقَتَك الباكيةَ فى أحضانك ،
قبّلها وامنحْها متع ڤينوس بينا هى تنهنه .
بعدها سيسودُ سلامٌ ينتزعُ الغضبَ من صدرها .
وإذا غالبها الغضبُ المحتدم وعلا صُراخُها مُشْهِرةً عليك الحرب ،
فاهرعِ توآً لتوقّع بعناقك معاهدة الودّ .
ولعمرى سوف تستسلمُ بين يديك وديعةً مُرْخيةً القياد .
وترفرفُ ربّةُ الوفاقِ على ساحةِ القتالِ بعد انفضاض الشجار .
صدّقنى ، لحظتَها يولدُ الصَّفح ويعود الوئام .
ألم تر إلى اليمامات التى كانت منذ قليل تخمشُ إحداها الأخرى بمنقارِها ،
ها هى ذى تتآلفُ متعانقةً ، وهديلُها يزخرُ بعبارات العشق والهُيام .

* * * * *

بادىءَ ذى بدءٍ كان العالمُ كتلَةً من أشياءٍ مضطربة فى غير نظامٍ أو تنسيقٍ ،
وكانت ثمةَ وُحْدةٌ جامعةٌ بين النجوم واليابسة والبحار .
وما لبثت السماءُ أن سَمَتْ فوق اليابسة التى طوّقتها البحارُ ،
وأخذ الفضاءُ مكانه ، وبسطَ للطير ذراعيه ،
وتلّقت الأدغالُ وحشَ الحيوان .
أما أنتِ أيتها الأسماكُ فقد اخترتِ الماء الدَّافِقَ ،
ساعةَ كان البشرُ يهيمون على وجوههم فى أرض مُوحِشة ،
بأشكالِهم الفظّة وسلوكِهم الخشن .
ديارُهم الأدغالُ ، وقُوتُهم الأعشابُ ، وأوراقُ الشجر مضاجعهُم .
ما أطولَ ما عاش الإنسانُ على غير أُلفةٍ مع غيره ،
إلى أن كان اللقاءُ بين الذَّكَر والأنثى ،
فانبثقت فى الإنسان تلك المُتعةُ الساحرة التى أرهفت مشاعرَه الوحشيّة .
تُرى ماذا كان يُواتِيهُما أن يفعلاه ؟
لقد علّم كلٌّ منهما رفيقَه دون معلّم .

بالفطرة كشفت ڤينوس للإنسان عن قانون المتعة .
فغدا للطير أليفٌ يَعْشَقُه ،
وفى أعماق البحارِ تجدُ السمكةُ ذكراً يطفىءُ غُلّةَ شهوتِها ،
وتتبعُ الأيلةُ أيلَها ، ويضمُّ الثعبانُ الأفعى ،
ويلتصق الكلبُ بالكلبة محموما بالشَّبق .
وتسعدُ النعجةُ حين يعتليها كبشُها ،
كما تَهْتَزُّ البقرةُ منتشيةً بثورِها .
وتحتملُ العنزةُ الفطساء نَتَنَ زوجِها التَّيسِ ،
وتُستثارُ الفرسُ سُعاراً ،
فتلاحقُ الجوادَ الفحلَ صوب المراعى النائية لا تعوقُها الأنهار .
فلتهدأْ بالاً ، ولتُطْفِئنّ وصايَاى الناجعةُ سَوْرةَ أُنثاكَ الغضبى
فهى بلسمُ الحَنَقِ الثائر ،
وتفوقُ فى قدرتها ما أوصى به الطبيب ماخاوون[٣٢] من عُصارات ،
فما إن تأخذْ بها حتى تعيدَكَ إلى حُظوتها مهما كانت خطاياك .

* * * * *

وبينا كنت أُردّدُ لحنى بَغَتَنِى الإله أپوللو ،
مُطلاًّ علىّ بقيثارته الذهبية تَمَسُّها إبهامُ يمناهُ بنغماتٍ شجيّة .
وأخذ يدنو منى شيئاً فشيئاً ، يُكلّلُ الغارُ خصلاتِ شعرِه المقدس ،
وقد أمسك بيسراهُ غُصْنَ غارٍ .
ما أروعَه شاعراً فى عيون الناس .
وطَفِقَ يحدّثُنى : « إلىّ يا أستاذَ الحبِّ العارم ،
وفى إثْرِك حوارَيُّوك نحو معبدى ،
حيث يطالعون نقشاً محفورا يدعو كلَّ امرىءٍ أن « يعرفَ نفسه[٣٣] .
فمن يعرفْ نفسَه حقا يمارسُ الحبَّ بخبرة تفتحُ أمامَه موصدَ الأبواب ،
ويملكُ أن يسخّرَ ما وُهِبَ لمسايرة خطاه
فمن حَبَتْهُ الطبيعةُ بالجمال ، فليستغلّه فى لفت الأنظار إليه ،
ومن كان أبيضَ الجسدِ فليكشفْ عن كتفِه حين يضطجع .
ومن كان محدّثا لبقاً حاضرَ البديهة فليوقظ الجُمود المخيِّم .
وليشْدُ بشجىِّ الغناء صاحبُ الصوت الرخيم .

وليشربْ حتى يَثْمَلَ من يستخفُّه النبيذ .
وليحذرْ المحدِّث المفوَّه أن يتحذلقَ حذلقةَ الخُطباء حين يخطبون ،
أو يحذوَ حَذْوَ الشُّعراءِ الملتهبين حَميَّة حين يُنشدون » .
هكذا تكلّم فويبوس .
ألا فلتُذْعنوا أيها العشاقُ لنُصحِه ،
فما انفرجت شفتا الإله عن غير الحق .
ولنعدْ الآنَ إلى حديثنا لنصلَ ما انقطع .
فمن يستهدى هذه الحكمةَ فى عشقِه يَطْرُقُ أبوابَ النصرِ .
ومن يلجأْ إلى فنّى يحرزْ ما يَصبُو إليه .
قد لا يفِى الحقلُ بحَصادٍ يفيضُ عمّا بُذِر فى تُربته من حبٍّ ،
وقد تخذلُ الريحُ السفنَ المُتعثّرةَ فى إبْحارِها .
وقد يُثقلُ الألمُ العُشّاقَ بأكثرَ مما يَحْظَوْن من متعة ،
فلْيُروِّضوا إذن قلوبَهم على المكابدة .
شتّى هى آلامُ الحب الذى أُشْبِعت سهامُه النافذةُ سُمًّا ناقعا ،
تُرْبِى أعدادُها على أعدادَ الأرانب البرّية التى تَرْعَى فوق سفح جبل آثوس ،
وتَعْدُو أسرابَ النحلِ المحلّقة فوق جبل هيبلا ،
وتفيضُ عن ثَمرِ الزيتون الكثيف على شجرة پالّلاس الرمادية الزُّرقة ،
والأصداف المتناثرة على شواطىء البحار .
إذا زَعَمَتْ أنها رحلتْ بعيدا ، ثم لقيتَها صُدفةً ،
فلتُصَدِّقْ أنها رحلتْ حقا ، وأن عينيكَ كذبَتَاك .
وإن قصدتها فى ليلتك الموعودة ، وفاجأتك بإيصادِ البابِ دونَك ،
فتجلّدْ ولتَجْثِمْ راضياً على الأرض وإن كانت مُتربةً .
وإذا جاءتك وصيفتُها تواربُك فى زهوٍ وتتساءل :
« كيف بك تلاحِقُنا وتُحاصِرُ بَابَنا ؟ »
عندها لا معدى لك عن أن تتلطّف إلى الفتاة الغليظة القلب ،
وتضرع إلى الباب المُوصَد وإليها معا ،
وانزع إكليلَ الورد من على رأسك وضعه على عتبة الباب .
فإذا ما أَذِنَت عشيقتُك فأَسْرِع إليها ، وإذا ما نَأَتْ بجانبها عنك فَوَلِّ .
ولا تدعها تَقُلْ : « أُفٍّ له ، ما عدتُ قادرةً على الفكاك منه » .
فالعاشقُ الأبىُّ ينأى بنفسه عن أن يكون مُلِحّاً .

وقد يُخطئُك التوفيقُ إذا ركنت إلى وسامتك وحدَها فى جميع الأحوال ،
فمشاعرُ المرأة ليست دوما وِفقا لهواك .
ولا تضقْ بسبابِ المرأة أو بصفعاتها ،
أو تتخاذلْ عن تقبيل قدميها البضّتين ،
فليس فى شىء من ذلك ما يَشينُك .

* * * * *

طال تلبُّثى عند هذه التوافه من الأمور
بينا تتطلع نفسى إلى ما هو أسمى ؟
ها أنذا أُنشِدُكُم ما هو أجْدَى .
فلْتنصتُوا إلىّ يقظين لحديثى الجللْ .
يهونُ العناءُ فى سبيل الظفر بما يهب من متعة .
وما يُملى عليكم فنى إلا الجهدَ والدأبَ والصمود .
اصْبِرْ على غريمك تَقْهَرْهُ ، وتُتَوَّجْ بطلا فوق قلعة چوپيتر الجبار ،
[كالقنصلِ الظافر فوق تل كاپيتولينوس] .
فلن يبوح بمثل حديثى سوى حفيفِ أشجارِ بلوطِ الپيلازجيين[٣٤] ،
وما أُنبِّئك إلا بسُلافَةِ فن أَحْذِقُهُ .
تجمّلْ بالصبر إن لوّحت فتاتُك لمنافسٍ ،
وغُضَّ الطرفَ عن رسالةٍ كَتَبَتْهَا له .
دَعْها على رِسْلِها تغدو وتروحُ ،
فمن الأزواج مَن يكونُ هذا نَهْجُه مع زوجته الشرعية ،
حين تَغْشَى أيها الكرى الحانى فتُهَوِّنُ على الأزواج غفلتَهم .
وما إخالُنى بلغتُ حدَّ الكمالِ فى فنى هذا ،
فأنا أنصحُ بما لا أملكُ أن أفعلَه .
أتراني أَصْبِرُ على غريمٍ يلوّحُ لعشيقتى بين عينىَّ
دون أن أُطلقَ العِنان لفورةِ غضبى ؟
لكم عانيتُ حين قبّلَها زوجُها أمامى مرةً .
فالحب يَشْحَذُنى بالنقمة والثورة .
ذلك خطأٌ عذّبنى المرةَ تلو المرةِ .
الكَيِّسُ من يتركُ لسواهُ أن يطرقَ بابَ عشيقته ،
ويفوقُه كِياسةً من يُغْمِضُ عينيه على ما يجرى .

دعْها آمنةً وهى تنشرُ حبائِلَها حتى لا تعلو حُمرةُ الخجلِ وَجْنتيها ،
إذا أقرَّت لك يوما بوزرٍ اقترفته .
فأَوْلَى بك أيها العاشقُ يا من قد تقعُ عيناك على عشيقتك فى أحضان عشيق آخر ،
أن تتركَها سادرةً فى غَيِّها واهمةً أنك لا تدرى .
فمباغتَتُك لها سوف تَهيجُ فى قلبِها هذا الغَىّ ،
فتزيدُ إصراراً وتماديا .
ما أكثرَ ما تجرى على الألسنة فى أنحاء العالمِ قصةُ مارس وڤينوس ،
إذ فاجأهُما زوجُها الماكر ڤولكانوس .
كانت ڤينوس قد أثارت وَلَهَ الإله مارس ،
فأحالت ربَّ الحربِ الجّبارَ عاشقا وادعا .
ولم يكن الحياءُ من صفات ڤينوس ،
وما كان هنالك قلبُ إلهةٍ أكثرَ من قلبِها رقةً ،
فما أسرعَ ما لانت لتوسّلاتِ مارس ،
ومضت تسخرُ ماجنةً من ساقى زوجها [الحدّاد] الأعرج ،
وتتضاحك من أديم يديه الملفوحتين من أثر النار ،
المخشوشنتين من طول الكدّ ،
وتميدُ سحرا وجمالاً بين يدى عاشقِها وهى تُحاكى زوجَها ساخرةً .
فى البدء نجحا فى إخفاء لقاءاتِهما الآثمة مُتسربلَيْن بالخَفَرِ والحياء .
لكن إلهَ الشمسِ وشى بهما لڤولكانوس ،
وهل يملكُ مخلوقٌ أن يجدَ سبيلاً لخداع إله الشمس ؟
آهٍ يا إلهَ الشمس ، ما أسوأَ المَثَلَ الذى تضربهُ !
ليتَك التمستَ من ڤينوس إمتاعَك بمفاتنها ،
فما كانت لَتصُدَّك لو كنتَ كَتُوما .
نصب ڤولكانوس حول الفراش شباكاً تخْفَى دقَّتُها عن كلِّ عين ،
وتظاهر بالرحيل إلى ليمنوس .
فهُرِع العشيقان إلى اللقاء وإذا هما يقعان فى الشراك عاريين .
لحظتَها ، نادى ڤولكانوس الآلهةَ جميعاً ، ليَرَوْا مشهداً جديراً حقا بالرؤية .
كادت ڤينوسَ لا تملكُ حَبْسَ عبراتِها ،
وما مَلَكَا إخفاءَ وجهيهما ، أو سَتْرَ عورتيهما بأكُفِّهما
وتضاحك أحدُ الآلهةِ فقال :

« يا أيها الإله مارس الباسل ،
إذا كانت قيودُ الحُبِّ تَبهَظُكَ ، فماذا عليك لو حملتُها عنك ؟ »
وبعد لأيٍ استجاب ڤولكانوس لرجاء الإله نبتون ، وأطلق سراحَ الآثمين .
فهرول مارس صوب طراقيا بينا أسرعت ڤينوس-شطرَ پافوس ،
كى يجتمعَ شملُهما بعد قليل .
وأنتَ يا ڤولكانوس ، ماذا جنيتَ من هذا كلِّه ؟
فى الماضى كانا يلتقيان خِفيةً واليومَ يستمتعان بنشوة الحب علانية ،
لا يحتجبان حياءً أو خَشْيةً .
ما أحمَقَك إذن .
ها أنت ذا تصارحُ نفسَك بخطئِك إذ عجِلتَ ،
وتندمَ على ما صنعت يدُك الماهرة .
لتكن لك يا مريدى عظةٌ فى هذه القصة ،
فلا تنصُبْ الشراكَ كما فعل ڤولكانوس ليفاجىءَ زوجتَه ڤينوس ،
ولا تتربّصْ برسائلَ تُتداولُ سرّاً .
خلِّ تلك الأحابيلَ — لا للعُشّاق — بل للأزواج
الذين يُكلَّلون — قرانهم بطقوس النار والماء(٣٥) ،
يَغْنَمُون بها إن رأوْا فى تلك الأحابيل نفعا .
وهنا أُشهدكُم أنى لا أعبُ إلاّ من مُتعٍ مشروعة .
فلنتأ إذن فى لَهْونا عن المُحْصَنات ذوات التَّنورات السابغة .

* * * * *

ومن منكم يجرؤ أن يُذيعَ على المُجدِّفين أسرارَ طقوسِ الرّبة سيريس ،
أو ما وَفَدَ من صاموطراقيا من شامخ الشعائر ؟
حقا إن التزامَ الصمت فضيلةٌ هيِّنة
ولكن البوحَ بما يَحْسُنُ كتمانُه خطيئة شائنة .
استحق تانتالوس جزاءَ ثرثرته أن يُمْضِى عمرَه
محاولاً سُدًى قطف التفاحة المدلاّة من فرع الشجرة ؛
وأن يبقى ظمآنَ والماءُ من حوله .
وكما تَنْهَى ربّةٌ كثيرا أوّل ما تَنْهَى تابعيها عن إفشاء أسرار طقوسها ،
فأنا أُنذركم جاداً ،
ألاّ تَدَعُوا ثرثارا يدنو من محرابها أبدا .

حقًّا إن أسرار طقوس ڤينوس لا تُخْفَى فى صندوق مُغلق[٣٦] ،
ولا تُرسِلُ الصنوجُ البرونزية صكّاتٍ تُفزِعُ من يتطفّلُ مقتربا[٣٧] .
ومع أنها طَوالَ أعيادِها تفتَحُ أبوابَ محرابها لكلّ وافدٍ ،
فما أفشى واحدٌ ما يُكْشفُ له من أسرار .
ومع هذا فلقد كانت ڤينوس حين تطرح عنها ثوبَها ،
تنحنى قليلاً وتحجبُ عورتَها بيسراها[٣٨]
الحيوانات يغشى بعضُها بعضا أنّى كانت على مرأى من الناس جميعا ،
بينا تُشيحُ العذراءُ الحييَّةُ بوجهها عن ذلك خَفَرا .
ونتوارى نحن فى المخادع خلفَ الأبوابِ الموصدة ،
ونستُرُ عوراتِنا بثيابِنا ، وننشدُ الظُّلمةَ فى لقاءاتنا الخفيّة ،
أو ناوِى للظلّ الدامس أو عُتمةِ لحظات تنأى عن وَضَح النهار .
حتى فى الماضى حين لم يكن هناك سقفٌ يَقِى من أشعةِ الشمس وانهمارِ الأمطار ،
وكانِ للناسِ فى شجر البلوطِ القوتُ والمأوى والملبسُ ،
لم تكن ملذّاتُ الحياة تُبَاشَرُ علنا ،
بل فى أعماقِ الغابات وأغوارِ الكهوف .
كان الإحساسُ بالحياء عميقا فى نفوس البسطاء ،
بينا نختالُ اليومَ بمغامراتنا الليلية ،
ونتكالبُ على دفع أبهظِ الأثمان فى سبيل علاقة نزهُو بها .
أَوَ لستَ حين تغازلُ أنثى تلقاها ،
إذا أنت تُشيعُ أنهّا واحدةٌ من خليلاتك ؟
أيليقُ بك أن تلطّخ بالفضيحةِ فتاةً لم تَمْسَسْها أناملُك ؟
وكم يهوُن ذلك إلى جانب ما يختلقُه قومٌ من إفْكٍ على نساء ،
ولو كان هذا الإفكُ حقا لأَخْفَوْه فى إصرارٍ .
ما أكثرَ الذين يدَّعُون أن ليس فى الوجود أنثى امتنعت عليهم ،
إن سَلِمَ جسدُ المرأة من أمثال هؤلاء الرجال
فما سَلِمَ اسمُها ،
تمضى تطاردُها تلك الفِرْيَةُ بالإثم المزعوم .
أَلاَ فليُغلقْ الحارسُ البغيضُ بابَه المنيعَ على امرأته ،
وليوصدْه إن شاء بمائة مزلاجٍ .
أَيُجْدِى ذلك إن ظلَّ مَنْ يدنّسُ اسمَها طليقا خارجَ بابِها ،

موهما النّاسَ بما لم يقعْ أبدا إلاّ فى زعمِه ؟
أما عنّى فإنى لا أروى من مغامرات العشق الحقة إلا نَذْراً ،
وأُحيطُ نزواتى بستارٍ كثيفٍ .
وأقول لكم أنتم خاصة لا تُكَاشِفُوا امرأةً بعيبٍ فيها ،
فكم من عاشقٍ نال مناهُ حين تظاهرَ بأنه لم يَلْحظْه .
هل عاب پيرسيوس ، ذاك البطلُ المجّنحُ القدمين ، على أندروميدا سُمْرةَ بشرَتها ؟
وهلاّ شاد غيرُ هيكتور وحدَه بقوام زوجته أندروماخى ،
بينا أجمعَ الكلُّ على بدانتها وطولها الفارع .
جاهِدْ أن تألفَ ما لم تَأْلَفْهُ ، ولسوف يطيبُ لك هذا بعدُ .
فأنت مع الحبِّ الوليد مرهف الحسِّ ،
ومع الأيامِ يَجْمُلُ فى عينيك ما كان قبيحا ،
يعصفُ النسيمُ وإن هَانَ بالغُصنِ الغضّ فى شجرته المُخْضرَّة ،
ومع الأيام يشتدُّ هذا الغُصن ويَصْمُدُ للريح العاتية ويُؤْتِى ثمرَه .
ومع الأيام يَخْلُصُ الجسدُ من عيوبه ،
فلا نضيقُ فى غدنا بما حسبناه بالأمس شائبةً .
وخياشيمُ الصبيِّ التى لا تطيقُ رائحة جلودِ الثيران ،
تروّضها السّنونُ فتستنيمُ غير ضائقة .
وبالأوصاف المعسولة أيضاً تدارى كل نقيصة :
فتقولُ لمن بَشَرَتُها فى عُتْمة قطران إليريا : « يا خمريّةَ اللّونِ » .
وتقولُ للحَوْلاءِ : « ما أشبهكِ بڤينوس » .
وتقولُ للناصلةِ الشَّعْر : « ما أشبهكِ بمينرڤا » .
وتنادى من أنحلها المرضُ : « ياهيفاءَ الخَصْر » .
وتصفُ القصيرةَ : يا دقيقة القدِّ .
وتهمسُ للبدينةِ : « إنك بَضَّةُ الجَسَدِ » .
قنِّع كل عيبٍ بما يقاربُه من حُسنٍ .

* * * * *

ولا تَسَلْها عن عمرِها ، ولا فى عهدِ أى من القناصل وُلدت .
اترك هذا الأمرَ للسِنْسُور [الرقيب][٣٩] الصارم ،
وخاصة إن كانت قد عبرت زهرة العمر ،
وبدأت تنزعُ بعضَ الشعيرات الشُّهباء .
لا تَحْسَبُوا أيها العشّاق ، تلك السنَّ وما فوقَها مجدبةَ المتعةِ ،
فهى حقلٌ إن تبذرْ فيه ، تجنِ وَفيرَ الحصاد .
لا تدّخرَ الجهدَ ما واتاك شُبابُك وفتوّتُك ،
قبلما تلحقَك الشيخوخةُ الصامتةُ الخطوات .
وكما تشقُّ البحارَ بالمجداف والتُّربةَ بالمحراث ،
وتخوضُ المعاركَ الوحشيةَ بذراعيكَ المفتولتين ،
أغزُ ساحات النساء كذلك بفحولتك وحيويّتك
فهذه أيضا حرب تتطلّب اختبار رجولتك .
ثم إن للناضجات منهن خبرةً تُحرِّك نشوة الرجل .
فتُعَوِّضهنّ الخبرةُ وحدَها ما سَلَبْتهنَّ إيّاه الأيامُ ،
ما أبرعَهُن فى التّصابى وأعرفَهُن بمواطنِ النزوات .
. . . .
. . . .
. . . .
. . . .
. . . .
. . . .
. . . .
. . . .
. . . .
. . . .
. . . .
كل هذا موفور فيمن تخطّين السنواتِ الخمسَ مراتٍ سبعاً ،
والطبيعةُ بمثله ضنينة على الغرّيرات .
فليكرعَ النبيذَ الجديدَ غير المُعَتّق من يتعجّلُ أن يَثْمُلَ .
أما أنا فأميلُ إلى الخمر معتّقةٍ فى قِدْرٍ من عهد قناصلِ الماضى البعيد .

فهل يستطيعُ شجرُ الدُّلب أن يحجبَ الشمسَ المُحْرِقةَ بأغصانه ،
إلاّ بعد أن يبلغَ نموُّه فى سنينَ عديدةً ؟
أَوَ لا تدْمى الحقولُ المحصودةُ وشيكا الأقدامَ العاريةَ إذا وطِئتْها ؟
عجبا ! أَوَ يمكن أن تفضّل هيرميونيه[٤٠] على هيلينا ؟
وهل يستقيمُ القولُ بأن جورْجِيه[٤١] كانت أجملَ من أُمِّها ؟
يا من تهفو إلى أن تحظى بمفاتن أنثى ناضجةٍ
لأنت بالغٌ مُناك إن سرتَ بهَدْيِى .
انظر . . . . ها هو ذا الفراش شاهدٌ على لقاءِ العاشقين .
مهلاً ربّةَ الشعرِ ، لا تقتحمى بابَ مخدعِهما الموصد ، فما حاجَتهُما إليك ؟
كلاهُما يعرف كيف يرتجلُ أعذبَ الحديث دون عونك .
. . . .
. . . .
. . . .
ذلك أسلوبٌ طبّقَهُ هيكتور المقدامُ مع أندروماخى فى الزمنِ الغابر ،
فما كان مظَفّراً فى ميدان القتال وحْدَه .
وعلى نفس النهج خطا أخيلُ الجبار مع أسيرته بريسييس العذراء ،
فبعد أن أنهكه قتالُ العدو ، ساخ بثقلِه فى الفراش الوثير .
رضيتِ يا بريسييس أن يداعبَ أخيلُ جسدَك بكَفّيه المخضّبتين بدماء مواطنيك الطرواديين
أَوَ لَم تكن ذِروةُ مُتعتِك أيتها الماجنةُ ، أن تتحسّسَ أطرافَك كفّا قاهرِ شعبك ؟

* * * * *

خُذْ عنى .. لا يتعجّلُ أحدٌ فى الحبِّ النشوَة
هى هَوْناً تُستدرج ، فلتتريَّثْ إن شئت مزيدا من متعة ،
حتى إذا وَقَعْتَ على ما تتمنّى المرأةُ أن تلمسَه منها ،
فلا تدع الحيَاء يردُّك عن مسعاكَ .
وحين تلمحُ عينيها وقّادتين راجفتين ،
وكأنهما صفحةُ ماء صاف تعكسُ بريقَ الشمس ،
فلا تقلق إن شَكت أو تمنّعت ،
فما أسرعَ ما تُقبلُ فى دَلٍّ وتُتمتمُ فى وَلَهٍ ،

مُطلقةً زفراتٍ فى نبرات رخيمة لا تنطق إلّا بما يوائمُ نشوةَ الحبّ .
. . . .
. . . .
. . . .
. . . .
. . . .
. . . .
ألا هل بَلَّغْتُ رسالتى ؟
فلْتَهَبُونى سعفَ النخيلِ أيها العُشاقُ ، أَسْرَى فَضْلى .
ولتتوّجوا هَامَتِى العَطِرَةَ بأكاليل الآس .
فبقدرِ ما كانَ پوداليريوس شهيرا بين الإغريق بطبِّه ،
وأخيلُ بذراعه المفتولة ،
ونسطور برائعِ حكمته ،
وبقدر ما كانَ كالخاس عليما بالمستقبل وطقوسِ القرابين ،
وأچاكس بن تيلامون باستخدام السيف ،
وأوتوميدون بقيادة مركبات القتال وسباقها ،
هكذا أنا ذاعت شهرتى عاشقا ،
فتغنَّوْا بمديحى أيها الرجال ،
٧٤٠ وأذيعوا اسمى نبيّاً للهوى فى أرجاء العالمِ كلِّهِ .
لقد وهبتُكم سلاحاً كما وهبَ ڤولكانوس أخيلَ سلاحَه ،
فهُبُّوا كى تنتزعوا النصرَ بمضاءِ سلاحى أسوةً بانتصارات أخيل .
وعلى كلِ عاشقٍ قَوِىَ بنصلى على أن يقهرَ إحدى الأمازونات ،
أن ينقشَ فوقَ غنيمتِه « . كان ناسو . . . معلّمى » .
* * * * *

صهٍ !
إنّى لأسمعُ صوتَ صبايا يضرعن إلىّ لأسوقَ لهنّ النصح !
هيّا أقبِلْنَ ،
فعلى الرّحبِ لقائى إياكُنّ فيما يأتى من صفحات .
* * * * *

— تعقيبات

١ — جاء بيلوبس من فريجيا إلى إيليس وطن هيبوداميا وفاز بها زوجة فى سباق للمركبات .
٢ — إيراتو كلمة مشتقة من إيروس « الحب » ومعناها الحبيب ، وهو اسم ربة الشعر الغنائى والغزلى .
٣ — عندما هرب دايدالوس من أثينا التجأ إلى كريت حيث شيّد المتاهة سجناً للمينوطور ، غير أنه حين أعرب عن رغبته فى العودة إلى أثينا رفض الملك مينوس الإذن له بذلك .
٤ — هايمونيا اسم بديل لثيساليا التى اشتهرت وقتذاك بالسحر .
٥ — يشير أوفيد هنا إلى ما كان يسمى « بالهيبومانيس » ، وهو كالوَرم على جبين المُهْر تنتزعه الفرس بأنيابها فور ميلاد مُهرها . وقد اشتهر هذا الورم بمقدرته السحرية إكسيرا للحب . ويقول فرجيل فى كتابه الثالث عن فن الفلاحة إن هذا الإكسير عصارة يفرزها مهبل الفرس . ويقول البعض الآخر إن مصدر هذا الإكسير عصارة نبات لا يوجد فى غير أركاديا .
٦ — جبال فى إيطاليا الوسطى اشتهرت بالسحر .
٧ — كانت ميديا زوجة جاسون قدرات سحرية خارقة ، وبرغم ذلك تزوج عليها كريوسا .
٨ — عشقت الساحرة كيركى أوديسيوس عندما لجأ إلى جزيرتها ، وعجزت رغم قدراتها عن الاحتفاظ به .
٩ — كان نيريوس ملكاً لناكسوس وابناً لخاروبس وأجلايا ، ذاع صيت جماله فى كل مكان ، وكان أحد قادة الجيوش الإغريقية فى حرب طروادة ، ووصفه هوميروس فى مستهل الإلياذة بإعجاب شديد .
١٠ — هيلاس بن ثيوداماس ملك ميسيا ، اختطفه هرقل وأبحر به فى سفينة الأرجو صوب كولخيس . وإذ رست السفينة على شواطىء آسيا نزل بحارة الأرجو إلى البر ليملأوا خزاناتهم بالماء العذب ، فذهب معهم هيلاس حاملاً قدراً ، ولما بلغ الينبوع سقط فى بركة أمامه فغرق . ويقول الشعراء ــ ومنهم فرجيل بصفة خاصة فى رعويته السادسة ــ إن حوريات الماء وقعن فى غرامه فاختطفنه إلى أعماق البركة . ولما علم هرقل بذلك انفجر حزناً لفقدان أعزّ غلام عنده وملأ الغابات والجبال بصرخات أساه ، ويقال إنه ترك سفينة الأرجو وذهب ليبحث عنه .
١١ — انظر مقدمة المترجم .
١٢ — المقصود هنا الملك ريزوس ، فالأودريسيوّن لقبٌ من ألقاب شعب طراقيا .
١٣ — جدول صغير فى طروادة يصب فى نهر اسكمندر بآسيا الصغرى .
١٤ — طائر طويل الجناحين مشقوق الذيل .
١٥ — هى إيبروس ، والمقصود هنا اليمامات الموجودة فى غابة البلوط لمعبد جوبيتر بدودونا حيث يتكهن الهاتف الألهى بالمستقبل من خلال تلك اليمامات .
١٦ — أتالانتا فتاة من بويوتيا اشتهرت بجمالها وبسرعة عدوها ، أعلنت أنه لن يظفر بها زوجة إلا من يتخطّاها فى السباق ، أما من تتخطاه هى فمصيره الموت حتى صادفت هيبومينيس أو ميلانيون على حد قول بعض الشعراء فسبقها بالحيلة وفاز بها زوجة له .
١٧ — السهم الأول من قوس القنطور هيلايوس الذى حاول أن يستأثر بأتالانتا ، أما السهم الآخر فمصدره قوس كيوبيد .

١٨ — جبل مقدس للإله پان فى أركاديا يختلف إليه الرعاة . وكان هذا الجبل مكسُوًّا بغابات شاسعة من شجر الصنوبر تغنّى بها أكثر الشعراء الرومان فى قصائدهم .

١٩ — وقع هرقل فى غرام الملكة أومفالى التى كانت قد اشترته عبداً لها فبادلته الحب . وحرصاً منه على أن يبقى إلى جوارها أبداً تزيّ بثياب الوصيفات وانتظم فى صفوفهن يغزل معهن الصوف . والمقصود من هذه الرواية الكناية عن مدى استعباد الحب لبطل مشهود له بالقوة مثل هرقل .

٢٠ — تزوج أدميتوس ملك فيراى بثيساليا من ثيونى ، وبعد عرسها بقليل تزوج من ألكستيس ابنة پلياس . ويروى أن أپوللو بعد طرده من السماء نزل ضيفاً على أدميتوس وأحبه حباً شديداً فرعى قطعانه تسع سنوات وتضرع إلى ربات القدر أن يضفين الخلد على أدميتوس بشرط أن يقدم غيره حياته بدلاً منه ، فقدمت زوجته ألكستيس حياتها تضحية من أجله بعد رفض والديه القيام بهذه التضحية .

٢١ — وقعت هيرو إحدى كاهنات معبد ڤينوس الجميلات فى شراك حب أحد فتيان أبيدوس فى آسيا الصغرى . ومن شدة هيامه بها كان يهرب ليلاً من دار أسرته ويعبر مضيق الهليسپونت للقاء هيرو التى كانت تقف فى سيستوس على الجانب الأوروبى من المضيق رافعة شعلة من فوق برج عال . وظلت هذه اللقاءات الليلية تتوالى حتى غرق لياندر فى ليلة عاصفة ، فيئست هيرو وألقت بنفسها من فوق البرج وماتت غرقاً فى البحر مثل حبيبها .

٢٢ — تقدم نساء روما القرابين والأضحيات يوم ٧ يونيو للإلهة چونوكاپروتينا (أى چونو الواقفة تحت شجر التين البرى) ويسميه الرومان « چوناى كاپروتيناى » . ويقام هذا العيد تكريماً لذكرى ذلك اليوم الذى أسلم فيه الرومان إلى العدو الغالى إماء مرتديات ثياب زفاف سيداتهن بدلاً من السيدات والعذارى اللاتى طالب بهن الغالبون الرومان فدية لمدينتهم روما ، حتى إذا بلغن معسكر الغال تسلقت إحداهن شجرة تين برية ولوّحت بإشارات متفق عليها إلى جيش الرومان الذى عرف بذلك مكان العدو فهاجمه وقضى عليه .

٢٣ — اقتبس أوڤيد هذا البيت عن « الرعوية الثانية » لڤرچيل (البيت ٥٢) . وأماريلليس اسم أطلقه ڤرچيل على راعية من الرعاة فى قصائده « الرعويات » ، ويزعم بعض الشراح أنها اسم مجازى لمدينة روما نفسها .

٢٤ — ميدوسا هى إحدى الجورجونات الثلاث ، وكانت وحدها من بينهن تجرى عليها أحكام الفناء بخلاف أختيها الرهيبتين . وكانت شعورهن أفاعى ونظراتهن تمسخ من يتطلّع إليهن حجراً . واشتهر پرسيوس بأنه قطع رأس ميدوسا وثبّته على ترس أهدته إياه الإلهة منيرڤا (پالاس) فكان كل من يتطلع إلى ترسه يتحول إلى حجر .

٢٥ — كان التبخير بالكبريت والطواف بالبيض فى حجرة المريض من طقوس الإلهة إيزيس فى روما كى ينال عطف الإلهة فتشفيه .

٢٦ — هامت فيليس ليكورجوس ابنة ملك طرلقيا بديموفوون بن ثيسيوس حباً حين نزل إلى شواطىء طراقيا أثناء عودته من حرب طروادة . وأبحر ديموفوون إلى أثينا بعد أن وعدها بالعودة بعد شهر ، غير أنه لم يف بوعده فألقت فيليس بنفسها من أعلى الجبل إلى البحر وغرقت .

٢٧ — كان پروتيسيلاوس حفيد فيلاكوس ملكاً لإقليم فى ثيساليا ، وكان أخا لألكيميديه أما چاسون ، تزوج من لاوداميا ابنة أكاستوس ثم انضم إلى جيوش الإغريق وأبحر معهم فى حرب طروادة . وكان أول من وضع قدمه على الشاطىء الطروادى من بين الإغريق ، وكان الهاتف الإلهى قد تنبأ بأن أول من يهبط على الأرض طروادة من الإغريق سيلقى حتفه ، وقد قتله هكتور أو أينياس . ولما سمعت لاوداميا بالخبر المشئوم انتحرت .

٢٨ — إشارة إلى نشوة الانجذاب التى تسيطر على كاهنات باكخوس ، ذلك الإله الذى كثيراً ما كان يصوَّر برأس متوّج بقرنين . أما آوونيا فاسم مرادف لبويوتيا وإن كان يطلق على جزء منها فحسب ، وهو ذلك الجزء الذى يقع فيه جبل هيليكون موطن ربّات الفنون .

٢٩ — يشير أوڤيد إلى ميديا حين تزوج چاسون من غيرها ، بينما يقصد بالخطاف پروكنى ابنة پانديون وزوجة تيريوس مسخت

خطافاً بعد أن قتلت لبنها انتقاماً من أبيه حين زنى بشقيقتها فيلوميلا . انظر « مسخ الكائنات » (ميتا مورفوزس) لأوفيد ترجمة كاتب هذه السطور.

٣٠ — كان أجاممنون قد رفض تسليم خريسييس ابنة الكاهن خريسيس الطروادى لأبيها إلى أن ابتلى الجيش الإغريقى بوباء فاضطر إلى ردّها . وبعد ذلك اختطف أجاممنون بريسييس التى كان أخيل قد فاز بها من قبل بين سباياه فغضب أخيل وانسحب من المعركة . وفى النهاية أخذ أجاممنون كاساندرا ابنة پريام بين سباياه من طروادة . ولما علمت زوجته كليتمنسترا ذلك كله دبّرت اغتياله بمعونة عشيقها أيجيستوس.

٣١ — جبل إريكس بصقلية الذى يضم معبداً لڤينوس.

٣٢ — كان ماخاوون وبداليريوس ابنى اسكليپوس إله الطب، وكانا طبيبى الجيش اليونانى أثناء حصاره لطروادة.

٣٣ — كانت الكلمتان « اعرف نفسك » (جنوثى سياوتون) منقوشتين على أعلى باب معبد أپوللو فى دلفى.

٣٤ — يشير أوفيد إلى الهاتف الإلهى فى دودونا الذى يتحدث بالنبوءات من خلال حفيف أشجار البلوط بالقرب من معبد زيوس الپيلازجى.

٣٥ — النار والماء رمزان للحياة الزوجية عند الرومان ولهما أيضاً معنى التطهير، وكان العريس يقدمهما لعروسه حين تطأ قدمها بيت الزوجية، ومن ثم فالنار والماء كناية عن الزوج الشرعى.

٣٦ — يشير أوفيد إلى الطقوس السرية فى إليوسيس، وهى مدينة قديمة فى أتيكا اشتهرت بعبادة ديميتير (سيريس عند الرومان) وبطقوس التخصيب . وكانت أدوات العبادة فى عقيدة سيريس تخفى فى صناديق حتى لا تقع عليها غير عيون القائمين على شعائرها . وصامو طراقيا جزيرة فى بحر إيجه لقّبت بالمقدسة لشهرة أهلها بشدة التمسك بعقيدتهم ولميلاد كل الطقوس الدينية فى العالم الهيلينى على أرض هذه الجزيرة التى أصبحت ملجأ آمناً لأى عبد آبق أو مجرم هارب.

٣٧ — الغرض من صك الصنوج تحذير لغير أتباع العقيدة الملقّنين أسرارها حتى لا يقتربوا من مكان ممارسة الطقوس.

٣٨ — هذه هى الوضعة التقليدية لڤينوس فى الفن التى يتخذها تمثال أفروديتى الكنيدية لپراكستيليس، مع استخدامها اليد اليمنى بدلاً من اليسرى فى ستر عورتها.

٣٩ — كان ثمة رقيبان جمهوريان يسميان " Censores" فى الدولة الرومانية، أنشئت وظيفتهما عام ٤٤٣ ق.م. للقيام بإحصاء الشعب وتقدير أملاك كل مواطن وتحديد الضرائب والهيمنة على النظام العام والآداب.

٤٠ — هيرميونيه ابنة منيلاوس من هيلينا وقد تزوجت من أورستيس.

٤١ — جورجيه هى ابنة ألثايا الفاتنة من أوينيوس ملك إيتوليا.

* * * * *



أمازونة . من البرونز . متحف نابلي .

الكتابُ
الثالث


بنتوريكيو: عودة أوديسيوس إلى بنيلوبي. الناشونال جاليري بلندن.

الكتاب الثالث

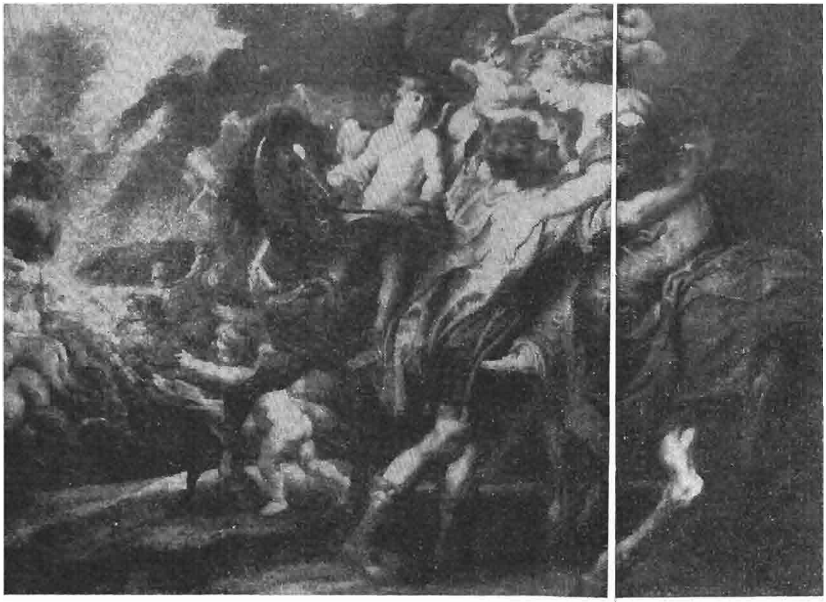
أى بنثسيليا
يا مليكةَ الأمازونات[١] .
إن أَكُنْ قد سلَّحتُ الإغريقَ لغزوِكُنَّ
فقد جمعتُ لكنَّ فى جُعبتِى أسلحةً فتّاكةً ،
لتكون معركتكن مع الرجال متكافئة ،
فتُلحقُ محارباتُك الهزيمةَ بمن تشملهم ڤينوس الحانية برعايتها ،
ويؤازرهُم الصّبىُّ الضّاربُ بجناحيه فى آفاق العالم .
فليس من العدل أن تقفَ صبايا عُزَّلاً
فى مواجهةِ رجالٍ مُدجَّجين بالسلاح ،
وما كان يليقُ بكم أيها الرجالُ مثلُ هذا النصرِ المَهين .
رُبَّ أحدِكُم يقول :

«لِمَ تُمِدُّ الحيّاتِ بمزيد من سُمٍّ ،
وتُسْلِمُ الحَمَل للذئبة الرعناءِ» ؟
وأقول لكم :

لا تصبُّوا اللَّومَ على النساء كافةً لخطيئة بعضِهِنّ ،
فكل امرأةٍ رهنٌ بمَسْلَكِها .
وإن حُقّ لابن أتريوس الأصغر [منيلاوس] أن يتّهمَ هيلينا ،
ولابنه الأكبر [أجاممنون] أن يتهمَ أختها كليتمنسترا ،
وإذا كانت مكيدة إيريفيليه[٢]



لوموان . نرسيس يتأمل ذاته على سطح البحيرة
متحف اللوڤر



روبنز : ديدو تقع فى غرام أينياس . متحف ستيدل بفرانكفورت .

قد دفعت زوجَها أمفياراووس إلى العالم السفلى من قبل أن يحينَ أجَلُه ،
فانطلقت به جيادُه إلى حيثُ لَقِيَ الرَّدَى ،
إن صحّ ذلك كله ،
فهل أنسيتم أن پنيلوپى ظلّت عفّةً مُتأبِّية ،
رغم شرود زوجِها أوديسيوس فى البحار سنين عشرا ،
واشتراكه فى الحرب عشرَ سنينَ أخرى ؟
وإليكم لاوداميا[٣] ،
التى يُروى أنها صحبتْ زوجَها پروتيسيلاوس إلى منيّته ،
ففاضت روحُها قبل حَيْنِها بزمان .
وألكستيس التى فدت زوجَها أدميتوس بحياتها ،
فعاد هو إلى الحياة بينا حُملت جثتها هامدة إلى المحرقة .
وقديماً ألقت إيفادنى بنفسها فى المحرقة صائحة :
« خذنى معك يا كاپانيوس ، حتى يختلطَ رمادى برمادِك »[٤] .
أوَ ننسى أن الفضيلةَ نفسَها تُمثَّلُ امرأة فى ردائها الأبيض النّقىّ
فلا عجب إذن إن مالت لذراريها ، وأُغْرِمَ بها بناتُ جنسها .
أما أنتنّ أيتها الفتياتُ الغَريرات فحسبكن حبُّ مرحٌ لا عناء معه .
فالحب الذى أُلقِّنكُنّ إيّاه فى غِنًى عن مثل هذه التضحيات الجليلة ،
وقارِبى حين يشقُّ بكنّ البحارَ حَسْبُه شراعٌ صغير ،
ونصائحى تأخذكُنّ إلى ساحات الحُبِّ المُفْعم بهجة .
سأعلِّمُكُنّ كيف تبلغُ المرأةُ أن تُحَبَّ
فالنساءُ لم يُخْلَقن لرمى السِّهام النافذة ولا لقذف الشعلات الحارقة .
ولو أنهن فعلن فنادرا ما ينلن من الرجال .
وكثيراً ما يلجأُ الرجالُ إلى الخداع ،
بينا يندرُ أن تلجأَ إليه العذارى اليافعات :
فچاسون الغادر هجر ميديا بعد أن أنجب منها ،
وبنى بكريوسا عروسا جديدة
وأنت يا ثيسيوس ما لَكَ من فَضْلٍ فى نجاة أريادنى من براثن جارح الطير ،
حين تخلّيت عنها وخلّفتها شاردةً على الشاطىء المهجور .
سلوا لماذا سُمِّى هذا الطريقُ : « طريقَ السُّبُل التسع ؟ »
وسلوا هذى الغابات ، لِمَ ذرفت أوراقُها دموعا مواساة لفيليس بعد أن هجرها حبيبها[٦] ؟



سباستيان بوردون : ديدو تهمّ بالانتحار بعد أن هجرها أينياس. متحف بيزييه.



بوسان : أينياس وديدو فى غابة المتعة . (متحف بيزانسون)



تتسيانو: ڤينوس تتوسل إلى أدونيس ألا يخرج للصيد. متحف پرادو :

وأنتِ يا ديدو ، ألم يهجُرْكِ ضيفُك أينياس رغم ما ذاع عنه من ورعٍ وتقوى ،
ولم يخلّفْ لك سوى السيفِ الذى أذاقَكِ الرَّدى ؟
أَتتطلّعنَ أن أكاشفِكنّ بسرّ ما يجرُّكُنّ إلى الهلاك ؟
فى جَهلِكُنّ بشئون الحب يكمنُ شقاؤكُن .
فقد أعوزتكُنّ الفطنة التى تمدُّ فى أجل الحبِّ .

ولولا وصيةُ ڤينوس لى أن ألقّنكنّ فنّ الهوى
لظلَّ جهلُكُنّ والشقاءُ صِنْوان .
أقبلتْ ڤينوس علىّ هامسةً :
« ما جريرةُ نساءٍ حُرمن وسائل الدفاع ،
فغدوْن فرائس لرجالٍ مدجّجين بالسلاح ؟
لقد لقّنتَ الرجال نشيدين فى فنونِ الحب ،
ألم يئن الأوان كى تَحْبُوهنّ أيضاً بنشيدٍ يأخذُ بأيدِيهنّ ؟
أَوَ تنسى أن ستيسيخوروس كان أول من هجا هيلينا عروس ثيراپناى[٧] من الشعراء ،
ثم لم تلبث قيثارتُه أن نبضت بالحَدَب عليها ؟
لستُ أظنُّكَ أنتَ يا من أعرفُه حقَّ المعرفةِ ،
من يتخلّى عن النساء ، وبخاصة الغيد الفاتنات .
ويقينى أنك ساعٍ إلى ما فيه نفعهُن ما ظلّ فيك رمقٌ من حياة » .
هكذا تكلمت ڤينوس .
ثم قَطَفَتْ لى من إكليل شعرها ورقةَ آس وبضع ثمار .
وما كدتُ أُمسك بها حتى أحسستُ لها سحرا ،
تألّقت له السماءُ متوهّجةً ،
وأزاحَ عن صدرى ما يجثم عليه من أعباء ثقال .
وها أنذا أُزجى للغيد نُصحى :
فَلْتُبادرْ كلٌّ منكن إلى الإصغاء لما توحى به ڤينوس إلىّ من وصايا ،
لا تُنَافى آداب اللياقة ، ويكفلها لكُنّ القانون[٨] .
جديرٌ بكن أن تذكرن الشيخوخةَ المرتقبة ،
حتى لا تضيعَ سدى منكن ساعةٌ من زمن
امرحن ما وسِعَكُن المرحُ طوالَ ربيع العمر .
تمرُّ السّنونُ مرورَ الماء المنساب ،
لا ترتدُّ قطُّ موجةٌ منه مضت ،
وعصىٌّ أن تَعودَ الساعةُ التى تنقضى .
عِشْنَ سويعاتِكُن ، فالعمرُ يُفْلِتُ سريعَ الإيقاع ،
وما يأتى الزمنُ بمثل روعةِ الأيام الخالية .
هذى النباتاتُ التى تَرَوْنها ذابلةً ، كانت بالأمس حوضَ بنفسجٍ يانع .
وهذا الدَّغَلُ من الأشواك ، تَخِذْتُ منه ذاتَ يوم إكليلاً من الزُّهرِ ناضراً



المدرسة الفرنسية : مصرع أدونيس . متحف بلوا .

أنتِ يا من تَصُدِّينَ عُشّاقَك عن بابِك
سيُوافِيَنَّكِ يومٌ تتقلّبينَ فيه طوال الليل على فراشك ،
عجوزاً راعشةً تتوقُ إلى دفءِ الأليف :
لا يعترِكُ العشّاقُ فى سَوَادِ اللَّيل على عتبةِ بيتك ،
ولا يَبْزُغُ ضَوْءُ الفجر على الوردِ المنثور أمام بابك .
ويلاه . ما أسرعَ ما تغدو الغضونُ فى الجسدِ أخاديدَ .
وما أسرعَ ما تغيبُ حُمرةُ الورد عن بَشَرة ذياك الوجه الفاتن .
وتلك الشعيراتُ البيضُ ، التى تُقسمين أنها نبتت فى رأسِك منذ الصِّبَا ،
عما قريب ستَعُمُّ رأسَكِ كلَّه .
الأفاعِى وهى تنضو سِلْخَها تنضو معه شيخوختها .
والأيِّلُ يُلقى عنه قرنَيه ، فينبتُ مكانَهُما قرنان بديلان .
أما مفاتنُ البَشَر فتذبُلُ ولا أملَ فى رجوعها .
فلتَقْطُفْنَ الزهرةَ إذن ، فمآلُها إن لم تُقْطَفْ إلى الذبول .
ولا تنسينَّ ما يقتطعُه الإنجابُ من سنى الشباب .
فما أسرعَ ما يَهْرَمُ حقلٌ يتوالى زرعُهُ .
أى ديانا يا ربّةَ القمر ، لِمَ يحمرُّ خَدّاكِ خَفَراً ،
أو لم تقعى فى حبائلِ أندميون ؟
وأنتِ يا أُورُورا يا ربّةَ الفجر الورديةَ الأناملِ
ألَا يعرُوكِ الخجلُ وقد راودتِ كيفالوس[٩] عن نفسه ؟
وأنتِ يا ڤينوس التى لا تفتئين تبكين أدونيس ،
هلاّ أنبأتِنِى عمَّنْ أَوْلَدكِ أينياس وهارمونيا[١٠] ؟
لَكُنّ فى الإلهات عِبْرةٌ أيتها النساء الفانيات ،
فلا تحجُبن مفاتنكُنّ عن عُشّاقٍ جَوْعى .
فيم خَسَارَتُكُنَّ ، حتى إذا انتهوْا إلى خيانَتِكُنَّ ؟
فالمتعة منبعُها باقٍ فيكُنَّ لا يَنْضَبُ ،
مهما اغترف العشاقُ المتعةَ تلو المتعة .
الصُّلبُ يذوبُ ويبلى الصُّوّانُ ،
بينا لا يَنْفَدُ ذاك المنبع .



شارل دلافوس : باكخوس يختلي بأريادني . متحف ديچون .

هل يخبو وهجُ الشُّعلةِ إن أُوقِدَتْ أخرى منها ؟
والبحرُ الواسع ، هل ينقصُ إن غَرَفْنا منه حَفْنَةَ ماء ؟
فما انتهى إلى سمعى قط أن امرأة استنكرت أن قضى رجلٌ منها وطَراً » .
ألَا إنكنّ تَسْكبنَ ماءً سوف تَغْتَرِفْن عِوَضَه
[إذ تمارسن ما أَوْدَعتكُنّ إيّاه الطبيعةُ] .
ما أردتُ حديثاً فيه امتهانُكنّ ،
بل إنى أحذّركنّ خَشْيَةَ خسارةٍ موهومة ،
فلن تفقدن شيئاً مهما أسرفتنّ فى العطاء .

* * * * *

١٠٠ ومادمتُ باقياً فى قاربى الساكن بالمرفأ ،
تهدهدنى الأنسامُ الحانية ،
فلأبدأ بما يحفظُ للجسد كمالَه وجمالَه ،
قبل عصف الريح العاتى ،
الذى لن يلبثَ أن يدفعَ قاربى عَنْوَة .
فَأطْيَبُ أنبذةِ باكخوسَ من الكروم التى تَحْظَى بأجلِّ عناية .
فإذا سرّحت الطرفَ فى حقلٍ شملته تلك الرعايةَ ، شَهِدتَ وفرةَ محصولِه .
الجمال هبةُ السماء لا يزهو بها إلا قلّة !
وما أقلَّ من يَنْعَمْنَ منكُن بهذه الهبة الغالية .
ولا يفوتُكُنّ أن رعاية الأجساد تُضْفى الملاحةَ على المظهر ،
كما لا يفوتكُنّ أن إهمال رعاية الأجساد يذهب بالجمال ،
وإن كنتنّ فى روعة ڤينوس ربّة جبل إيدا .
حقاً إن مَنْ سَلَفَ مِنْ نساء الزمن الغابر لم يلتفتْن إلى رعاية أجسادهُنّ أبدا .
كما لم تكنِ الأناقةُ من سماتِ رجال ذاك العصر .
فما وضعتْ أندروماخى على جسدِها غيرَ الخشن من الثياب ،
ولا ضَيْرَ عليها فلقد كانت زوجةَ محارِب عاتٍ .
أستحلفُكِ بالآلهة ،
أما لو كنتِ زوجةَ أجاكس الكَاسى بجلود ثيرانٍ سبعة ،
أكُنْتِ تَلْقَيْنَهُ فى حُلَّةٍ زاهية ؟

طابعُ الأمسِ فى بساطة الفطرةِ .
واليومَ .ترفُل روما فى الثراء الوفير المنهمرِ عليها من أنحاء العالم الخاضع .
تَخيَّلِى اليومَ تل الكابيتولينوس فى صورتِه السالفة
إذن لترينَّهُ وكأنه قد شُيِّد لجوبيتر آخر ، غير جوبيتر هذا العصر !
وما أجدرَ أعضاء مجلس شيوخِنا المبجّلين اليومَ بمبناهم ،
فلم يكُ فى عهد تاتيوس[١١] غير سقيفةٍ من أعواد الغاب والطين .
وتلُّ البالاتينوس الذى يشمخُ فوقه فويبوس وقادتُنا[١٢] ،
هل كان سوى مَرْعَى تشقُّه أسنان المحاريث ؟
فليسعدْ غيرى باجترار ذكرياتِ الماضى ،
أما أنا فهنيئاً لى أنى ابنُ هذا العصرِ المواثم لطبعى ومزاجى .
ولا أقول هذا ، لأن الذهبَ المستعصى أصبح يستسلمُ للباحث فى جوفِ الأرض ،
وتنالُ الأيدى الأصدافَ من شواطىءَ شتّى ،
وتتضاءلُ الجبالُ لِمَا يُنزع منها من رخام ،
وتحاصرُ أسوارُ الآجرّ فيضَ المياهِ الداكنةِ الزرقة ،
بل أقولُه لأن الحضارةَ باتت شامخة ،
وتوارَتْ عاداتُ الريف المتوارثة عن الأجداد .

* * * * *

أنصحُكنّ يا بناتِ العصر :
لا تُثْقِلْنَ الآذانَ بنفيس الجواهر ،
التى يجمعها الهندىُّ الأسمرُ من أعماق الماء الأخضر .
ولا تَخْطِرْنَ مُثْقلاتٍ بثياب مطرّزةٍ بالقصب .
ما أشدَّ نفورَنا من أبّهة برّاقة ترفُلْن فيها لنقع فى شراكِكُنّ ،
ولكن ما أسلسَ قيادَنا أمامَ أناقة بريئة تبدون فيها .
لا تُرسلنَ شعورَكُنّ غير مُنَسَّقَةٍ ،
فلمسةُ كفٍّ منكن تُضفى عليها جمالاً وإلّا حُرِمت منه .
ولا يذهبُ بكنّ الظنُّ أن هناك أسلوباً واحداً للتجميل ،
فلتختَرْ كلٌّ منكن ما يناسبُها ، ولتلتمسْ فى مرآتها النُصحَ .
فلن تحتاجَ صاحبةُ الوجهِ البيْضى لغير مِفْرقٍ بسيط فى شعرها ،
ذلك ما أضفى الحُسْنَ على لاوداميا .

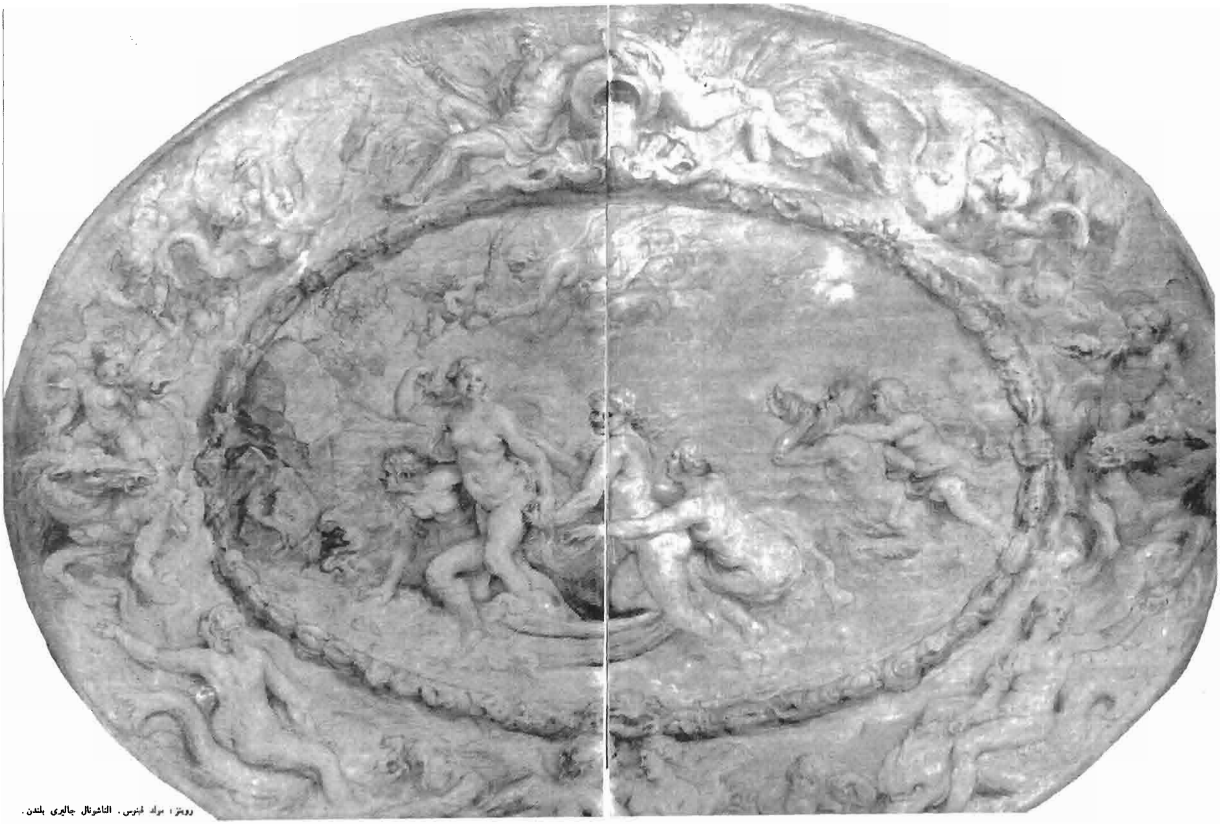
وصاحبةُ الوجهِ المستديرِ تكتسبُ جمالاً
بحلقةٍ صغيرةٍ من الشعر فوق الجبين تكشفُ عن أذنيها .
ولْتُرسلْ واحدةٌ شعرَها على كتفيها ،
هكذا فعلتَ يافوبيوس بينا تعزفُ على القيثارة .
ولتضفرْ أخرى جدائلَ شعرِها على نسق ديانا وهى تطارد الوحوشَ المذعورة .
يليقُ بهذه الفتاةِ أن تدعَ شعرَها ينسابُ طليقاً ،
وبتلك أن تضمَّ غدائرَها المضفورةَ فى عناية .
وهذه ينفعُها مُشْطٌ من درعَ السلحفاة الكيلينية[١٣] .
وتلك تدعُ شعْرَها يتمّوجُ تمّوجَ البحار .
فإن تكونى عاجزةً عن إحصاء ثمار البلوط ،
ونحل جبل هيبلا وضوارىَ جبالِ الألب ،
فإنى لكذلك عاجزٌ عن تعداد أنماط تصفيفات الشَّعْر الشائعة ،
بينا يضيفُ كلُّ يومٍ المزيدَ من حُلىٍّ الزينة .
وما أنسبَ الشَّعرَ المُرسَلَ لفريق من السيدات ،
يبدو كأن لم تَمْسَسْهُ يدٌ منذ الأمس ،
بينا قد مُشِّط مُذْ هنيهة .
وعلى هذه الصورة بدت لهرقل أسيرته إيولى ،
حين علقَ بها بصرُه أول مرة فى المدينة المقهورة ،
فصاح : « لتكوننّ هذه الفتاة من نصيبى . . . كم هامت بها نفسى . . »[١٤]
وهكذا بدوتِ أيضاً يا أريادنى بعد أن تخلّى عنك ثيسيوس .
عندما رفعك باكخوس إلى مركبته ،
فارتفعت صَيْحاتُ الساتير تحيةً وإعجاباً .
ألا ما أَحْنَى الطبيعة حين هيّأت لكُنّ من الوسائل ما تَسْتُرْنَ بها عيوبَكُنّ .

* * * * *

واأسفَا لزمنٍ يُعرّينا نحن الرجالَ ولأيامٍ تطحنُنا ،
ويسّاقط شعرُنا تساقطَ الأوراق عندما تهزُّ ريحُ الشمال الغصونَ .
على حين تَصْبُغُ المرأةُ شعرَها بعصارات جرمانيةٍ ،
وتُضفى عليه بفنّها ما يفوقُ هبات الطبيعة .
وتختالُ تحت ثِقَلِ جدائلَ شَرَتْها ،



لوی ده بولونی : جوپیتر وسیمیله . متحف لومان .

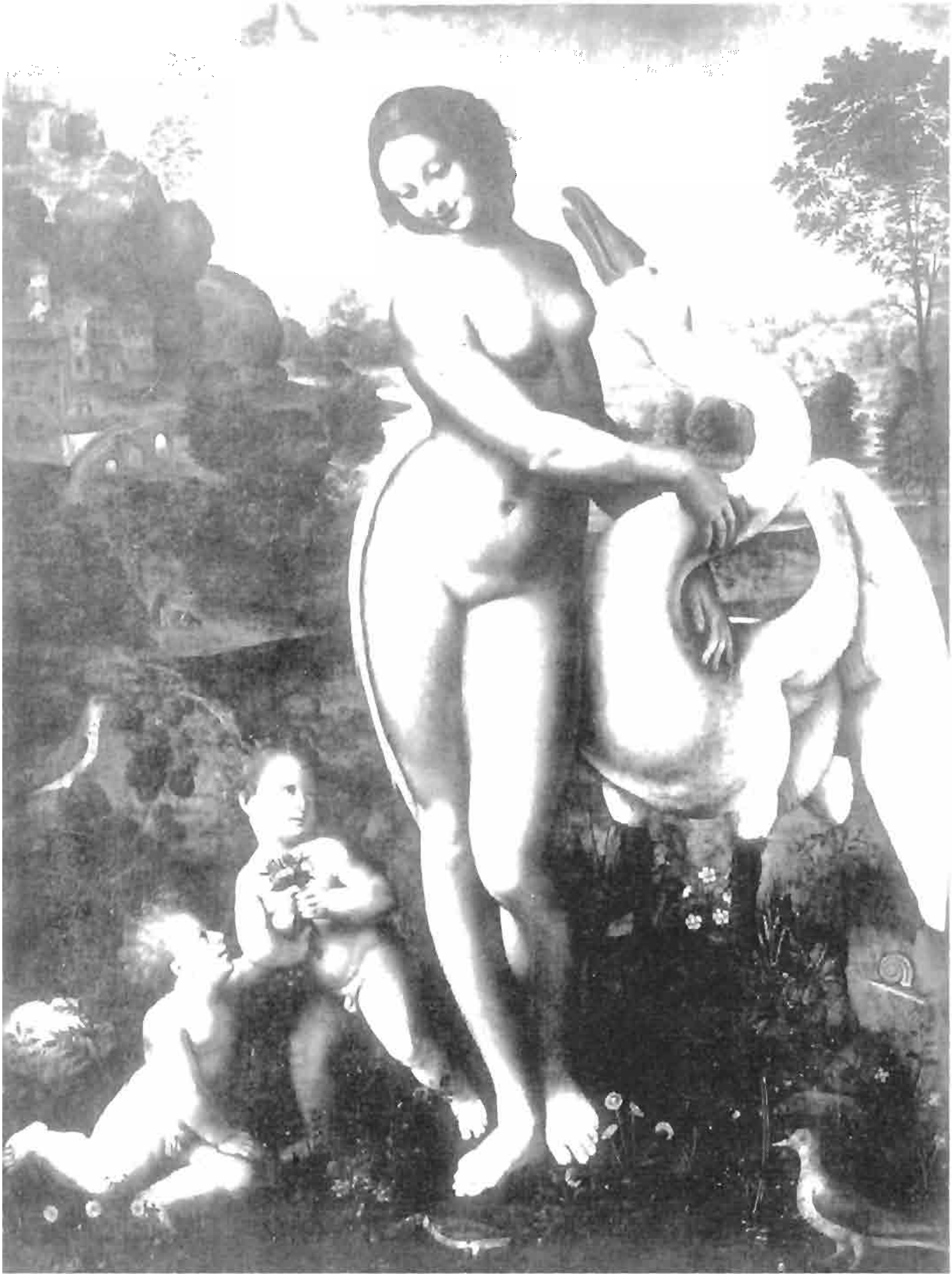


روبنز : مولد فينوس . الناشونال جاليري بلندن .



▲ سيزان: ليدا وطائر الهجع. مجموعة خاصة.
ليوناردو دافنشي: ليدا وطائر البجع. متحف بورجيزي بروما. ◀

ما تكاد تَذْوِى حتى تبتاع بديلاً من شَعْرِ صبيّة.
فعلى الملأ بات الشَّعرُ يُباع ويُشترى بلا خجلٍ،
فى حضرة هرقل وعلى مرأى من العذارى[١٥] ربّات الفنون.
أما الثيابُ فإليكن رأيى فيها،
ما حاجتى إلى حواشى الثيابِ المطرّزة؟
أو إلى ذاك الصوفِ الذى تمنحه أصباغُ صُور حُمرةً كحُمْرة الخجل؟
أى جنونٍ يدفَعُكُنّ إلى السَّيرْ محمّلات بمدَّخراتِكن فوق أبدانِكن،
بينا تستطعن بأبخس الأثمان أن ترفلن فى ثيابٍ مختلفِ ألوانُها؟
انظرى..
هذا ثوبٌ فيروزىٌ فى لون السماء الصافية



حين تكفُّ رياحُ الجنوب عن دفع السُّحبِ الحُبلى بالأمطار .
وإليكِ الأصفرَ الضاربَ إلى لونِ الذهب ،
لون فروةِ الكبشِ الذى أنقذ ذات يوم
فريكسوس وهيلي من شراكِ إينو[١٦] .
وذاك الأخضرَ خضرة ماءِ البحر ،
إخالُهُ الثوبَ الذى تكتسيه الحوريات .
ويحاكى هذا الثوبُ الزعفرانَ ،
لونَ رداء « أورورا » ربّة الفجر النديّة
عندما تشدُّ جيادَها الناصعةَ البياضِ إلى مركبتها .
وإليكِ لونَ شجرِ الآس من پافوس ،
والجَمَشْتَ الأرجوانى ،
والوردَ الأبيضَ ،
ولونَ ريشِ طائر الكركىّ الطراقى ،
«ولا ننسى لون كستنائك ولا لون لَوْزِك يا أماريلليس »[١٧] ،
ولا ذلك الفراءَ الذى أسبغ عليه الشمعُ صِبْغَتَه[١٨] .
وعلى قدر ما تتعدّدُ أنواع الزهور الوليدة مع أنفاس الربيع الحانية ،
حين تستوى براعمُ الكروم ويولىّ الشتاءُ المتعثّرُ أدباره ،
تتعدّدُ الألوان التى يُشْرَبُها الصوفُ ، وقد تُرْبِى .
فلتختارى متأنيّةً لوناً موائما تُزْهَيْنَ به ،
فلونٌ بعينه لا يناسبُ النساءَ جميعاً .
فالبَشَرَةُ البيضاءُ بياضَ الجليد ، يلائمُها الرماديُّ الداكنُ ،
وقديماً كنت تتحلّين به يا بريسييس يوم وقعت فى الأَسْر سبيّةً .
والسمراءُ يناسبُها الأبيضُ ،
ففى ثوبِك الناصع البياض يا أندروميدا تجلّت فتنتك ،
وأنت تهبطين على شواطىء جزيرة سيريفوس .

* * * * *

كدتُ أحذّرُك من عَطَن « الجَدْى الريفى » يلحقُ إبْطَيْك ،
والشعيراتِ الخشنة تسلبُك نعومةَ ساقيك .
فأنا لست أُعلِّمُ فتياتٍ من كهوف جبال القوقاز ،



بوشيه : ليدا وطائر البجع . متحف ستوكهولم .

ولا أولئك اللاتى يرشفن من مياهِك يا نهر الكايكوس(١٩) .
ما أغنانى عن أن أُرشدَكِ إلى الحفاظ على نصاعة أسنانكِ ،
وعلى نقاء كفَّيك مع إطلالة الصباح .
ولأنتِ أعلمُ كيف تَكْسِينَ بَشَرَتك بالمساحيق ،
ففن التجميل قديرٌ على إكسابها نضارةً ساعةَ يتخاذلُ الدمُ فى عروقك .
وبالفن أيضاً تُزجّجين حاجبيك الناحلين ،
وتُخفينَ عيوباً تشوبُ وجنتيك .
ولا تخجلى أن تُكَحِّلى عينيك برماد الإثْمِد ،
أو بزعفران ضفاف نهر كيدنوس(٢٠) .
أحصيتُ الأصباغَ التى تُذْكى فتنتك فى كُتَيِّبٍ صغير(٢١) أَضْنَانى تصنيفُه .



لوكليرك : اختطاف جوبيتر لأوروبا . متحف دنكرك .

لُوذى به ، فقد تعثرين بين طيّاته على ما يجلو شائبةَ جمالَكِ .
فإن فنونى لا تَقْصُرُ عن خدمتك .
وكذا أوصيكِ بإخفاء أحقاقِ المساحيقِ .
فخيرٌ أن يبقى سرُّ جمالِك مستوراً .
من منا لا يَشِيحُ بوجهِه عن طلاءٍ يطغى على ملامحِ وَجْهِكِ ،
يثقلُ ويسيلُ حتى يرقدَ على صدرِك الدافىء .
قد تنفذُ عنه رائحةُ دهونِ الشياهِ العَفِنَة ،
على الرغم من إعداده فى أثينا[٢٢] .
وحذارِ أن تنظّفى أسنانَك على مَلإٍ .
أو أن تستخدمى دهاناً من نخاع أنثى الأيّل علانيةً .
قد يُكْسبُكِ ذلك كله جمالاً ، غير أن مشاهدته قد تبعث على التأفّفِ ،
فالكثيرُ مما يَبْهرُنا حين يكتملُ قد نتقزّز له حين نراكِ تُباشرينه .
إليكِ تماثيلَ ميرون الدءوب ، طافت شهرتُها آفاقَ الدنيا ،
بعد أن كانت يوماً كتلةً صَماءَ من صخرٍ لا تنبضُ بالحياة .
والذهب يُصْهَرُ فى البدء ثم يُشَكَّلُ خاتَماً ،
والثوبُ الذى ترتدينَهُ كان من قبلُ جَزَّةَ صوفٍ متّسخة ،
وحِلْيَتُكِ قبلَ صَوْغِها كانت قطعةَ حجرٍ خشنة ،
باتت الآنَ جوهرةً نفيسةً ،
تتبدّى فى صفحتِها ڤينوس العاريةُ ،
وهى تنبثقُ من البحر تعصرُ جدائلَها المندّاةَ بزَبَدِه .
إذا جلستِ إلى منضدة الزينة فأشيعى أنك مستغرقةٌ فى النوم .
فخيرٌ لك ألا تقعَ عليك عينٌ حتى تفرغى من آخرِ لمسة .
لماذا تكشفين لى عن سرٍّ وضاءةِ وجنتيك ؟
أتعدمين وسيلةً تُوصِدين بها بابَ مَخدَعَكِ ؟
ولِمَ تعرضين عملاً لمّا يكتملْ ؟
فثمة أشياءُ لا يجوز الكشفُ عن أسرارِها للرجال كيلاً تُهيجَ نفورَهم .
انظرى إلى تلك المشاهد المصوّرة المتألقة بلون الذهب فى المسرح المزخرف .
لن تخفَى عليكِ رقّةُ طبقةِ الذهب التى تغلّفُ الخشبَ ،
ألا تدرين أنه يُحال بينَ الناس وبين رؤية صُنعِها إلى ان يتمَّ لصقُها ؟
فتهيئةُ الجمالِ لا تكونُ إلا فى غيبةِ الرجال .

على أنى لا أنهاكِ مع ذلك عن تمشيط شعرك فى حضرتهم ،
ليروْا غدائرَه المتموّجَة مسترسلةً على ظهرِك .
وأنصحُكِ ساعتها بخاصة ألاّ تثورُ بك ثورةُ غضبٍ صاخب ،
وألاّ تُفرطى فى حلّ ضفائر شَعْرِك فيبدو مُشَعَّثًا .
ولتكن ماشطتُك فى مأمن من نَزَق حَنَقِك ،
فكم هو قبيح أن تخمش سيدةٌ وجه وصيفتها بأظافرها ،
أو تحزّ بالإبرة ذراعَها .
فلسوف تلعنُها وهى تسوّى شعرها ،
وتَذْرِفُ دَمْعَها على جدائلَ أصبحت بغيضةً إليها .
ولتلزمْ من يتداعى شعرُها أو يذبلُ جانبَ الحذر حين تُسوِّيه فتقيمُ على بابها حارساً ،
أو فلتَدْلفْ إلى معبد « الإلهة الطيبة »(٢٤) [المحرّم على الرجال] .
ذات يوم بغتتْ عشيقتى فى مخدعها ، فارتبكت وخلّطت فى تصفيف شَعْرِها .
وأحسّت عاراً ناشدتُ الآلهةَ ألا يُلْحِقْنَهُ إلاّ بالأعداءِ ونساء البارثيّين(٢٥) .
قبيحٌ ذاك الثورُ المنزوع القرونِ ،
وقبيحٌ ذاك الحقلُ المقفرُ من العُشب .
وقبيحةٌ الشجيرةُ العاريةُ من الورق .
وقبيحٌ كذلك الرأسُ الذى تساقط شعره .
أى سيميليه(٢٦)
أى ليدا(٢٧)
ما أردتُ نُصحكما ،
وكذلك أنت يا أوروبا غادةَ صيدا(٢٨) .
يا من حملَها الثورُ الأسطوريُّ عبرَ البحار .
وما عَنَيْتُك بقولى يا هيلينا
يا من حرص منيلاوس على عودتك إليه ،
ــ وما كان ساعَتَها أحمقَ ــ
بينا أصرّ پاريس على الاحتفاظ بك
ــ وما كان هو الآخر أحمقَ ــ .
حين تحتشد حولى مُريداتى تتلاقى الجميلاتُ وغير الجميلات ،
وإن فاقت غيرُ الجميلات الجميلات عددا .
والجميلات فى غنىً عن نصائحى وفنونى بما لهن من فتنة آسرةٍ .

حين يسودُ البحرَ الهدوءُ ، يُخلد الملاّحُ الخاملُ إلى الراحة ،
فإذا عصفت ثورةُ الموجِ يُهرع إلى التماس العونِ .
كذلك ينذُرُ أن يخلوَ وجهٌ من شائبةٍ .
فلاَ تَتَوَانَيْنَ عنِ ستر عيوبٍ تَعْتَوِرُ ملاحةَ وجوهِكُن أو بهاءَ أجسادكُن .
ولتقعد القصيرةُ منكن حتى لا تبدو جالسةً فى وقفتها ،
وإن اضطجعت على الفراش فلْتلْتَحف لتُخفى ساقيها .
ولتخترْ النحيلةُ ثياباً كثيفةَ النسج تغطّى كتفيها .
أما شاحبةُ الوجه فلترتد ثوباً تتخلّله خطوط أرجوانية ،
ولتستعن السمراءُ بسمكة فاروس[٢٩] .
ولتُخف المشوَّهة القدمين قدميها فى خُفَّيْن كالجليد بياضا .
ولا تُحلّى رباطَ الخُفّ عن عقبك إن كان ناتئَ العظم .
والتمسى سِتْراً لعظم كتفيك البارزين ،
وأَعِينِى صدرك الضّامر بحَشِيَّة .
ولا تلوّح بيديها فى حديثها مَنْ كانت بدينَةَ الأصابعِ أو ثقيلة الأظافر .
ولتُنحِّ البخراءُ فاها عن وجه عشيقها ، أو فلتُطْبِقْه حتى تأكلَ .
ولتحذرْ الضحك مَنْ اسودَّ فى فمِها ضِرْسٌ أو شاه حجمُه أو انحرف ،
فالضحكُ يُفْصِحُ عن معايبِه .

* * * * *

مَنْ ذا الذى يصدق أن الضحكَ فنٌ ؟
هو حقّا فنٌ على المرأة أن تلقنَ أصولَه ،
وهو كذلك أدبٌ ولياقة .
ليفترّ ثغرُ الضاحكةِ ،
ولكن فى قصدٍ لا يكشفُ عن منابت الأسنان .
ولا تتيح لغمّازة الخدّ أن تنفسح إلّا بقدرٍ ،
وليكن ضحكها دون إغراق حتى لا ترتجَّ خاصِرتُها .
ولتمزجْ بين الضحك ورنّة الأنوثة .
وثمة من تشوّه القهقهةُ ملامحَها ،
ومن تَحْسَبُها تبكى بينا هى تضحكُ ،
وثمة من تحكى ضحكتُها نهيقِ أَتانٍ شُدَّت إلى طاحونٍ .

وما أبعدَ أغوارَ الفن .

إنه يضُفى على بكاء المرأةِ سحرا .
ويمنحُها القدرةَ على أن تنتحبَ أنَّى تشاء ،
ويعلّمُها كيف تعبثُ بمخارج الحروف وتلثغُ بلسانها حين تبغى ،
فلقد تفتعل النُّطقَ الخاطىءَ عامدةً ،
فتحيلُ الهَنةَ عذبة مستملحة .

* * * * *

إليكُنّ أموراً ما أجدى أن تتعرَّفْنَ عليها :
فلتخْطِرْن فى دلالٍ ،
فللسير أساليبُ منها ما يجتذبُ المُعجبَ أو ينأى به .
ها هى ذى امرأةٌ تؤرجحُ رِدْفيْها فى حذق ،
وتُفسح للنسيم يلعبُ بثوبها المتماوجَ .
بينما تشمخُ فى خطوتها مُعتدّةً .
وها هى ذى أخرى تباعدُ فى مِشيتها ما بين ساقيها ،
كزوجة فلاح من أومبريا لوّحت الشمسُ وجههَا .
أقول اقسطنَ فى مِشْيتِكُنّ ،
واعتدلن فى جُلّ أمور الحياةِ ،
فثمةَ خطوٌ يضفى عليك سمة الريفيةِ الجِلْفة ، وآخرُ يَسِمُك بالتكلّف .
وأقول لمنْ بياضُ جسدِها كالجليد
خلِّ أسفلَ الكتف وأعلى الذراع عاريين ، تَسْهُلُ رؤيتهما من اليسار ،
فلو أنى رأيتُ مثلَ هذه الكتفِ ،
لاندفعتُ إليها مقبِّلاً إيّاها أنّى عَرَضَتْ لى .

* * * * *

بصوتهن الرخيم استرسلت « السيرينات » [عرائس البحر] العجيبات فى الغناء ،
يعوّقن السُّفنَ على أى مدى كانت سرعتها .
وحين سمعهن أوديسيوس بن سيزيفوس ،
كاد أن يفكَّ وثاقَ الحبال
التى شدّ بها جسده إلى صارى سفينته[٣٠] ،
مطمئنا إلى سلامة رفاقه بعد أن سدّ آذانهم بالشمع .



فرانشفيل : أورفيوس . متحف اللوفر .

الغناءُ شديدُ الإغراء ،
فما أروعَ أن تحذق النسوةُ الغناء ،
فكم من امرأة جعلت من صوتِها قوّاداً لها ،
وكان أجدى لها من جمال وجهها .
فليردّدن الأغانيَ التي يسمعنَها في دور المسرح الرخامية ،
وليتغنَّين بأناشيد الرقص الشّجية الوافدةِ من ضفاف النيل .
وعلى الراغبة في غواية الرجال
أن تجيد إمساكَ ريشةِ الغمزِ بيمناها ، والقيثارةَ بيسراها .
فاورفيوس ربيبُ جبال رودوبي ،
قد ألانَ الصخورَ والقلوبَ بقيثارته ،
واجتذبَ بحيراتِ تارتاروس بألحانه ،
وأطربَ [كيربيروس] الكلبَ ذا الرؤوس الثلاثة .
[أي امفيون] أيها الآخذُ بثأر أمِّك ،
لقد قَوِيتَ بألحانك على تحريك الحجارة ،
فانطلقتْ تلتئمُ إحداها بالأخرى مُشَيِّدةً أسوارَ طيبة(٣١) .
ويُروى أن السمكَ الأصمّ الأبكمَ
قد أفصح عن نشوته ، حين أصغى إلى أنغام قيثارة أريون(٣٢) .
فتعلّمي أن تُمسّي بكلتا يديك في رفق ،
القيثارة الفينيقية الساحرة ذات الأوتار العشرة ،
فما أوفقها لسويعات المرح .

* * * * *

وليكن مما تألفين ألحانُ ربّاتِ الشعر ،
مُلْهِماتِ كاليماخوس وفيليتاس شاعرِ كوس ،
وأناكريون السكير العجوزِ مُنشد ميناء تيوس .
ولتُلِمّي أيضاً بأبيَاتِ سافو شاعرةِ ليزبوس ،
ومَنْ أقدرُ من سافو على الإيحاء بالمجون !
ولتحفظي أقوالَ ميناندر الذي تروي ملهاته كيف يفوق العبدُ سيّدَه حيلةً ودهاء
وجديرٌ بك أن تَعْرِفي كيف تُلقين قصيداً لپروپيرتيوس المشبوبِ عاطفةً(٣٣) ،
واحفظي أيضاً أبياتاً لجاللوس(٣٤) وتيبوللوس(٣٥) ،
وقصيدَ ڤارو(٣٦) عن الجزّة الذهبية ، مبعثِ مأساةِ أُخْتِك يا فريكسوس .



فيرونيزي : اختطاف جوبيتر لأوروبا . متحف الكابيتوليتوس بروما .

واعرفى قصةَ أينياس الجوّابِ مؤسس روما الشامخة ،
من ملحمة لم تفقها أخرى شهرةً بين اللاتين[٣٧]
وقد تَضُمِّين اسمى أيضاً إلى أسماء هؤلاء ،
فلا يكونُ مصيرُ مؤلفاتى أن يُقذفَ بها فى مياه ليثى [نهر النسيان][٣٨] .
قد ينصحُكِ أحدُهم قائلاً :
اقرئى قصائد « أستاذِنا » الأنيقة التى يلقنُ منها الطرفان المتنافسان ما يُعوِزُهما ،
أو اقرئى أجزاءَ قصيدةِ « الغزليات » الثلاثة ،
واختارى منها ما تستطيعين إلقاءه بصوت رخيم .
أو جوِّدى إلقاء إحدى « رسائل البطلات » ،
فهى آثارُ الشاعرِ الذى ابتدع هذا الفنَ غير مسبوقٍ إليه[٣٩] .
أى فويبوس
أى باكخوس ياذا القرنين
يا ربّاتِ الفن التسع
يا ملهمى الشعراءِ
ألا فلتحقّقوا لى هذه الأمنية .

* * * * *

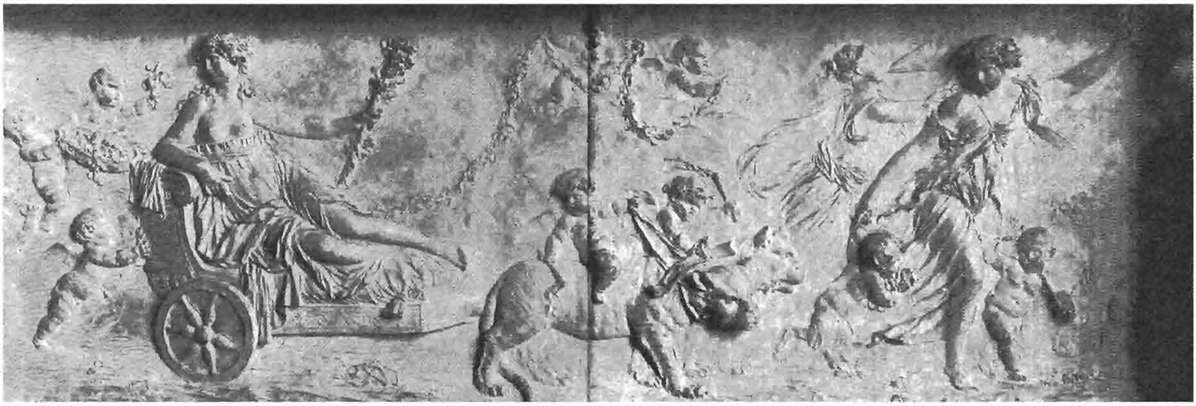
من ذا الذى يشك فى أنى أوثِر امرأةً تُتقن فنَ الرقص ،
حتى إذا دار النبيذُ تهبُّ ملوّحةً بذراعيها ساعةَ يُوجَّهُ إليها الرجاءُ[٤٠] .
ما من فنانةٍ تنالُ شهرتَها دون هزّ رِدْفيها ،
فما أشهى فتنةَ تلك اللفتاتِ المتأوّدة .
واخجلى أن أُعَرِّجَ فى نصائحى على صغائرِ الأمور :
لتحذقْ المرأةُ فنَّ لُعبةِ النَّردِ ،
ولتستجبْ أيُّها الزَّهرُ المُلقَى لإرادة الرَّامِى .
ولْتُلقِى آونةً بزهراتٍ ثلاث[٤١] ،
ثم فلتفكِّرى آونة أخرى بدهاء ، متى تتقدَّمين ومتى تتراجَعِين .
ولتأخُذِى حَيْطَتِك فى تلك المعركة ؛
فقطعةٌ واحدةٌ تنهزمُ أمام اثنتين .
وكذا الجنديُّ المُحاصَر لا يقوى على المقاومة
إلاّ إذا أُعين برفيقٍ ،
وإذا الخَصمُ قد عاد القهقرى من حيث أتى .
وإن لَعِبْتِ كرةَ المضرب ولَمْسْتِ الكُرات بِمضربِك العريف ،

فلا تدفعي سوى الكرة التى تبلغين بها المَرْمى .
وهناك لعبةٌ تقتضي مهارة بالغة ،
تُرسم فيها خطوطٌ على لوحةٍ تُشكِّلُ خاناتٍ بعددِ شهور العام ،
على كل من طرفيها ثلاثة بيادقَ ،
والفائزُ من ينجحُ فى نقلِ بيادقِه إلى صفٍّ مستقيم آخر .
تعلّمى هذى الألعاب كلَّها ، بل ابتكرى ألفاً مثلها .
فلا يليقُ بالفتاة أن تجهلَ اللعبَ ،
فكثيراً ما تظفرُ المرأةُ من خلاله بالحب .
أن تبرعى فى الرمى بزهرك أمرٌ ميسورٌ ،
وأعسرُ منه ضبطُ مشاعرِكِ أثناءَ اللعبِ .
فنحن فى غمرة اللعب وحماسه ،
تتكشّفُ خفايا قلوبنا ونفقدُ اتّزانَ عقولنا ،
ويتسلّلُ الغضبُ إلى صدورنا ، وهو شرٌّ مستطير .
يشدّنا الحرصُ على الكسب ، فننْزِعُ إلى المشاحنة ونجنى الأسفَ .
يتبادل اللاعبون اللّومَ ، ويرتفع صدى الصُّراخِ فى الجو ،
ويتضّرع كلُّ لاعبٍ إلى الآلهة الغضبى كى تناصِرَهُ .
لحظتَها لا يثقُ الجارُ بالجار ، وتتصاعدُ الشتائمُ والسباب ،
ويطالب الجميعُ بمنضدةٍ بديلةٍ [تدفعُ النحسَ] .
ما أكثر ما رأيتُ وجناتِ اللاعبين مندّاةً بالدموع .
فليقيكنَّ الإله چوپيتر مثلَ هذه المشاجرات النكراء ،
أنتن يا من تَحْرِصْنَ على الاستئثار بقلب رجل ،
هذى ألعابٌ ليِّنة مُسترخية وهبتها الطبيعةُ للمرأة .
بينا يلهو الرجالُ بما هو أشقُّ وأعتى ،
فمن نصيبِهم الكراتُ السريعةُ والرماحُ القصيرةُ والأطواقُ ،
وأسلحةُ المبارزةِ والجيادُ المدرّبةُ على الركضِ فى الحَلْبة .
ولم تُخلقِى أنتِ كى تتبارىْ فى ساحة مارس ،
أو تغوصى فى مياه قناة العذراء[٤٢] القارسة البرد ،
أو تسبحى ضد تيار فى نهر التيبر التوسكانى .
أجدَى عليكِ أن تتهادىْ فى ظلالِ رواق پومپيوس ،
عندما تلذعُ الرأسَ أشعةُ جيادِ العذراءِ السماوية[٤٣]

وأن تَجُجىٍّ إلى القصرِ المقدسِ لفويبوس المتوّجِ بأكاليل الغار[٤٤] ،
فهو الإله الذى أغرقَ سُفنَ كيلوباترة المصرية فى أعماق البحار .
ولتتفقّدى روائعَ القصورِ التى شادتها أختُ أوغسطس وزوجتُه ،
ثم زيّنها [أجريبا] زوج ابنتهِ [جوليا] بمشاهدِ أمجادِ الأسطول[٤٥] .
ولتختلفى إلى محاريبَ بقرة ممفيس حيث يُحرقُ البخور[٤٦] .
ولتزورى ملاعبَنَا الثلاثةَ ، ولتظهرى فى أبرز أماكِنها[٤٧] .
تأمّلى حَلْبَةَ الملعبِ الملطّخةِ بالدماء الدافئة ،
وارقبى ذلك العمودَ الذى تدورُ من حوله مركباتُ السباق بعجلاتها الخاطفةِ البريق .
ما خَفِى يظلُّ مجهولاً أبداً ، وما هو مجهولٌ لا يرغب فيه أحدٌ ،
فماذا نجنى من وجهٍ جميلٍ لا تقعُ عليه عينٌ ؟
وحتى لو كنت تفوقين تاميراس[٤٨] وأموبيبوس[٤٩] فى روعة الإنشاد ،
فإن أحداً لا يستمتعُ بقيثارةٍ ، مجهولَ عازفها .
لو لم يصوّر ڤينوس المثّالُ أپيليس ابنُ جزيرة كوس ،
لظلت ڤينوس مخبوءةً فى أعماق البحر .
ماذا ينشدُ الشعراءُ المخلّدون سوى شُهْرَتِهم ؟
تلك غايتُنا جميعاً مهما تجشّمنا من عناء .
وقديماً نَعِم الشعراء فى كَنَفِ الملوك والزعماء[٥٠] ،
ورَبِحَ المنشدون المالَ الوفيرَ .
كان الشاعر مقدّساً وحَفِيًّا بالتبجيل ،
يُغْدَقُ عليه المالُ بغير حساب .
ألم يحظْ الشاعرُ إينْيُوس[٥١] ربيبُ جبال كالابريا ،
بضريح إلى جوارك يا سكيپيو[٥٢] العظيم .
أما اليومَ فما عاد الشاعرُ يُجزَى بغير إكليل من اللبلاب ،
وغدا التبتّل فى محراب الفنون صِنواً للكسل .
ورغم ذلك مازال الشعراء يكدّون فى سبيل المجد والشُّهرة .
أَوَ كان من الممكن أن يسمعَ أحدٌ منكم عن هوميروس ،
لو ظلّت إلياذتُه الخالدة طىَّ حناياه ؟
ومن منكم كان يعرف داناى ،
لو أنها بقيت حتى شيخوختها سجينةَ برجِها ؟[٥٣]
الزحامُ أجدى لكنّ أيتها الفتياتُ الجميلات ،
فلتعبرْ أقدامُكُن التى لا تفتأُ تَجُولُ عتباتِ بيوتِكن إلى خارجها من آن إلى آخر .



بوشیه : داناى . متحف كونياك .



كلوديون : موكب عابدات باكخوس . نقش بارز . متحف اللوفر .

أَوَلاَ تتربّصُ أنثى الذئبِ بأكثرَ من حَمَلٍ كى تنتقى فريسة منها ؟
ويفاجىءُ نسر چوپيتر طيوراً عدّة ليتخيَّرَ أَخْيَرَها ؟
فلتستعرض الجميلةُ مفاتنَها على ملأ ،
فقد يَطْلُعُ عليها من بين الجم الغفير من يهيمُ بها ولعا .
ولتكن تواّقةً أنىَّ قصدت ، إلى إثارة الإعجاب فى نفوس الرجال .
ولتكن بما يجلو مفاتنَها واعية دوماً ، فالحظ حليفُ المصادفات .
اتركى الشُّص يتدلىّ ، عسى أن تَلْقَفَهُ إحدى سمكاتِ النهر فى أقل الأماكن ارتقاباً مِنّا للسمك .
وما أكثرَ ما تهيمُ كلابُ الصيد عَدْواً على وجوهها فى الجبال والوديان ،
فإذا الوعلُ يقعُ اعتباطاً فى الشِّراك .
أَوَ كانت أندروميدا تأملُ أن يرقَّ إنسانٌ لدمعها المنسكب ،
وهى مُوثَقَةٌ على الصخرِ وحيدةً ؟
وما أكثرَ ما تحظى الأرملةُ فى جنازة زوجها بزوجٍ تالٍ ،
فما أغراها فى أنظار الرجال بشعرها المُشَعَّث وعويلِها الحزين .

* * * * *

وتجنّبى من الرجال من يتكلّفُ الأناقة والوسامة ، ويسوىّ شعره بعناية مفرطة .
فمِثْلُه متقلّبُ النزواتِ غيرُ راسخِ العواطف ،
يصبُّ فى أُذنيك من معسول الكلام ما ردّده لألف امرأة قَبْلَكِ .
فما جدوى عاشقٍ يَبَزُّ المرأةَ طراوةً ،
قد تجتذب له من العشاق مَنْ يفوقون عُشّاقَها عددا .
صدّقى قولى وإن بدا لك غريبا :
فلو أن أهلَ طروادةَ قد استجابوا لنُصح پريام ، لظلت بلادُهم قائمةً حتى اليوم .
هناك رجال يحاصرون النساء متظاهرين بالحب لينالُوهُنّ مخاتلةً .
حذار أن تخدعك شعورُهم الناعمةُ الممزوجة بالدهون والطِّيب ،
أو تُغْرِيَكِ أحزمتُهم المرصَّعة ،
أو يَفْتِنَكِ رداءُ التوجا الرقيقُ النَّسج ،
ولا تعدّدُ الخواتمِ التى تُجمِّلُ الأصابعَ ،
فلعل أشدَّهم أناقةً لصٌّ لا يهيم بك بل بما تتحلَّيْن به .

فما أكثرَ ما تصيحُ نساءٌ فى ساحة الفورم :
« أمسكوا باللص . . حتى لا يُفْلِتَ بما سلبنى إياه » .

* * * * *

ما أقدَرَكِ يا ڤينوس حين لا تُبالين عند رؤية هذه المشاكسات الرخيصة ،
شامخةً من علياء محاريبك المتألّقة بوفير الذهب ، أنت ووصيفاتك حوريات آپيا .
أما من تقعُ فريسةً لمن طبّقت شهرتهُ الأفاقَ مجونا وخلاعةً
فليست جديرةً منا بالعطف ولا بالمؤازرة .
تعلّمى من كوارث غيرك الحَيْطةَ والحذر فلا تفتحى بابَك لعاشق زائف .
أى عذارى أثينا ، لا تصدّقن قَسَم ثيسيوس ،
فسيستشهدُ بآلهة أقسمَ بها من قبلُ كذبا .
وأنت يا ديموفوون يا من ورثت جُرأةَ ثيسيوس على الكذب ،
٤٦٠ كيف نأتمنُك بعد أن حنثت بوعدك لفيليس ؟
إذا جاءكُن الرجالُ بالوعود ، فارددن عليهم بوعود بعدد كلمات وعودهم ،
وإذا منحوكُنَّ الهباتِ ، فأمتعوهُنّ بقدر ما منحوا .
وفى استطاعة أية امرأة أن تُطْفِىءَ شُعلةَ ڤِيسْتَا
الحارسة المقدّسة ،
وأن تنهبَ المُقَدَّسات من معبدِك يا إبنة إيناخوس [إيو] ،
وأن تُقَدِّمَ العُشْب السامّ مخلوطا بمسحوق الشُوكران هديّة لحبيبها العاشق ،
الذى ما إن يتجرّعه حتى يقضى نحبَه قبل أن ينبس بكلمة شُكر .

* * *

معذرة إذا طال استطرادى ،
ولأعُدْ إلى لُبِّ موضوعى .
ولتحرسنى ربّةُ الشعرِ ولتكبحْ زمامَ جماحى ،
حتى لا تندفعَ مركبتى على غير هدى .
إذا وفدتْ إليكِ رسائلُ عاشقِكِ منقوشةً على لوحات خشب التنّوب ، مُشِيعةً جوَّ الغزل ،
فلتتلقّها عنك وصيفتُك ، ولتَتبيَّنى من ثنايا كلماته صدقَ مشاعره من زيفها ،
وصحّة ما تنطوى عليه من شجن يختلجُ بصدرِه .
وتمهّلى فى الردِّ عليه فترةً ،
فتأخيرُ الجواب مهمازٌ يَهِيجُ العشاق ،

ولا تَعِديه فى يُسرٍ بنوالٍ مبتغاهُ ،
ولا ترفضى فى عناد مسرف ،
بل دعيه بين اليأس والأمل حائرا .
وامنحيه فى كل مرّة تكتبين إليه شعاعَ أملٍ ، وهوِّنى عليه بعض مخاوفه
٤٨٠ أيتها النساء ، اخترن من الكلمات ما هو رقيق مألوف فى غير كَلَفة ،
فهى وحدَها تُشيع فى النفس الراحة .
كم من مكتوبٍ نجح فى أن يؤجّجَ شعلةَ الحبِ فى صدر عاشقٍ معذَّبٍ بالظنون والريبة .
ورُبَّ عبارةٍ فظّةٍ تسىء إلى جمالِك(٥٤) .
حقًّا إن إكليلَ العُرسِ الشّرعىّ لم يُتوِّجْ هامَتَكِ ،
ومع ذلك فثمة سيدٌ قد تشوقُكِ خيانَتُهُ .
فأمْلِى رسائِلَكِ على أَمَةٍ أو وصيفةٍ ،
ولا تَأتمنى عبداً مجهولاً على حَمْلِها .
فكم من امرأة لقيتُها وقد شَحُب منها اللونُ رعبا ،
يعذّبها إفشاءُ سرِّها عذاباً مديدا .
ما أشدَّ غدرَ رجلٍ يحتفظُ بمثل هذه العهود المسجلة ،
لكأنها تنطوى على صاعقةٍ من بركانِ إتنا .
وكما يبيحُ القانونُ مبدأَ السِّن بالسِّن ، أقولُ لكِ : « التدليسَ بالتدليسِ » .
درِّبى يَدَكِ على كتابةِ ألوانٍ مختلفة من الخطوط .
[ألا فتبًّا لرجالٍ يُلجئونكن إلى مثل هذه النصيحة !]
غيرُ مأمونٍ أن تكتبى الجوابَ على لوحٍ لم تُسَوَّ طبقةُ الشمعِ عليه ،
فقد يُظهرُ طِلْسٌ(٥٥) رسالةً قديمةً لك تحته .
ودعى من تكتب لكِ ، تخاطبُ العاشقَ دائما وكأنه أنثى ،
وكلما أمليتِ : « هو » ، فلتكتبْ : « هى » .

* * * * *

وإذا كان لى أن أتدرّجَ من تافه الأمُور إلى أَجلِّها ،
٥٠٠ وأبْسُط للريح أشرعتى المنتفخة كاملة ، فإنى أقول لكِ :
إن شئت الاحتفاظ بجمالكِ فلتكبحى ثورةَ انفعالك .
فالهدوء الوادعُ أَلْيَقُ بالبشرِ ، والانفعال الهائج أَلْيقُ بالحيوان ،
إذ يحقنُ الوجهَ ويملؤه غضباً ،

ويدفع إلى العروق بدم قانٍ ،
فتبرق العيونُ فى وحشية نظراتِ الجورجونة .
صاحت باللاس حين رأت وجهها على صفحة الجدول :
اعزبْ عنّى أيها المِزمارُ الشقىُّ ، فلستَ بالذى أشوّهُ جمالى من أجله[٥٦] .
وأنت كذلك . لو أنكِ طالعتِ وجهَكِ فى مرآةٍ خلالَ سورةِ غضبٍ جامحٍ
لما تعرّفتِ قط على نفسِك .
الصَّلَفُ كذلك يشوّهُ جمالَ ملامحك ،
وما يُكتسبُ الحبُّ بغير العيون الحادبة .
ما أبغضَ الخُيَلاءَ حين يُبالغُ فيها ،
وصدّقى قولَ خبيرٍ : ما أكثرَ ما تنبتُ فى الوجهِ العابسِ بذورُ البُغْضِ .
فالْتفتى لمن يتطلعُ إليك
وليفترَّ ثغرُكِ برقةٍ إذا ابتسم لك ،
وأومئى برأسك إذا لوّح لكِ .
فبعد هذه الخطى الممهّدة ، يميلُ كيوبيد إلى كِنانته ينزعُ منها سهامَه النافذة .

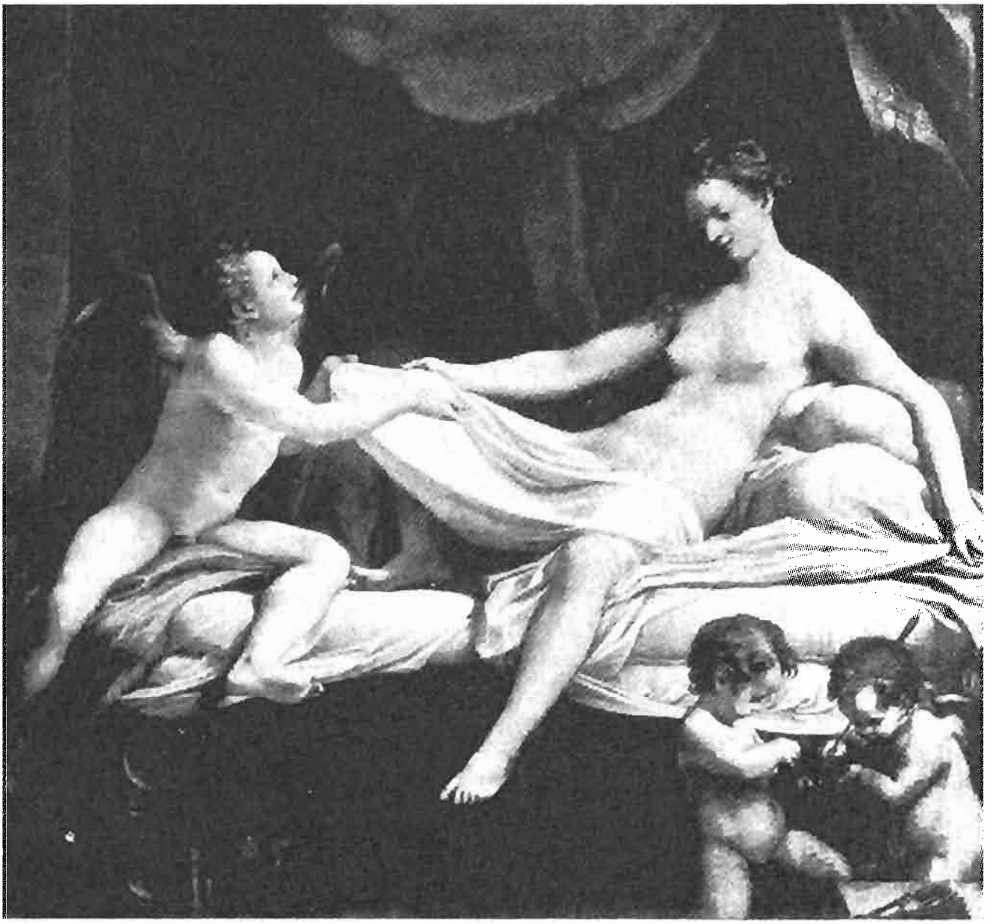
* * * * *

وإنى لأنفِرُ أيضا من النساء العابسات .
فليهنأ أجاكس بحب تِكْمِسَّا[٥٧] ،
أما نحن فللمرح نميلُ ، تَفْتِنُنَا المرِحات .
حاشاىَ أن أسألكِ يا أندروماخى ولا أنتِ يا تِكْمِسَّا ،
أن تكونَ إحداكما عشيقةً لى يوماً .
ما كان لى أن أتخيلَ أنكما ضاجعتما زوجيكما أبداً لولا ذرّيتكُما دليلٌ .
أَوَ يُعْقل أن تكون تلك الأسيرةُ المسرفة فى عُبوسِها ،
قد همست فى أذن أجاكسِ يوما : « يا حبيبى ! » .
أو همهمت بكلمات تدغدغُ بها الخِدْنَ الحبيب !
لا حرجَ إذا أنا جئتُ بأمثلة غايةٍ فى الجِدِّ ،
لأدلّلَ على أمورٍ هيّنةِ الشأنِ .
فلأتمثَّل بحُنْكَةِ قائدٍ يُشرفُ على جيشه .
إنه يَعْهَدُ إلى الضابط حاملِ عصا الكرم[٥٨] بقيادة مائة جندى ،
ولغيره بقيادة الفرسان ، ولثالث بحماية البيارق .
أَوْلى بالنساءِ أن يَزِنَّ بالمثل قدرات الرجال ،

ويعهدن إلى كلٍّ منا بما يناسبه من دور :
الغَنيُّ يمنحُ الهدايا ،
والمحامى يشيرُ بالفتوى ،
والخطيبُ يترافع فى قضية موكّلته ،
بينا لا نُحسنُ نحن صُنّاعَ الشعرِ غير صياغةِ الأبيات ،
ومع ذلك فنحن فرسانُ حياةِ الهوى ،
نملكُ أن نُذيعَ جمالَ المعشوقة فى أرجاء الدنيا بأغانينا .
وعلى هذا شاعت شهرة نيميسيس وسنثيا ،
وبلغ اسم ليكوريس شواطىء المغرب والمشرق[٥٩] .
وما أكثر ما يستوضحنى سائلٌ : « من هى كورينّا[٦٠] التى بها تتغنّى ؟ »
ما أبغضَ الرياء على أمراء الشعر ،
ففنُّنا يصوغ وجدانَنَا ،
لا يُغرينا بريقُ المال ولا طموحٌ جامحٌ .
لا نبالى سوقَ « الفورم » وأرباحاً تُدرُّها .
الاسترخاء فوق حشيّةٍ مُظلّلةٍ بُغيتنا .
وما أسرعَ ما نقعُ فى أسرْ الحب ،
إذ يُشعل فينا رغباتٍ محتدمة .
نتبتّلُ فى الحبِّ الصادق وتذوبُ فيه مُهجاتنا وفاء ورقة ،
فتطبع سلوكَنا بنهجها الرهيف .
رفقاً بشعراء أيونيا أيتها الجميلات ، لا تَحْرِمْنَهم مفاتِنَكُنَّ .
فالألوهية فيهم ثاويةٌ ، وربّاتُ الفن يُحابينهم .
نحن على صلةٍ بالسموات ،
يكمنُ فى كلٍ منا إلهٌ ويهبط الوحى علينا من عليائه .
فما أبشعَه جُرماً أن تتوقّعن من الشاعر الموهوب جزاءً .
واأسفا لامرأةٍ لا تتورّعُ عن هذا الجُرم .

* * * * *

وأقول لكِ اصطنعى المراءاة ،
وإيّاكِ أن تَنِمَّ قسماتُ وجهك عمّا يطويه صدرُك من شَرَهٍ .
فما أجزعَ العاشقَ الحديثَ العهدِ إذا لمحت عيناه الشَّراكَ .
الفارسُ الماهر لا يقودُ المُهْرَ الحديثَ الترويض ،



كوريچيو: داناى. متحف بورجيزى

مثلما يقودُ الجوادَ الذى أَلِفَ اللجامَ .
فاتخذى منهجين متباينين فى اقتناص كلٍ من الشاب الغضِّ والرجل المحنَّك .
فإن وقع فى شِباكِك مجنَّدٌ لم يَخُضْ معاركَ الحبِّ من قبلُ ،
فأحْكمى الحصارَ حولَه حتى يتشبَّثَ بك ولا يلتمسَ امرأةً سواكِ .
فالنَّبتةُ الوليدةُ يذودُ عنها عالى السياجِ .
واحرصى على ألاّ تنافِسَكِ غريمةٌ ،
فستبقى لك الهيمنةُ ما بقى الزمامُ فى يديكِ .
ألا ما أخطرَ المشاركةَ فى الحبِّ والعرش .
ورويداً رويداً يأتيك المحنَّكُ حذرَ الخُطى ،

تتسيانو: داناى. متحف پرادو بمدريد.

يستهينُ فى سبيلكِ بما لا يحتمله الجندى الناشىء .
لن يحطِّمَ الأبواب ، أو يُضرمَ فيها النار ،
ولن يَخْدِشَ وجناتَ عشيقتهِ الناعمةِ بأظافره ،
ولن يمزِّقَ رداءَه ولا رداءَ حبيبته ،
ولن يجذبَ شعرَ خليلتهِ عن غِلٍّ حتى يستمطرَ من عينيها الدمعَ .
هذى أعمالٌ لا يأتيها غيرُ المتلظِّين جَوًى .
أما المحنَّكُ فيتقبَّلُ أمرَّ الآلام برباطة جأشٍ ،
بينا هو يحترقُ كالنار المتسلِّلةِ بطيئاً فى القشِّ النَّدىِّ ،
أو فى الجذع المقطوعِ وشيكاً من سفوح الجبال .
هذا النوعُ من الحبِّ مأمونُ البقاء .

أما الآخرُ ،
وإن كان أغزرَ مُتعةً فهو أقصرُ عمراً .
فلتُهرعْ يَدُكِ عَجِلةً إلى قطفِ الفاكهةِ العابرة .

* * * * *

وإذ كنّا قد استضفنا خصومَنا ، فلْنُبحْ بكل الأسرار .
دعيه يستشعرْ الأمانَ بينا هو فى أحضان الخيانة .
واعلمى أن ما تَمْنحينَهُ فى يُسرٍ لا يُطيلُ عُمرَ الحب .
ولتنوّعى من أساليبك معه بأن تصدّيه برفقٍ من حين إلى حين ،
واحمليه على أن يرتمىَ قُدّام بابك الموصد صائحا :
« تبّاً لكَ أيها البابُ الموحش » .
وأن يتوسّلَ لك تارةً ويتوعّدَكِ أخرى .
نحن الرجالَ لا نُسيغُ دَوْماً الاستسلامَ العذبَ .
ندُّينا من آونة لأخرى بعصارات مُرّة .
فكم من سفينة غرقتْ فى نسيم مُواتٍ ،
وكم يفوّتُ الاستسلامُ العذبُ على النساءِ الاحتفاظَ بحب أزواجهن ،
فبه ينال الأزواجُ ما يشاءون حين يشاءون .
ليلزمْ حارسُك بابَ مخدعِك ،
يَجْبَهُ الوافدَ بصوت حازم : « لن تعبر » .
عندها والباب موصدٌ فى وجهه سوف يشتعل منه القلبُ حبّا .
وحينذاك يكون الأوانُ قد آن يا سيدتى ،
كى تَسُلّى السيفَ من غمده وتبارزى بحدٍّ ماض .
ولستُ بغافلٍ عن أن مازوّدتك به من سلاح ،
قد يرتدُّ على يديك ذات يومٍ إلى صدرى .
أوهمى العاشقَ الذى وقع لتوّه فى شراكك ،
أنه وحدَه صاحبُ الحق فى مخدعك .
ثم لا تتمهّلى فى إيقاظ شكوكه بوجود منافسٍ يشاركُه فراشَكِ .
إن فاتتكِ هذه الحيلُ ذوَى حبُّه ؛
فما تتأجّجُ حماسةُ الجواد الأصيل فى السباق ،
إلّا حين تتحدّاه الجيادُ الأخرى .
كذلك تتأجّجُ شعلةُ حبِّنا الذاوية من جديد ، حين يمسُّها وخزٌ يسير



ماتوار: چوپيتر وإيو. متحف تروا.

وأعترف أنا الآخر ، أنى ما قَوِيتُ على المضى فى حب مديد ،
لولا نكسةٌ توقظنى من وقت لآخر .
لا تهدِّئى ما ينتابه من شكوك بما قد يهوِّنُ قلقَه ،
وإذا احتدم غضبُه فلا تكبحى خياله عن أن يتوهَّمَ ما يجاوز ما انتهى إليه .
وزيديه اشتعالاً بادّعاء أن ثمة خدماً مفتوحى الأعين .
واستثيريه بالتلميح إلى زوجٍ لا يَغْفَلُ .
فمتعةٌ ينالُها المرءُ فى أمن وطُمأنينة تفقدُ نصفَ سحرِها .
تظاهرى بمخاوفَ موهومةٍ تتهدّدُك ،
حتى لو كنت مثل تاييس[٦١] طليقةً من كل قيدٍ .
ولو كان يسيراً عليه أن يَنْفُذَ إليك من الباب ،
فادفعيه بدهاءٍ لكى يثبَ إليك من الشبّاك ،
بينا ترسمين سمات الجزع على وجهك .
وأسِرِّى إلى وصيفةٍ لَماحةٍ أن تقتحمَ بابَكما صائحة : « افتضحنا وقُضى علينا » .
عندها أخفى الشابَّ المذعورَ فى أى مخبأ .
وبين هذا الرعب والرّهبة أفسحى له مُتَعاً آمنة من آونة لأخرى ،
حتى لا يعروه اليأسُ بأن لياليكِ غيرُ جديرةٍ بما يتكبّدُ .

* * * * *

أوشكتُ أن أُغْفلَ سردَ الأساليب التى تخدعين بها زوجاً ماكراً أو حارساً يقظاً .
فلا بأس أن تخشى العروسُ زوجَها ،
وأن يحرسَها هو أدقَّ حراسة .
تلك وصايا الشرائعِ والعدالة والأخلاق .
ولكن لا يسوغُ للزوج أن يتجسّسَ عليك .
كما لا ينبغى لكِ يا من أعتقكِ « البريتور » بمسَّةٍ من صولجانه[٦٢] أن ترضخى .
هلمّى إلىّ لألقّنَكِ أسرارَ مخادعةِ الحرّاس ،
فستُفْلتين منهم جميعاً ولو انتشروا من حولك بعدد أعين أَرْجُس[٦٣] .
فكيف لحارسِك أن يحولَ دون تسطيرك لرسائل عِشْقك ،
وأنت بعيدةٌ عن نظره فى جوف الحمام ؟
أَوَ يستطيعُ أن يمنحَ خادمةً لك من أن تحملَ أسرارَ غرامِك
فى لوحات تُخفيها تحت وشاحِها لِصْقَ صدرها الدافىء ،

أو فى جوربها بين باطنِ القَدم وخُفِّها ؟
وهَبى أن حارسَكِ يسدُّ عليك المنافذَ كلَّها ،
فلتتخذى من ظهر نجيّتِك لوحاتِ الكتابة ،
ولتنقُشى كلماتِكِ على جسدها كلِّه .
وثمة نوعٌ من الكتابة أراه مأموناً يخفى على العين ، هو الكتابةُ باللبن الطازج ،
فإذا ذُرَّ عليه مسحوقُ الفحمِ بدا مقروءاً .
وثمة طريقةٌ أخرى ، أن تكتبى بعودٍ من نبات الكَتَّان المبلّل ،
فينقشُ على اللوحة ما لا تراه العينُ إلاّ فيما بعدُ .
حاول أكريسيوس جَهْدَ الطاقة أن يُحكمَ عُزلة ابنته داناى ،
فما منعها ذلك عن أن ترتكبَ إثماً ارتقى بأبيها إلى مرتبة الأجداد !
وماذا فى طوْق الحارس أن يفعله وهو يتعقّبُ سيّدته إلى المسارح بينا تغصُّ المدينةُ بها ؟
أو إلى حلباتِ سباقِ المركبات وهى تُنْعم النظرَ فى أصالة الجياد؟
أو وهى تختلفُ إلى المعبدِ المحرّمِ على الرجال أن يلجوه ،
ذلك المعبدُ الذى تُمجَّد فيه بقرةُ فاروس [إيزيس] بالمصلصلات ،
حيث الإلهة السَّمحة لا تدعُ عيونَ الرجال
تجيلُ النظر فيه إلا من ترضاه هى منهم ؟
وهل يملكُ الحارسُ الذى إليه رعايةُ ملابسِ سيدتهِ فى الخارج ، عند دخولها الحمام العام ،
أن يحولَ دون تواصلِ المتع المختلَسة داخلها ؟
وهل تعدمين عند الحاجة صديقةً ماكرةً ،
تزعُمُ لعشيقِها أنها ألمّ بها المرضُ فجأة ،
٦٤ كى تنزل لكِ عن فراشها تلقَيْنَ عشيقَكِ عليه ؟
ولا تظنّى الوسيلة الوحيدةَ لتسلّلِ عشيقك إلى مخدعِك ،
هى المفتاحُ الذى تصطنعينه وَتُعلِّقِينَهُ على بابِك
ليوحى إليه بما سينعمُ به .
فهناك كذلك مُعَتَّقُ النبيذِ تُغْرقينَ فيه الحارسَ إلى أن تَضِلَّ نظرتُه ،
حتى ولو لم تجدى غيرَ عصارةِ كرومِ سفوحِ إسپانيا[٦٤] .
وثمة عقاقيرُ تبعثُ على النوم العميق ،
فتغمسُ العينَ المهزومةَ فى ظلام مُدْلَهِمّ كهذا الظلام الذى يغشّى نهر ليثى [نهر النعاس والنسيان] .
ومن اليسير كذلك أن تَشْغَلَ وصيفَتُكِ ذاك الحارسَ البغيضَ بمغازلةٍ تصرفُ نظرَهُ أطولَ مدة .
ما جدوى تبديدِ الوقت بهذه النصائح الذائعةِ المألوفة ،

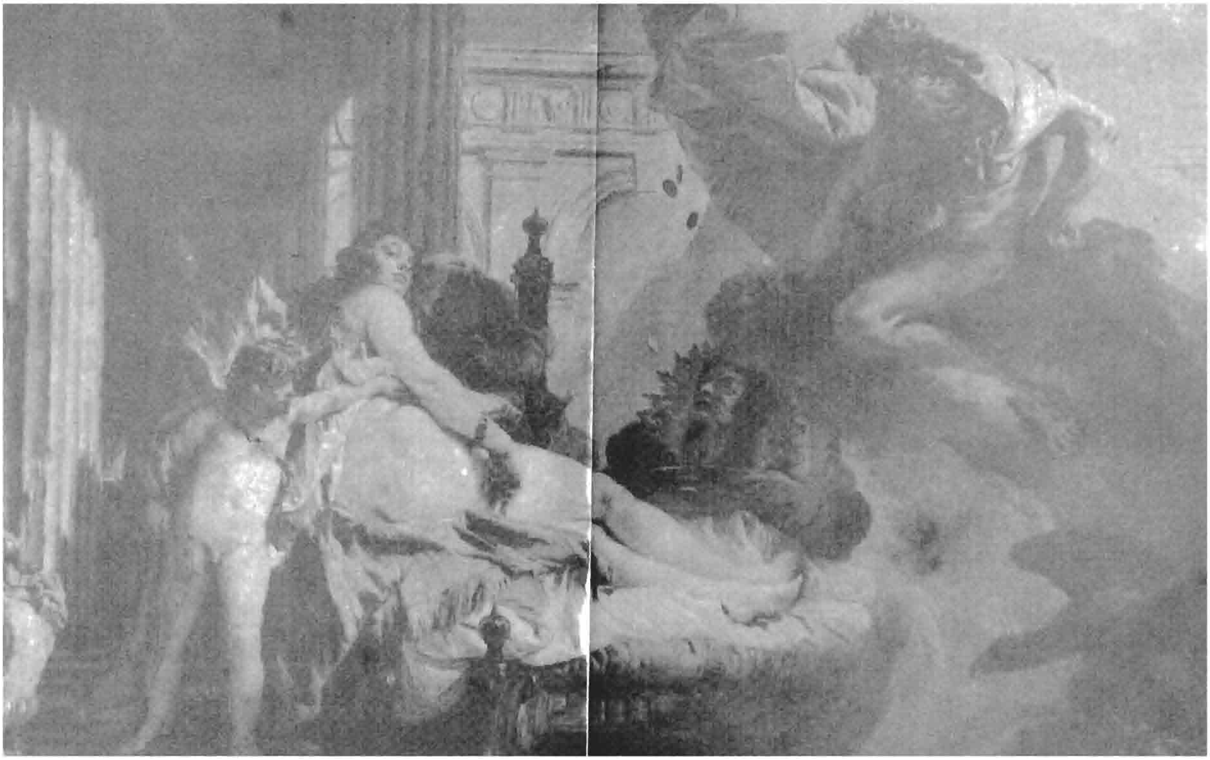
بينا تكفى رِشْوةٌ صغيرةٌ لشراء ضمير الحارس ؟
صدّقينى ، الرِشوةُ تشترى الآلهةَ والبشَرَ جميعاً .
فجوبيترِ نفسهُ يستنيمُ دَعَةً إن قرّبنا له العطايا .
وإذا كان الغِرُّ يستجيبُ للرِّشوة ، فما بالُك بالحكيم ؟[٦٥]
للهدية سحرٌ يكمّمُ أفواهَ السُّذج والحكماء على السواء .
لكنى أنصحُكِ بأن تقدّمى لحارسك رِشوةً تسدُّ فمه طويلاً ،
وستلقَيْنَه بعدَها مغمضَ العينين دواما .
فمن كبا مرةً أَلِفَ الكبوةَ مرّات .
أذكرُ أنى قدّمتُ النصحَ قبلُ بأخذ الحَيْطة من الرفقاء ،
على أن تحذيرى لا ينفسحُ للرجالِ وحدَهم .
لأنكِ إن أفرطتِ فى منح الثقة لنساءٍ غيرك ،
فقد يَحْصُدْن مُتعا هى لكِ .
ويقتنصنَ أرنبَكِ البرىَّ .
أصارحُك أن صديقَتِكِ التى نَزَلَتْ لكِ عن مخدعها عن طيب خاطر ،
نَعِمْتُ به هى الأخرى ــ صدّقينى ــ أكثرَ من ليلة .
لا تحوطى نفسَك بوصيفات فاتنات ،
فكم من وصيفةٍ كان لها معى ما كان مع سيّدتِها .
أسوقُ ذلك من تجْرِبَتى . .
إلى أى سبيلٍ تسوقُنى شطحاتى ؟
ما لى أعرِّضُ صدرىَ العارىَ لرشق السهام ؟
ما لى أخونُ أترابى من الرجال ؟
فالطيرُ لا يكشف للصياد السبيلَ إلى مخبئه ،
والأيِّلُ لا يُهْدِى كلابَ الصيد إلى سبُل طرادِه .
فلكلِّ ذى بُغية وسيلته لاقتناصها .
ولأستطرِدْ مع ذلك فى إسداء النصحِ الأمين .
لأسلحنّكُنّ يا نساءَ ليمنوس بسيوفٍ تحملُ فى نصالها منيّتى[٦٦] .
فلْتُوهِمْنَنَا أننا محطُّ عشقِكنُ ، وما أيسرَ ذلك .
وما أسرعَ تصديقَ أصحابِ الرغباتِ المحتدمة لكُنّ .
على المرأة أن ترنو إلى الفتى بنظراتٍ تنضحُ بالحب ، وتُطلقُ زفراتٍ تصّاعدُ من أعماقها ،
وأن تسائلَه عن عُذْره فى تأخرِه مازجةً سؤالَها بقطرات الدمع .

وأن تتظاهرَ غاضبةً بالغَيْرة من منافسةٍ تختلقُها ، ولتخمشْ بأظافرها وجهَه .
لحظتَها ما أسرعَ ما يقتنعُ بأنها مدلّهةٌ به فيحنو عليها حَدَباً ،
ثم يناجى نفسه : ما أشقاها بهوَاها لى » .
وقد تثيرُ مرآته زهوَه واختيالَه بأناقته
حتى يتوهَّمَ أن الإلهاتِ أنفسَهن قد يُولعن به .
وإن ظَلَمكِ لا تبالى ،
ولا تكترثى إن طرقت أسماعكِ شائعةٌ عن منافسة أخرى ،
بل لا تُسرعى إلى التصديق ،
وفى قصة پروكريس(٦٧) من مآسى التصديق السريع ما يحملُك على الحذر :
فإلى جوار سفوح جبال هيميتوس الأرجوانية النُضرة ،
كان ثمة ينبوعٌ مقدسٌ تكتنفه مروجٌ سندسية ،
وأجمةٌ ذات أشجارٍ غير شاخة .
وهنا وهناك شجيراتُ القطلب وسط العُشب ،
وكذا شجيراتُ الغار وحصى البان والآس الداكن ذات الأريج العاطر .
ولا تفتقدُ الأعين أوراقَ البقس الكثيف ،
ولا شجرَ الطرفاءِ الهينِّ القَصْفِ ، ولا الصنوبر الرشيق ، ولا البرسيمَ الرهيف .
وتتراقصُ الغصونُ المورقةُ مع نفحات النسيمِ العليلِ والرياحِ اللّينةِ المنعشة .
وتتأوّدُ قممُ النُبتات مع هبّات الريح .
كاد النوم الهادىء يغلبُ كيفالوس ،
شأنُه دوماً حين يأخذُ مضجعَه فى ذاك الموقع ،
منهكَ القُوى إثرَ رحلةِ صيد شاقة ،
مخلّفا خَدَمه وكلابه بعيداً .
وانبرى منشداً : « أقبلى يا آورا [النسيم باللاتينية] ،
أقبلى يا أورا الهائمةُ ، اشرحى لى صدرى ، وأطفىء حرارةَ حلقى »
وما لبث المغرضون أن وشوا بهذه المناجاة إلى زوجته العَفّة .
وحين سمعتْ اسم آورا خالتها غريمةً ،
فأُرْتِجَ عليها وغابت عن رُشْدها ،
وعرى وجهَها شحوبُ الأوراقِ الذابلةِ حول عناقيدِ العنب ،
عندما تلفحها رياحُ الشتاء المبكرة ،
أو شحوبُ ثمراتِ السفرجل

حين يكتمل نضجُها فتميل بها غصونُها ،
أو شحوبُ ثمارِ القرانيا قبلما تغدو طعاما سائغا للآكلين .
وما إن ثابت إلى رشدها حتى مزّقت عن صدرها رداءها الشّفيف ،
وخدشت بأظافرها خدّيها الأمْلَسَيْنْ ،
وشردت فى الطرقات تعدو هائمةً كأن بها مسّاً ،
يتطايرُ شعرُها خلفَها ، لكأنها من عابدات باكخوس مسّها الثِّيرسوس[٦٨] .
وما كادت تدنو من الغابة حتى خلّفت رفيقاتِها فى الوادى ،
وتسلّلت وحدَها بخطوات صامتةٍ إلى أعماق الغابة .
تُرى ماذا كانت مشاعرُكِ يا پروكريس ،
عندما تربّصتِ فى قلق مشبوب ترقبين زوجك ؟
أىُّ نارٍ كانت ترعى قلبَكِ الملتاع ؟
متوقعةً أن تصل آورا التى تتوهّمين ،
وأن تقع عيناك على ما هو مَشِين .
أتراكِ تأسفين على مُباغتتِك له ، تَخْشَيْنَ رؤيته متلبّساً ؟
لاحت لك السعادةُ تارة ، وطوّح بكِ الحبُّ هنا وهناك تارة أخرى .
فكل ما حولِك يقيم لك الدليل على صدق الوشاية :
ها هو ذا المكان ، وها هو ذا الاسم ، وها هم أُولاء الواشون .
وها هى ذى الغريزةُ المُهْلِكةُ الكامنةُ فى نفوسِ العشاق ،
تدفعُهم إلى تصديق الأوهام .
اشتد خفقُ قلبِها حين شهدت أثرَ ضجعةِ جسدٍ فوق العُشب ،
وشمسُ الظهيرة قد قصّرت الظلال .
وتأملت المشرقَ والمغربَ ، وكلاهما منها على بُعْدٍ متساوٍ .
انظروا . . ها هو ذا كيفالوس بن ميركوريوس الإله الكيليني ،
يفدُ من الغابة لينثرَ مياه الينبوعِ على وجنتيه الملتمعتين ،
وپروكريسُ تختبىءُ على مقربة منه ترقبه من حيثُ لا يراها ،
بينما يهصر الانتظارُ قلبَها .
يعودُ ليستلقىَ على العُشب كما اعتاد ،
ويترنّمُ من جديد : « أقبلى أيتها النسائم ، أقبلى يا آورا الحانية » .
وحين أدركت پروكريس التعسةُ خطأها وعاد الرشد إلى عقلها ،
أفاقت ، ودبّ اللونُ فى بشرتها ،



بوشيه : كيفالوس وأورورا ربة الفجر . متحف نانسي .



تیپولو، دانای . متحف ستوکهولم .

هُرعت ملهوفةً كى تضمَّ حبيبَها ،
فندّ عن أوراق الشجر التى اعترضتها حفيفٌ ،
فظنّها كيفالوس صيداً ،
ووثب بفتوّة الشباب إلى سلاحه
ما هذا الذى تَهُمُّ به أيها الشقىّ ؟
ليس هذا بوحشٍ يُخشى ،
ألقِ بعيدا قوسَك .
لكن . . . ويلاه !
أصاب سهمُك عروسَك .
فهوت صائحةً : « واحسرتاه ! اخترق السهمُ صدرَ من تهواكَ ،
صدراً مطعوناً بسهام حُبِّك من قبلُ يا كيفالوس .
أموتُ فى غير أوانى .
ولكن دون أن تلحقنى مهانةُ منافسةٍ تُزاحمُنى
وهو ما سيدفعُك أيها الثَّرَى إلى أن تقرَّ رقيقاً فوق عظامى .
روحى تصعدُ صوبَ السماء تحملُها « أنسامٌ » انتابنى الشك حيالَها ،
ما أشقانى ،
إنى ألفظُ آخرَ أنفاسى ،
فأَغْلِق عينىّ بكفّك التى أعشقُها » .
ها هو ذا كيفالوس يرفعُ جسدَ زوجتِه المحتضرة ،
يضمُّه إلى صدره المكلوم ،
ويغسلُ جُرحَها القاتل بدموعه المتدفّقة .
وها هى ذى روحُها تنسلُّ ،
وتسرى رويداً رويداً هاربةً من صدرها الطائش ،
بينا يتلقّى حبيبُها الشقىّ أنفاسَها الأخيرة بشفتيه .

* * * * *

ولنعد بعد ما فات إلى ما كُنّا فيه .
إذا كان لقاربى المُنهك أن يُدركَ مرفأه ،
فلا معدى عن أن أكشف النقاب عن أمور يلزم البوح بها .
أراكِ قلقةً تترقّبين أن أقودك إلى الوليمة مزوّدةً أيضاً بُنصحى :

فلْتصِلى متأخرة ، وادلفى فى رشاقة وسط المشاعل المُوقَدة ،
فما أقدرَ التأخّر على أن يؤجّجَ فتنتَكِ ،
فالتأخّر يا سيدتى ديّوثٌ بارع .
ومهما بلغ بكِ القبحُ فستبدين فى أعين السُّكارى مليحةً ،
والليلُ الحالكُ نفْسه يحجُبُ عيوبَك .
تناولى الطعامَ بأطراف أناملِك ، فلآدابِ المائدةِ وزنُها .
احذرى أن يشوبَ وجهَك أثرٌ من يدكِ المتّسخة ،
ولا تَطْعَمى فى بيتك قبل مجيئك فيحْسَبُكِ الرائى فاقدةَ الشّهية ،
وأقبلى على الطعام فى رفقٍ لا يستسلمُ لِشهيّتكِ .
فلَو أن ابن پريام رأى هيلينا تأكلُ شرهةً ، لانقلب حُبُه لها كُرْهاً ،
ولناجَى نفسه قائلاً : « لم أغنمْ إلّا امرأةً حمقاء » .
ولقد نغفرُ للمرأةِ أن تُسرفَ فى الشرابِ ، ذلك أكثرُ ملائمةً لها .
لكنا ننفرُ منها نهمةً .
لا حرجَ إذا أقبلَ باكخوس فى رفقةِ ابن ڤينوس .
لكنى أناشدُكِ أن تأخذى حِذْرَكِ ،
فلو احتفظت برُشدك قَوِيَتْ ساقاك ، وكانتا سنداً لك .
فحذارِ أن تزدوجَ الصورةُ فى عينيك ، وتَرَيْن الرجلَ اثنين .
فالمرأةُ المخمورةُ تمجُّها الأبصارُ ويستبيحُها من يشاءُ .
وليس من الأمان أن يَدْهَمَكِ النُعاسُ بعد رفع الأطباق عن المائدة ،
فقد تنالُك خلالَ النوم أمورٌ تجرُّ عليكِ العارَ .

* * * * *

بَقِى الآن حديثٌ يحمرّ له وجهى خجلاً ،
لكنِ ڤينوس بِدَلاَلِها تحْفِزُنى ألاّ أتردّدَ هامسةً :
« كلُّ ما يبعثُ الحُمرةَ فى الخدود هو أيضاً من جوهر اختصاصى » :
فَلْتَعِى كلُّ امرأةٍ مفاتنَ جسدِها حقّ الوعى ،
ولتنتقى أسلوبَها لوفق مفاتنها .
فليس ثمة أسلوبٌ واحدٌ يُناسبُ الجميعَ على السواء :
٧٧٤ ....
....

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

٨٠٧ . . . .

٨٠٨ ولتحذرى أن يتسلّلَ ضوءُ النافذة ويَغْمُرُ مخدعِك .
أوْلَى أن تُظَلِّلَ العَتْمةُ أكبرَ قدرٍ من جسدك .

* * * * *



كارافاجيو : باكخوس . متحف أوفتزى بفلورنسا .

والآن انتهت لُعبتُنا
وآن أوانُ هبوطى عن مركبتى التى تجرّها البجعات .
وكما فعل الفتيان من قبلُ ،
على الفتيات من مريداتى أن ينقشن على غنائمهن :
« كان ناسو . . . . هو مُعلِّمنا » .

* * * * *



جيدو ريني . باكخوس . جاليريا بتي بفلورنسا .

تعقيبات

١ — الأمازونات أمة أسطورية من النساء كانت تقطن بجوار نهر الثرمودون فى كاپادوكيا ، وكانت حياتهن وقفاً على الحروب ومآثر البطولة . ولم يكنّ يضاجعن الرجال إلا بين الفينة والفينة للإنجاب فقط ، فإذا نسلن ذكوراً أهدينهم إلى آبائهم على حين يحتفظن بالإناث . وتذهب رواية إلى أنهن كن يمزقن الذكور إرباً إرباً عند ولادتهم على حين كن يربين الإناث تربية عسكرية قاسية ، حتى إذا بلغن سن الرشد استؤصلت أثداؤهن اليمنى بالكيّ حتى يستطعن قذف الرمح بلا عائق وتسديد السهام كذلك . وكلمة أمازون مشتقة من كلمتين يونانيتين « أ » وتعنى النفى ، و مازا » وتعنى الغلال ، لأن الأمازونات اشتهرن بأكل اللحوم فقط . وكانت لهن دولة كبيرة فى آسيا الصغرى على شاطىء البحر الأسود ، وقد هاجمن الإغريق مراراً إلى أن ألحق الأخيرون بهن الهزيمة فى بلادهن الأمر الذى أدى إلى نفيهن وانتشارهن فى كافة أنحاء عالم البحر المتوسط . أما پنثيسيليا فكانت أشهر ملكاتهن وتنسب سلالتها إلى الإله مارس . وقد حاربت فى صفوف الجيش الطروادى حتى قتلها أخيل ، ويقال إنه لما رآها قتيلة أمامه بكى حزناً على جمالها . وهناك رواية بأن أخيل قد سمل عينى پنثيسيليا قبل أن يقتلها وأن أحد أبطال الإغريق وهو ثيرسيتيس قد شهد ذلك فاضطر أخيل إلى قتله . وهناك رواية أخرى بأنه قد ضاجع پنثيسيليا وهى ميتة وأن ثيرسيتيس قد شهد ذلك أيضاً . وإذ كان ثيرسيتيس صديقاً لديوميديس فقد غضب الأخير لمقتل صديقه فأمر بأن تجر الجياد جثة پنثيسيليا سبب المصيبة وأن يلقى بها فى نهر اسكمندر .

٢ — أخفى أمفياروس زوج إيريفيليه نفسه حتى لا يرافق جنود مدينة أرجوس فى حملتهم ضد طيبة ، إذ كان قد علم من الكاهن أنه يقينا سيلقى مصرعه لو رافق الحملة . غير أن پولينيكس بن أوديب استهوى إيريفيليه بقلادة ذهبية حتى كشفت له عن مخبأ زوجها ، فاضطر أمفياروس إلى الاشتراك فى المعركة التى لقى فيها مصرعه ، ولكنه كان قد أوصى ابنه قبل رحيله بقتل أمه لو بلغه نبأ موته ، وبالفعل قتل الابن أمه .

٣ — حينما لقى پروتيسيلاوس زوج لاوداميا حتفه فى مستهل حرب طروادة بسيف هيكتور صنعت لاوداميا تمثالاً خشبياً لزوجها كانت تضعه على الفراش بجوارها حتى اكتشف حموها فعلها فأمر بإحراق التمثال فألقت بنفسها فى النار مع التمثال من فرط حزنها ويأسها .

٤ — كانت إيفادنى بنت إيفيس الأرجوسى قد تمنعت على أپوللو مفضلة عليه كاپانيوس أحد الأبطال السبعة المعادين لطيبة . فأرسل چوپيتر صاعقة قتلته لتوه لكفره برب الآلهة . وعندها ألقت إيفادنى بنفسها فى النار التى أشعلتها الصاعقة فيه .

٥ — مثّلت الفضيلة دائما فى شكل امرأة ترتدى ثوباً أبيض وقوراً .

٦ — أحبت فيليس بنت ملك طراقيا ديموفوون بن ثيسيوس الذى وفد ضيفاً على أبيها خلال عودته من حرب طروادة ، ثم أبحر ديموفوون إلى وطنه فى أثينا بعد أن وعدها بالعودة إليها لكنه أنسيها ولم يعد . وقيل إن فيليس قد عَدَت تسع مرات صوب البحر لعلها تشهد عودة مركبه دون جدوى . وبعد أن يئست ألقت بنفسها من فوق صخرة إلى البحر ، ولذا سمّى الطريق الذى سلكته « بطريق السُّبل التسع » .

٧ — ثيراپناى بلدة فى لاكونيا حيث ولدت هيلينا .

٨ — ليست العشيقة التى يسدى إليها أوفيد النصح هى الزوجة التى لا يجوز أن يتناولها الحديث من قريب أو بعيد ، وليست هى العاهرة التى تتاجر بجسدها ، وإلا لما كان هناك داع لأن يعنى نفسه بتوجيه النصائح بينما يكفى المال وحده كى ينال المرء ما يبغى ، وإنما هى نمط من النساء شاع فى المجتمع الرومانى ، يملكن حق التصرف فى شئونهن ويستطعن انتقاء من يحلو لهن معاشرته من الرجال ، كما يستطعن قطع الصلة به متى شئن .

٩ — هامت الربّة ديانا حباً بأنديميون الراعى حين شاهدته ينام عارياً على سفح جبل لاتموس وكانت تهبط إليه كل ليلة ليضاجعها . وقيل إن أنديميون كان راعياً مولعاً بالفلك يصعد كل ليلة إلى قمة جبل لاتموس كى يرقب حركة النجوم فى السماء . وكان كيفالوس زوجاً لپروكريس وقد أولعت به « أوروا » ربة الفجر فراودته عن نفسها ، ولكنه لم يستجب لإغرائها وألح فى العودة إلى زوجته فأعادته الإلهة إلى پروكريس فى صورة تاجر ثرى حاول غواية زوجته ، فنجح بعد لأى فى إغوائها ثم كشف لها عن حقيقة نفسه غاضباً ، ففرت پروكريس إلى جزيرة يوبويا حيث انضمت إلى وصيفات الإلهة ديانا إلى أن عاد إليها كيفالوس يسترضيها فآبت معه .

١٠ — أنجبت ڤينوس أينياس من أنخيسيس ، كما أنجبت هارمونيا أو هرمونيه من الإله مارس .

١١ — كان تيتوس تاتيوس أحد ملوك شعب السابين ، شارك رومولوس فى ملك روما وقت نشأتها ثم قتل سنة ٧٤٢ ق.م.

١٢ — يشير أوفيد إلى معبد أپوللو وقصر أوغسطس وكلاهما يعلوان تل الپالاتينوس .

١٣ — نسبة إلى جبل كيليقى فى أركاديا حيث عثر الإله ميركوريوس على سلحفاة وصنع قيثارته من ذيلها (درقها) .

١٤ — تعهد الملك يوريتوس ملك أويخاليا بأن يزوج ابنته إيولى من هرقل ثم نقض عهده وأوفد ابنته بعيداً ، فأجج هذا البعاد من هيام هرقل بها ، وما إن أحاطت زوجته ديانيرا علماً بهذا الغرام حتى أرسلت إليه الرداء الحارق المسموم الذى ما كاد يرتديه حتى أصابه الهلاك .

١٥ — يقصد أوفيد معبد هرقل وربات الفنون فى ساحة الملعب وقد شيده ڤولڤيوس نُوبْلُيور عام ١٨٩ ق.م.

١٦ — تزوجت إينو مرضعة باكخوس بنت الملك كادموس وهارمونيا ، أثاماس ملك طيبة بعد أن طلق زوجته الأولى نيفيل وكان قد أنجب منها فريكسوس وهيلى . وما لبثت إينو أن أنجبت بنتاً وولداً مضطهدةً فريكسوس وهيلى ، فولّيا الفرار طائرين إلى شواطىء كولخيس ممتطين كبشاً ذا فروة[جزّة] ذهبية .

١٧ — أماريلليس راعية بالقصائد الرعوية لڤرجيل .

١٨ — العبارة ذاتها غامضة فى النص .

١٩ — نهر فى ميسيا بآسيا الصغرى .

٢٠ — نهر فى كيليكيا بآسيا الصغرى .

٢١ — « فى معالجة الوجه النسائى » Medicamina Faciei Femineae .

٢٢ — هو مسحوق اسمه أويسيوم يقال إنه كان يصنع من عرق الدواب مخلوطاً بما يعلق بفراء الماشية من قذر . وقد تخصص إقليم أتيكا فى صناعة هذا النوع من مساحيق الزينة ، وكان من أربح السلع فيها بعد العسل .

٢٣ — ميرون مثال يونانى مشهور عاش فى منتصف القرن الخامس ق.م. نسب إليه التمثال الشهير لرامى القرص . وقيل إنه قد شكّل بقرة فُتن بها الثيران توهماً منها بأنها بقرة حية .

٢٤ — « الإلهة الطيبة » إلهة رومانية ترعى عفة النساء وخصوبتهن فى آن معاً ، وقد حرم على الرجال اقتحام معبدها ، ولا يعبدها غير النساء .

٢٥ — اشتهر الپارثيون بالمجون ، وكانت شريعتهم تتيح لرجالهم مضاجعة أخواتهم وأمهاتهم ، ومن ثم صاروا مثلاً فى غشيان المحارم .

٢٦ — سيميليه هى ابنة كادموس وهارمونيا (ابنة ميركوريوس وڤينوس) وحين أحبها جوپيتر أقنعتها جونو بدهائها بأن تطلب من عاشقها أن يبدو أمامها بكل مظاهر قوته وجبروته ، وإذ كان قد وعدها بأن يجيب أى طلب تريده اضطر إلى الظهور أمامها على حقيقته فأحرقتها صاعقته ، بيد أن ميركوريوس استطاع أن ينقذ الجنين من أحشاء حفيدته وكان هذا الجنين هو باكخوس (ديونيسوس) .

٢٧ — ليدا هي زوجة تنداروس ملك اسبرطة ، لمحها چوپيتر تستحم فى نهر إيوروتاس وكانت حاملاً فراعه جمالها وعقد العزم على اغتصابها . ومن ثم تحايل حتى أقنع ڤينوس أن تحوّل نفسها إلى هيئة نسر على حين حوّل نفسه إلى هيئة طائر البجع ، واندفع طائراً صوب ليدا مرتجفاً وكأنه يخشى بطش النسر به ، فتلقّته فى حنان بين ذراعيها تحميه من انقضاض الطير الجارح ، واستطاع چوپيتر خلال احتضانها عارية أن يطأها . وبعد تسعة شهور من هذه المغامرة أنجبت ليدا بيضتين انبثق من إحداهما التوأمان پوللوكس وهيلينا ، ومن الأخرى التوأمان كاستور وكلتمنسترا . وتنسب البيضة الأولى إلى چوپيتر على حين تنسب الثانية إلى تنداروس .

٢٨ — هام چوپيتر بأوروپا ابنة أجينور ملك فينيقيا فأحال نفسه ثوراً ليقترب منها وهى تتريض فوق مروج الشاطىء ، وما كادت تربت عليه ملاطفة حتى استدرجها إلى امتطائه ، وسرعان ما حلق بها عابراً البحر حتى أدرك شواطىء كريت . وهناك عاد إلى شكله الحقيقى وضاجعها فأنجبت له مينوس وساربيدون ورادامانثوس .

٢٩ — يقصد أوڤيد منارة الإسكندرية ، غير أن معنى البيت غامض . وقد فسّره البعض بأن المقصود هو كتان مصر ، وفسّره البعض الآخر بأن المقصود هو التمساح الذى كانت تصنع من حراشيفه المجففة المطحونة بعض مساحيق التجميل .

٣٠ — هناك أسطورة متأخرة تعتبر أوديسيوس ابناً لسيزيفوس الذى اشتهر بالمكر والخداع ، ومن ثم ينسب مكر أوديسيوس إلى أبيه . والإشارة هنا إلى الأوديسيا لهوميروس (الكتاب الثانى عشر ١٦٦) .

٣١ — اشتهر أمفيون ملك طيبة وزوج نيوبى بأنه شيد أسوار طيبة بسحر الألحان التى عزفها بقيثارته .

٣٢ — كان أريون عازفاً مشهوراً على القيثارة وشاعراً غنائياً ، وقد صاحب برياندر ملك كورنثة إلى شواطىء إيطاليا حيث جمع ثروة من عزفه وشعره . وخلال عودته إلى بلاده حاول بحارة السفينة التى كان يستقلها اغتياله للاستيلاء على ثروته فأمهلهم حتى يسمعهم نشيداً افتتن به الدرافيل فى الماء ، فألقى بنفسه فى البحر ممتطياً أحدها حيث عاد به إلى قصر برياندر الذى قضى على البحارة جميعاً بالصلب جزاء لهم .

٣٣ — پروپيرتيوس شاعر غنائى من العصر الأوغسطى اشتهر بالشعر المشحون بالعواطف توفى عام ١٥ ق.م.

٣٤ — جاللوس شاعر وخطيب من العصر الأوغسطى وكان صديقاً لڤرچيل ولد عام ٦٩ ق.م. وتوفى عام ٢٦ ق.م.

٣٥ — تيبوللوس شاعر من العصر الأوغسطى اشتهر بالشعر الغرامى الإيليجى وكان صديقاً لهوراس وأوڤيد .

٣٦ — ڤارو شاعر رومانى ترجم قصائد ملاحى الأرجو لأپولونيوس روديوس إلى اللاتينية ، وكذا بعض المرثيات والإپيجرامات .

٣٧ — إشارة إلى إنيادة ڤرچيل .

٣٨ — نهر ليثى بالعالم السفلى إذا ما اقتربت منه أرواح الموتى أنسيت حياتها فى الدنيا .

٣٩ — « الغزليات » و « رسائل البطلات » من مؤلفات الشاعر أوڤيد .

٤٠ — كان فن الرقص يشمل تمثيل كافة الشخوص بل والقصص أيضاً من خلال الإيماءات والأوضاع ، ومن ثم كانت حركات الأذرع والسيقان ذات أهمية بالغة . وما من شك فى أنه كان يتضمن أيضاً لوناً من الرقص شبيها بالباليه .

٤١ — للأسف أن قواعد لعب النرد عند الرومان والإغريق مازالت مجهولة .

٤٢ — مياه العذراء اسم جدول كانت تصل مياهه إلى روما فوق قناطر مشيدة .

٤٣ — تدخل الشمس برج العذراء (أو السنبلة) فى شهر أوغسطس .

٤٤ — المقصود هو معبد أپوللو فوق تل پالاتينوس حيث كانت تجرى عبادة الإله الذى سمى هو أيضاً أپوللو پالاتينوس . وقد أعاد قيصر أوغسطس بناءه كما زوّده بمكتبة حافلة بنفائس المخطوطات اليونانية والرومانية .

٤٥ — تزوج أجريپا چوليا ابنة الامبراطور أوغسطس وشيد « بوابة ملّاحى الأرجو » عام ٢٥ ق.م. تمجيداً لانتصار روما فى معركة أكتيوم ضد المصريين .

٤٦ — أى معبد إيزيس التى لقيت عبادتها إقبالاً شديداً فى روما وقتذاك واختلط الأمر بينها وبين إيو التى مسختها الإلهة چونو بقرة .

٤٧ — المقصود هنا ملعب بومبيوس الذى افتتح عام ٥٥ ق.م. وملعب ماركيللوس [مارسيللوس] الذى شيده الامبراطور أوغسطس تكريماً لذكرى ابن أخته ماركيل [مارسيل] ، وملعب بالبوس الذى افتتح عام ١٣ ق.م.

٤٨ — ثاميراس موسيقى شهير من طراقيا هام بربّات الفنون ، ثم تحدّاهن فى مباراة موسيقية ، واتفقوا على أن يكون الخاسر رهن مشيئة الفائز ، فخسر ثاميراس وفقأت ربات الفنون عينيه وحرمنه صوته الرخيم وحطّمن قيثارته . كذلك اشتهر ثاميراس بأنه مبتكر اللواط فى العالم .

٤٩ — أمويبيوس عازف أثينى ذاعت شهرته وأصبح اسمه كناية عن مهارة العزف .

٥٠ — حظى يوريبيديس بضيافة أرخيلاوس ملك مقدونيا ، كما نعم أناكريون بضيافة پوليكراتس ، وأكرم هيرو وفادة كل من پندار وباكيليديس .

٥١ — الشاعر إينيوس (٢٣٩ — ١٦٩) ق.م. هو أبو الشعر الرومانى فى أغلب صيغه وخاصة الملحمة .

٥٢ — سكيپيو الأفريقى قائد رومانى عظيم غزا شمال أفريقيا وقضى على قرطاجه .

٥٣ — داناى هى بنت أكريسيوس وطئها چوپيتر فى صورة سيل من الذهب حين سجنها أبوها فى برج منيع درءاً لنبؤة عراف بأن حفيده سيقضى عليه . وشاءت الأقدار أن تتحقق النبؤة ويقضى عليه حفيده پيرسيوس عن غير قصد .

٥٤ — كذا فى النص ، والتعبير فى الأصل اللاتينى والنص الإنجليزى غامض ، ومحرّف فى الترجمة الفرنسية ، ولعله يقصد جمال الأسلوب .

٥٥ — الطِّلْس هو الكتابة الممحُوَّة .

٥٦ — تنسب بعض الأساطير إلى مينرفا (أثينا أو پالاس) ابتكار المزمار ، وقيل إنها نفخت فيه أمام ڤينوس وچونو فسخرت الإلهتان من تشوّه وجهها بينا تنفخ ، ووافقتها مينرفا الرأى حينما طالعت صورتها منعكسة على صفحة الماء فقذفت بالمزمار بعيداً ، وتكهنت بالموت لمن يعثر عليه ، حتى وجده مارسياس ومات مسلوخ الجلد وفق أسطورة أخرى .

٥٧ — كانت تكمسًا أسيرة لأچاكس ومن ثم لازمها الاكتئاب .

٥٨ — كانت عصا الكرم الرمز المميز لقائد السرية « سنتوريون » ، وترمز إلى حقّه فى جلد جنوده العصاة .

٥٩ — هى أسماء العشيقات الثلاث للشعراء تيبوللوس وپروپيرتيوس وجاللوس أصدقاء أوڤيد .

٦٠ — الاسم المستعار لخليلة أوڤيد .

٦١ — عاهرة أثينية مشهورة .

٦٢ — كان البريتور وهو الحاكم القضائى يلمس بصولجانه الأَمَةَ الجديدة بأن تُعتق ، ومن ثم فإن هذه العبارة كناية عن المرأة الحرّة .

٦٣ — أرْجُسْ هو حارس إيو ذو المائة عين الذى قتله ميركوريوس .

٦٤ — كان الرومان يستخفّون بنبيذ كروم إسبانيا .

٦٥ — المقصود أن ليس الحكيم أقل استجابة من الغرّ للرشوة .

٦٦ — اشتهرت جزيرة ليمنوس بأن نساءها قتلن أزواجهن جميعاً .

٦٧ — يروى أوڤيد هذه القصة بالتفصيل بكتابه « مسخ الكائنات » ترجمة كاتب هذه السطور .

٦٨ — الثيرسوس أو صولجان باكخوس هو قضيب تلتف عليه مخاريط الصنوبر أو عناقيد الكروم .

٦٩ — قد تكون المقصودة بالتشبيه هنا هى لاوداميا زوجة پروتيسلاوس ابن ملك ثيساليا الذى هجر زوجته للاشتراك فى الحرب الطروادية فكان أول من صرعه الطرواديون من الآخيين . وقد حزنت لاوداميا عليه حزناً شديداً وأرسلت شعرها منسابا فوق كتفيها دليل لوعتها ، ثم صنعت تمثالاً خشبياً على هيئة زوجها وراحت تحتضنه كلما نامت بفراشها كما سبق القول . وعندما علم حموها بذلك أمر بحرق التمثال فألقت لاوداميا بنفسها فى المحرقة معه . والتشبيه هنا غامض بعض الشىء لعدم مواكبته سياق النص .

٧٠ — اشتهر الفرسان الپارثيّون بالتظاهر بالانسحاب أمام العدو لاستدراجه ، ثم يستديرون بأجسادهم على صهوات جيادهم يطلقون سهامهم على غرة صوب أعدائهم بينا جيادهم لاتزال منطلقة فى الاتجاه نفسه كأنهم يفرون .

٧١ — مُرتكز فويبوس الثلاثى محطّ النبوءة هو الحامل الذى كانت تجلس عليه العرافة الشهيرة بمعبد دلفى ، ويذكر المرتكز أحياناً كناية عن العِرَافة .

٧٢ — قيل إن باكخوس قد شيد محراب أمون ذى القرنين تمجيداً لأبيه چوپيتر آمون . وقد لقبه باسم آمون لأنه كان قد ظهر على شكل الإله آمون المصرى فى رؤيا لهرقل ، أو على حدّ قول البعض فى رؤيا لباكخوس نفسه حين كاد العطش يودى به فى صحراء أفريقيا فأرشده چوپيتر آمون إلى ينبوع ماء . وكان معبد چوپيتر آمون فى سيوه بصحراء مصر الغربية ، وكان به عراف شهير جاء إلى المعبد قبل عهد الامبراطور أوغسطس بثمانية عشر قرناً تقوده يمامتان طارتا من صحراء مصر الغربية ثم اختفيتا . واعتاد هرقل وپيرسيوس وغيرهما الالتجاء إلى هذا العراف . وحينما تنبأ بأن الإسكندر هو ابن چوپيتر انصرف عنه الناس لنفاقه . وأغلب الظن أن الإسكندر هو مشيد هذا المعبد .

ثبت ببليوجرافى لكاتب هذه السطور

● موسوعة تاريخ الفن : العين تسمع والأذن ترى . *

١ ـ الفن المصرى : العمارة	دراسة	طبعة أولى	١٩٧١
		طبعة ثانية	١٩٩٠
٢ ـ الفن المصرى : النحت والتصوير	دراسة	طبعة أولى	١٩٧٢
		طبعة ثانية	١٩٩١
٣ ـ الفن المصرى القديم : الفن السكندرى والقبطى	دراسة	طبعة أولى	١٩٧٦
٤ ـ الفن العراقى القديم	دراسة	طبعة أولى	١٩٧٤
٥ ـ التصوير الإسلامى الدينى والعربى	دراسة	طبعة أولى	١٩٧٨
٦ ـ التصوير الإسلامى الفارسى والتركى	دراسة	طبعة أولى	١٩٨٣
٧ ـ الفن الإغريقى	دراسة	طبعة أولى	١٩٨١
		طبعة ثانية	١٩٩٣
٨ ـ الفن الفارسى القديم	دراسة	طبعة أولى	١٩٨٩
٩ ـ فنون عصر النهضة	دراسة	طبعة أولى	١٩٨٨
١٠ ـ الفن الرومانى	دراسة	طبعة أولى	١٩٩١
١١ ـ الفن البيزنطى	دراسة	طبعة أولى	١٩٩٣
١٢ ـ فنون العصور الوسطى	دراسة	طبعة أولى	١٩٩٣
١٣ ـ التصوير المغولى الإسلامى فى الهند	دراسة	طبعة أولى	١٩٩٣
١٤ ـ الزمن ونسيج النغم (من نشيد أبوللو إلى أوليفييه ميسيان)	دراسة	طبعة أولى	١٩٨٠
١٥ ـ القيم الجمالية فى العمارة الإسلامية	دراسة	طبعة أولى	١٩٨١
		طبعة ثانية	١٩٩٢
١٦ ـ الإغريق بين الأسطورة والإبداع	دراسة	طبعة أولى	١٩٧٨
		طبعة ثانية	١٩٩٣

* (الصور الملونة بالأجزاء التسعة الأولى من هذه الموسوعة طبعت بمؤسسة رينبرد للطباعة بلندن على نفقة المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة « يونسكو ») .

١٧ ـ ميكلا نجلو	دراسة	طبعة أولى	١٩٨٠
١٨ ـ فن الواسطى من خلال مقامات الحريرى	دراسة وتحقيق	طبعة أولى	١٩٧٤
[أثر إسلامى مصور]		طبعة ثانية	١٩٩٣
١٩ ـ معراج نامه [أثر إسلامى مصور]	دراسة وتحقيق	طبعة أولى	١٩٨٧

● أعمال الشاعر أوفيد

٢٠ ـ ميتامور فوزيس [مسخ الكائنات]	ترجمة	طبعة أولى	١٩٧١
		طبعة ثالثة	١٩٩٢
٢١ ـ آرس أماتوريا [فن الهوى]	ترجمة	طبعة أولى	١٩٧٣
		طبعة ثالثة	١٩٩٢

● أعمال جبران خليل جبران

٢٢ ـ النبى : لجبران خليل جبران	ترجمة	طبعة أولى	١٩٥٩
		طبعة سابعة	١٩٩٠
		طبعة ثامنة	١٩٩١
٢٣ ـ حديقة النبى : لجبران خليل جبران	ترجمة	طبعة أولى	١٩٦٠
		طبعة سابعة	١٩٩٠
٢٤ ـ عيسى ابن الإنسان : لجبران خليل جبران	ترجمة	طبعة أولى	١٩٦٢
		طبعة رابعة	١٩٩٠
٢٥ ـ رمل وزبد : لجبران خليل جبران	ترجمة	طبعة أولى	١٩٦٣
		طبعة رابعة	١٩٩٠
		طبعة خامسة	١٩٩١
٢٦ ـ أرباب الأرض : لجبران خليل جبران	ترجمة	طبعة أولى	١٩٦٥
		طبعة ثالثة	١٩٩٠
٢٧ ـ روائع جبران خليل جبران . الأعمال المتكاملة	ترجمة	طبعة أولى	١٩٨٠
		طبعة ثانية	١٩٩٠
٢٨ ـ كتاب المعارف لابن قتيبة	تحقيق	طبعة أولى	١٩٦٠
		طبعة سادسة	١٩٩٢
٢٩ ـ مولع بڤاجنر : لبرنارد شو	ترجمة	طبعة أولى	١٩٦٥
		طبعة ثانية	١٩٩٢
٣٠ ـ مولع حذر بڤاجنر	دراسة نقدية	طبعة أولى	١٩٧٥
		طبعة ثالثة	١٩٩٣
٣١ ـ المسرح المصرى القديم : لإتيين دريوتون	ترجمة	طبعة أولى	١٩٦٧
		طبعة ثانية	١٩٨٩

٣٢ ـ إنسان العصر يتوج رمسيس	تأليف	طبعة أولى	١٩٧١
٣٣ ـ فرنسا والفرنسيون على لسان الرائد طومسون :	ترجمة	طبعة أولى	١٩٦٤
لبيير دانينوس		طبعة ثانية	١٩٨٩
٣٤ ـ إعصار من الشرق أو جنكيز خان	تأليف	طبعة أولى	١٩٥٢
		طبعة خامسة	١٩٩٢
٣٥ ـ العودة إلى الإيمان : لهنرى لنك	ترجمة	طبعة أولى	١٩٥٠
		طبعة ثالثة	١٩٦٤
٣٦ ـ السيد آدم : لپات فرانك		طبعة أولى	١٩٤٨
		طبعة ثانية	١٩٦٥
٣٧ ـ سراول القس : لثورن سميث		طبعة أولى	١٩٥٢
		طبعة ثانية	١٩٧٦
٣٨ ـ الحرب الميكانيكية : للجنرال فولر	ترجمة	طبعة أولى	١٩٤٢
		طبعهة ثانية	١٩٥٢
٣٩ ـ قائد الپانزر : للجنرال جوديريان	ترجمة	طبعة أولى	١٩٥٢
٤٠ ـ حرب التحرير	تأليف بالمشاركة	طبعة أولى	١٩٥١
		طبعة ثانية	١٩٦٧
٤١ ـ تربيه الطفل من الوجهة النفسية	ترجمة بالمشاركة	طبعة أولى	١٩٤٤
٤٢ ـ علم النفس فى خدمتك	ترجمة بالمشاركة	طبعة أولى	١٩٤٥
٤٣ ـ مصر فى عيون الغرباء من الرحالة والفنانين والأدباء (١٨٠٠ ـ ١٩٠٠)	دراسة	طبعة أولى	١٩٨٤
		طبعة ثانية	١٩٩٢
٤٤ ـ مذكراتى فى السياسة والثقافة	تأليف	طبعة أولى	١٩٨٨
		طبعة ثانية	١٩٩٠
٤٥ ـ المعجم الموسوعى للمصطلحات الثقافية [إنجليزى ـ فرنسى ـ عربى]	إعداد وتحرير	طبعة أولى	١٩٩٠

بالفرنسية

٤٦ ـ Ramsès Re- Couronné: Hommage Vivant au Pharaon Mort, "UNESCO" 1974.

بالإنجليزية

٤٧ ـ In The Minds of Men. Protection and Development of Mankind's Cultural Heritage "UNESCO". 1972.

٤٨ ـ The Muslim Painter and the Divine. The Persian Impact on Islamic. Religious Painting. Rainbird Publishing Group, Park Lane Publishing Press. London 1981.

٤٩ ـ The Miraj- Mameh: A Masterpiece of Islamic Painiting. Pyramid Studies and other Essays presented to. I. E. S. Edwards. The Egypt Exploration Society. London 1988..

أبحاث

٥٠ ـ The Portrayal of the Prophet. The Times Literary Supplement. December 1979.

٥١ ـ Porblêmatique de la Figuration dans l'art Islamique.

La Figuration Sacrée.

La Figuration Profane.

Plastique et musique dans l'art pharaonique.

Wagner entre la theorie et l'application.

سلسلة محاضرات ألقيت بالكوليج ده فرانس بباريس خلال شهرى يناير ومارس ١٩٧٣ .

Annuaire du Collêge de France 73 e Année Paris, 11, Marcelin- Berthelot 1973.

٥٢ ـ المشاكل المعاصرة للفنون العربية . لمنظمة اليونسكو . نشر بمجلة « مواقف » عدد ٢ آيار ١٩٧٤ . بيروت .

٥٣ ـ حرية الفنان . لمنظمة اليونسكو . نشر بمجلة عالم الفكر . المجلد الرابع يناير ١٩٧٤ . الكويت .

٥٤ ـ رعاية الدولة للثقافة والفنون . محاضرة ألقيت بنادى الجسرة الثقافى بالدوحة (دولة قطر) فبراير ١٩٨٩ .

٥٥ ـ إطلالة على التصوير الاسلامى : العربى والفارسى والمغولى والتركى . محاضرة ألقيت بالمجمع الثقافى . أبو ظبى .

٥٦ ـ سبيل إلى تعميم مُدُن التكنولوچيا « تكنوبوليس » فى الوطن العربى . معهد العالم العربى بباريس . يونيه ١٩٩٠ .

تحت الطبع

موسوعة التصوير الإسلامي [مكتبة لبنان . بيروت]

تحت الإعداد

فنون القرن الثامن عشر والتاسع عشر

الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٠٢٨٦ / ١٩٩٢

ISBN 977 - 01 - 3216 - 0





تعليقات الكتاب والنقاد

بأسلوب نابض بالرقة والسخرية والدهشة ينقل د. ثروت عكاشة إلى قراء العربية كتاب « فن الهوى » بعد ألفي عام من صدوره للشاعر الروماني أوڤيد الذى صاغ فيه قطعة فريدة من تاريخ روما وحضارتها وتقاليدها حين خرج على مواضعات النفاق الاجتماعى وطرح أقنعة الحياء الزائف وتسلل إلى خلوات العشاق الذين يتقلّبون على أرائك المتعة فى عصر روما الذهبى. وأخذ يرصد خطى العشاق فى دروب الهوى ويتتبّع أحابيلهم ومناوراتهم ولفتات دلالهم وصدودهم ووصالهم ، ثم يكسو كل ذلك بأوشحة أسطورية ويقدمه على شكل وصايا تثبّت عزم العاشق المتردد وتهيج حماسة المغرم الخجول وكأنما آمن أن رسالته أن يحيل الدنيا كلها إلى عالم من العشاق .

وفى ظلال هذا العالم المسحور تحمل القارىء أجنحة عبارات مترجم متمكّن وفّق إلى جلاء مرح الكاتب ودهائه وغزارة ثقافته وروعة تشبيهاته وخفة ظله وذكاء إيحاءاته ، فما يكاد المرء ينتهى من قراءة الكتاب حتى يولد فى نفسه حنين جارف لإعادة قراءته من جديد .

يوسف السباعى

وضع د. ثروت عكاشة بين يدى القارىء العربى عملين من أهم أعمال الشاعر اللاتينى الكبير أوڤيديوس ناسو هما فن الهوى ومسخ الكائنات . وأول ما يحسّ به القارىء العربى حين يقلّب صفحات الكتابين المترجمين هو الشعور بالمتعة والبهجة تجيئان من رصانة اللفظ وجمال العبارة ومن أناقة الشكل وروعة التصوير وإتقان الإخراج . ثم لا يلبث أن يشغل عن هذا كله حين يمضى فى قراءة النص ، وحين يفرغ من قراءة المقدمتين الطويلتين الجامعتين اللتين كتبهما المترجم عن الشاعر وعن حياته وبيئته وشعره ، ثم حين يراجع التعليقات الغزيرة التى أثبتها فى آخر الكتابين : إنه الإحساس بالجهد الضخم الذى بذله الدكتور عكاشه بالحرص الشديد منه على أن يوفر للقارىء العربى كل وسيلة لمعايشة الشاعر ، وفهم النص ، والنفاذ إلى أسراره . وأخيراً يجد القارىء العربى نفسه بعد ذلك وجهاً لوجه أمام التراث اللاتينى بما يشتمل عليه من أساطير وحكايات ومعان ، وأمام الشاعر اللاتينى بما يفيض به قلبه من مشاعر وعواطف ، وأمام الإنسان فى تلك العصور وفى كل العصور ، بما يشغله ويؤرقه من هموم ومشاكل .

د. عبد العزيز الأهوانى

لا شك أن د. ثروت عكاشه قد بذل جهداً غير عادى فى ترجمة هذا الكتاب حرصا منه على أن تكون الترجمة أمينة وعلى أن تكون مصحوبة بتعليقات وشروح علمية دقيقة تجعلها ميسورة أمام القارىء العربى ، وعلى أن تكون الترجمة أخيراً صورة من الأصل بما فيه من عذوبة وشفافية وجمال فنى رائع . وقد حقق المترجم كل هذه الأهداف فجاء الكتاب إضافة حقيقية إلى المكتبة العربية . والذين ينظرون إلى مثل هذه الأعمال الفكرية والفنية الكبيرة نظرة نقد واستهانة ، ويرون أنها ليست سوى لون من الترف الفكرى الذى لا فائدة منه ، مثل هؤلاء هم الذين يريدون للفكر العربى أن يكون محصوراً فى آفاق ضيقة محدودة سهلة وأن يكون بعيداً عن المنابع الرئيسية الكبرى للفكر العالمى .

رجاء النقاش